صالح مصطفى مفتاح

ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية الى مصر

منشورات
الشركة العامة
للنشر والتوزيع والاعلان

الطبعة الأولى

يوليو ١٩٧٨ م .

صالح مصطفى مفتاح

ليبيا منذ الفتح العربي
حتى
انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر

منشورات
الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان

بسم الله الرحمن الرحيم

تعتبر ليبيا بحكم موقعها الجغرافي واسطة العقد في العالم العربي ، ولذلك قدر لها أن تلعب دوراً هاماً في تاريخ الدولة العربية الإسلامية . فعن طريق ليبيا تقدم العرب لفتح المغرب ، وعن طريقها انساحت القبائل العربية في ربوع المغرب تحمل معها عقيدتها ولغتها وحضارتها . ولذلك فعلى الرغم من أن فتح العرب للمغرب قد استغرق مدة زمنية طويلة — على خلاف فتوح الأمصار الإسلامية الأخرى — ، إلا أنه لم يكد يتم حتى كان قد أسفر عن وجه المغرب العربي الإسلامي .

وكما كانت ليبيا مدخلاً للعروبة والإسلام والحضارة الإسلامية إلى المغرب، فقد كانت أيضاً مدخلاً إلى المشرق وإلى قلب العالم الإسلامي . فمدن برقة كانت آخر مرحلة يقطعها ركب الحجاج والتجار المغاربة والأفارقة في طريقهم نحو المشرق والمقدسات الإسلامية . وقد أدرك الفاطميون هذه الحقيقة الهامة عندما شرعوا في إرسال حملاتهم لفتح مصر ولتوحيد العالم الإسلامي تحت رايتهم وفي ظل مذهبهم الشيعي ، فحاولوا في بادىء الأمر بسط سلطانهم بقوة السلاح على أهالي برقة وطرابلس وفرض مذهبهم الشيعي عليهم ، غير أن

المعز لدين الله الفاطمي بعد أن رأى فشل حملات الفاطميين الثلاث الأولى في فتح مصر ، وبعد أن رأى شدة تمسك أهالي برقة والساحل الليبي بمذهب أهل السنة ، وتمسك أهالي دواخل طرابلس بالمذهب الأباضي حرص على كسب ودهم لكي يحقق لحملته التي أعدها بقيادة جوهر الصقلي لفتح مصر أهم عوامل النجاح . ولولا هذه السياسة الحكيمة التي اتبعها المعز لدين الله الفاطمي مع أهالي برقة وطرابلس لما نجحت هذه الحملة التي غيرت مجرى تاريخ العالم الإسلامي لفترة زمنية طويلة .

وإذا كان هذا هو دور ليبيا بعامة كحلقة للوصل بين المشرق والمغرب ، فإن مدينة برقة كانت المدخل إلى المغرب كله ، كما كانت مدينة طرابلس نقطة الانطلاق نحو إفريقية بعد اجتياز الجيوش والحملات العربية خليج سرت .

ويكفي للتدليل على أهمية مدينة برقة أن نشير إلى أن الخليفة العباسي المتوكل على الله أمر ببناء سور حولها ، كما عين أحد خاصته صاحباً لبريدها مع بريد مصر والإسكندرية وسائر نواحي المغرب . كما لعبت طرابلس فترة الفتح العربي ، وطول فترة حكم ولاة بني أميه وبني العباس ، دوراً استراتيجياً هاماً كقاعدة رئيسية لانطلاق الحملات العربية نحو القيروان أو للانسحاب إليها عندما كانت تجبر على إخلاء القيروان والارتداد عنها شرقاً . لقد كانت طرابلس بالنسبة للعرب قاعدة خلفية لحماية وجودهم في إفريقية ، وهذا أدى بدوره إلى أن يُحكم ولاة العرب قبضتهم عليها ، وأن يدفعهم هذا بالتالي إلى العسف بالبربر والإساءة إليهم . ولذلك كان بربر جبل نفوسة أكثر قبائل البربر إحساساً بهذا العسف . الذي وقع عليهم من جانب ولاة العرب ، ومن ثم كانوا أسبق البربر إلى اعتناق مذهب الخوارج الأباضية ، أكثر مذاهب الخوارج اعتدالاً وأقربها إلى مذاهب أهل السنة . فقد وجدوا في اعتناق مذهب الخوارج الذي لا يشترط للإمامة إلا الإسلام والعدل ما يسمح لهم برفع هذا الجور عنهم وإقامة حكم إسلامي يتمشى مع روح الإسلام . وهكذا قامت

في طرابلس أول إمامة أباضية حين بايع بربر جبل نفوسة في سنة ١٤٠هـ أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري إماماً عليهم ، ومن طرابلس انتشر المذهب الأباضي في المغرب الأوسط حيث أقام الإمام عبد الرحمن بن رستم أول إمارة مستقلة على مذهب الأباضية في تاريخ العالم الإسلامي كله .

بل ويتمثل هذا الدور الهام لليبيا أكثر ما يتمثل في حركة القوافل التجارية بين المشرق والمغرب وغربي إفريقية من جهة ، وبين الشاطىء وما وراء الصحراء الكبرى من جهة أخرى . فالصحراء الليبية كانت المفازة الرئيسية التي تعبرها القوافل في هذه الاتجاهات المتعددة ، والمدن الليبية كانت القواعد الرئيسية لهذه القوافل في مسيرتها الطويلة . ومع ركب التجار كان العلماء والفقهاء والدعاة وأصحاب الحرف والصنائع والفنون ينقلون معهم علمهم وآراءهم ومعتقداتهم الدينية والسياسية وخبراتهم وفنونهم .

غير أنه على الرغم من هذا الدور الهام الذي قامت به ليبيا كحلقة وصل بين المشرق والمغرب ، إلا أن اتساع أراضيها وغلبة الصحراء عليها وقلة سكانها كان عاملاً سلبياً حال دون أن تقوم فيها في فترات التاريخ الإسلامي دولة موحدة ذات ثقل سياسي مثل الدولة المستقلة التي قامت في مصر أو تلك التي قامت في إفريقية . ففي معظم فترات التاريخ الإسلامي كانت برقة تابعة لمصر من الناحية الإدارية كما كانت طرابلس تابعة لإمارة إفريقية وللدول التي تعاقبت بعدها في هذه المنطقة . ولذلك لم ينل تاريخ ليبيا الإسلامية نصيباً كبيراً من اهتمام المؤرخين المسلمين الذين كانوا يركزون اهتمامهم — كما هو معروف — على الأحوال السياسية للدول والإمارات وعلى ما يجري من أحداث في عواصمها أو في قصور الخلفاء والسلاطين والأمراء .

ولذلك فإنه بالإضافة إلى أن المادة العلمية لتاريخ ليبيا في العصر الإسلامي موزعة ما بين مصادر التاريخ الإسلامي العام ، ومصادر تاريخ مصر الإسلامية ، ومصادر تاريخ المغرب الإسلامي ، فإن الباحث يضنيه التعب في قراءة عشرات

المصادر وآلاف الصفحات عساه يحصل على خبر أو رواية تتعلق بتاريخ ليبيا في ذلك العصر .

ومما يزيد هذا الأمر صعوبة أن تاريخ المغرب في الفترة الأولى من العصر الإسلامي يحيط به الاضطراب ويكتنفه الغموض لأن أحداثه لم تدون إلا في فترة متأخرة ، فضلاً عن غلبة الرواية الأسطورية عليها . كما أن معظم تواريخ الأباضية لا تزال حتى الآن مخطوطة لم تنشر بعد .

وفي ضوء هذا الفهم لحقائق تاريخ ليبيا في العصر الإسلامي يستطيع القارىء أن يقدر أهمية هذه الدراسة التي قام بها الأخ صالح مصطفى مفتاح عن تاريخ برقة وطرابلس من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر ، والتي تقدم بها لنيل درجة الماجستير في الآداب من قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة القاهرة . لقد كان على الأخ صالح مصطفى مفتاح أن يجمع شتات المادة العلمية الخاصة ببرقة وطرابلس والموزعة بين هذه المصادر التاريخية المتعددة ، وأن ينقيها مما شابها من اضطراب وغموض ، ليكتب لنا تاريخ برقة وطرابلس في هذه الفترة المبكرة من العصر الإسلامي . بل إنه لم يكتف بدراسة التاريخ السياسي لبرقة وطرابلس ، وإنما أضاف إلى هذا الجهد جهداً آخر توج به هذه الدراسة . فقد أفرد في نهاية رسالته باباً عن أهم المظاهر الحضارية في هذين الإقليمين وبخاصة في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والأدبية .

ولهذا كله استحق الأخ صالح مصطفى مفتاح تقدير لجنة مناقشة الرسالة فمنحته عنها درجة الماجستير في الآداب بتقدير ممتاز .

هذا ويسعدني كأستاذ مشرف على هذه الرسالة أن أقدم إلى القارىء الليبي بخاصة ، وإلى القارىء العربي بعامة ، هذا البحث العلمي القيم .

والله ولي التوفيق

الدكتور أحمد السيد دراج

أستاذ التاريخ الإسلامي

ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب

جامعة القاهرة

مقدّمة

يتناول هذا البحث برقة وطرابلس من الفتح العربي حتّى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر من الناحية السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية والأدبية ، وهي حقبة زمنية تمتد لما يقرب من ثلثمائة عام ، تبدأ من أوائل القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) ٢١هـ / ٦٤١م ، وتنتهي حوالي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي) ٣٦١هـ/ ٩٧١م.

ولقد اخترت هذا الموضوع محاولاً إلقاء الضوء على جوانبه المختلفة وذلك لأن معظم المؤرخين الذين أرخوا لإفريقية ، لم يتعرضوا في شيء من التفصيل لتاريخ ليبيا في هذه الفترة ولعل ذلك يرجع إلى أن عديداً من المصاعب تعتري سبيل من يتصدى للتأريخ لهذا الموضوع . ففي بعض الأحيان كالفتح العربي مثلاً ، معظم ما ورد في المصادر العربية تعوزها الدقة وينقصها الترابط ، ويكتنفها الغموض ، بسبب ما يحيط بها من روايات خرافية ، ذات طابع أسطوري منقول من مصادر مختلفة ، ترجع إلى عصر متأخر كثيراً عن حوادث الفتح . وبالإضافة إلى ذلك لا تحدثنا تفصيلياً عن الفتح العربي في ليبيا وإنما تشير إلى ذلك إشارة يكتنفها كثير من الاضطراب والغموض .

هذا كما تندر المادة التاريخية ، كما هو الحال بالنسبة للفترة السابقة للثورات البربرية ، أي خلال العصر الأموي ، وأوائل العصر العباسي ، وظهور الخوارج .

ولهذا لا تخفى صعوبة الخوض في موضوع برقة وطرابلس ، فهي من الموضوعات الشاقة المضنية ، التي تحتاج دائماً إلى يقظة تامة في قراءة النصوص حتى تتمكن من التقاط حقيقة أو أي استنتاجات أخرى ، وسط خليط متباين من الأخبار ، وتصفية هذه الأخبار مما يشوبها من عوامل الخرافة والتباين .

وفي مثل هذه المهمة كان علي دائماً أن أخوض مهمة تتبع الظواهر والأحداث السياسية والبشرية ، والاقتصادية والعلمية في ليبيا ، وأن أنظر في نفس الوقت إلى كل من مصر وإفريقية . وقد عمل بذلك الدكتور مؤنس ، في كتابه الفتح العربي للمغرب ، حيث قابل فيه المؤلف بين النصوص المختلفة والروايات المتعارضة ، واستخلص منها مادة علمية كبيرة ، تعتبر من المصادر الرئيسية في فترة الفتح لهذا الموضوع .

ومما سبق يتضح أن هذه الدراسة لم تكن هينة بالإضافة إلى أن مادتها مبعثرة ومشتتة ما بين مصادر تاريخ مصر والمغرب ، وفوق ذلك فإننا نفتقر الى المصادر التاريخية التي تعالج النواحي الاجتماعية ، والأدبية ، بطريقة مباشرة ولهذا كان علينا أن نلتقط ما يفيدنا في دراسة هذه الموضوعات ، من الكتب الجغرافية المختلفة وأن نقارن بينها ، حتى نخرج بصورة لعلها تكون واضحة وتبين لنا ما كانت عليه ليبيا في الفترة موضوع الدراسة .

والواقع أن المنطقة ما بين مصر وإفريقية لم تحظ إلا بالقليل النادر من اهتمام الكتاب ، وربما كان لهم العذر في ذلك ، فالبلاد لم تكن في الحقيقة إلا طريقاً موصلة بين البلدين ، اللذين حبتهما الطبيعة بظروف أسخى وأكرم . ولكن ليس معنى ذلك أن المنطقة لم تكن مهمة ، أو أنها لم تقم بدور خطير في حوادث المشرق والمغرب بل عن طريقها عبرت الحملات المتتالية لفتح المغرب العربي ، وعن طريقها عبرت القوات الفاطمية من المغرب إلى مصر . هذا كما أن سكانها

من البربر لم يقاوموا الفتح العربي وذلك لسخطهم على السياسة البيزنطية ، وتعسفهم في جمع الضرائب، ولهذا رحب أهالي برقة بالفاتحين العرب ، وشاركوا في الحملات المتتالية على إفريقية ، وأكثر من ذلك ظلت برقة وطرابلس مركزاً ومعقلاً للقوات العربية إلى أن قام عقبة بن نافع ببناء مدينة القيروان ، وظلت بعد ذلك وفية تؤدي خراجها بدون أن يأتيها حاث أو مستحث .

ومن خلال عرضنا للباب الثاني نجد أنه كان من نتائج سوء الإدارة الأموية واستبداد عمالها أن قامت البلاد بسلسلة من حركات العصيان لقيت الدولة كثيراً من المشقة في إخمادها ، ولم تكن لهذه الحركات الثورية صبغة سياسية فقط بل أنها اتخذت طابعاً دينياً باعتناق البربر من أهل البلاد الأباضية المعارضة للدولة ، والمنفذة لرغباتهم . وهو محاولة الاستقلال عن الدولة العربية . وقد حاولت الدولة العباسية إخضاع هذه الاضطرابات وخاصة بعد أن بايع أباضية طرابلس أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري إماماً عليهم ، وامتد نفوذهم حتى المغرب الأوسط وإزاء ذلك أسند الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور إلى والي مصر محمد بن الأشعث ولاية إفريقية والذي تمكن من إلحاق الهزيمة بأبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وتعقب فلولهم ، التي تراجعت إلى زويلة وودان . وليس معنى ذلك أن العباسيين استطاعوا القضاء على الأباضية نهائياً بل إن الأباضيين تمكنوا من إنشاء دولة لهم في تاهرت ، والتي تمكنت من اقتسام مدينة طرابلس مع الدولة الأغلبية بحيث أصبح الساحل والمدينة للأغالبة وما وراء ذلك نحو الصحراء للأباضية .

ومن خلال عرضنا للباب الثالث ، يتبين لنا أنه كان لليبيا دورها الذي لا ينكر في تلك الأحداث التي قررت مصير المغرب ، فعن طريقها عبر الدعاة الفاطميون إلى بلاد المغرب ، وعن طريقها أيضاً عبرت القوات الفاطمية لاحتلال مصر . وكنتيجة لوجود السنية في برقة ، والأباضية في طرابلس ، فقد قاومتا الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب ، ولهذا قامت بثورات مستمرة ضد ولاة

الخلافة الفاطمية ، ولما عملت برقة وطرابلس باستمرار على التحرر من سلطان الخلافة الفاطمية فقد أدى ذلك إلى استعمال القوة ضدهما ، فاضطرب أمر البلاد التي أصبحت مجال صراع سياسي ، وانتهى الأمر بإنهاك قوى الجميع .

وترتب على ضعف ليبيا ، أن انكشفت حدود مصر الغربية وحدود تونس الشرقية وبذلك عملت ثورة برقة على تسهيل دخول كتامة إلى أرض مصر .

ومن خلال عرضنا للباب الرابع ، يتضح لنا أن السكان الأصليين في ليبيا كانوا من البربر ، إلى أن جاء الرومان إلى ليبيا ، وسيطروا على البلاد ، إلا أن البربر لم يختلطوا بهم وذلك لاقتصار الرومان على السواحل الليبية ، ووجود البربر في الدواخل ، إلى أن تم الفتح العربي واستقرت الفتوح في إفريقية ، بدأت هجرة القبائل العربية من مصر واستقرت في ليبيا إلى جانب القبائل البربرية ، ولكنها كانت في برقة أكثر منها في أي إقليم آخر ، وإلى جانب هؤلاء جميعاً كانت توجد بعض الجاليات اليهودية في المدن الداخلية .

هذا كما يتبين لنا من خلال عرضنا لهذا الباب ، أن حالة البلاد الاقتصادية ، كانت قد تدهورت في أواخر العصر البيزنطي ، وفي الفترة السابقة على قيام الدويلات المستقلة ، بسبب الثورات التي اجتاحت البلاد ، في فترة الفتوح الإسلامية ، وما صحبها من ثورات مضادة اتسمت بالعنف ، وتخريب كثير من المزارع وقلع عديد من الأشجار ، وكنتيجة لسوء سياسة بعض الولاة الأمويين الاقتصادية ، أن تقبل المغاربة عامة مبادىء الخوارج وقاموا بالثورات ، التي أدت هي الأخرى إلى تفاقم الأزمات الاقتصادية ولم تستعد البلاد استقرارها الاقتصادي إلا في عهد الأغالبة لما قاموا به من زيادة الأراضي المزروعة ، وتشجيع التجارة .. هذا كما يتبين لنا من خلال عرضنا للباب الرابع والأخير أن ما وصل إلينا من تراث ليبي لا يمثل كل الإنتاج الليبي ، وذلك لأن البلاد قد تعرضت خلال تاريخها الطويل إلى كثير من الهزات والاضطرابات التي أدت إلى ضياع كثير من إنتاجها وحرق العديد من مكتباتها ومن أمثلة ذلك أنه

حينما اكتسح الفاطميون بلاد المغرب أتوا على الإنتاج العلمي للدولة الرستمية وعلى مؤلفاتها التي لا تحصى ، وأحرقوا مكتباتها الضخمة وأحرقت مئات الخزائن المملوءة بالكتب النفيسة في الفتن المتصلة التي تلاحقت على جبل نفوسة بعد القرن العاشر الهجري ، وانتهب الإيطاليون كثيراً مما أبقت عليه الفتن (دبوز ٣٨٨/٣٨٧/٣) ومع هذا فإن ليبيا كان لها دورها في الحياة الأدبية ولكن أقل من غيرها في بعض البلدان الأخرى .

وفي ضوء ما توفر لدينا من مادة تاريخية ، فقد قسمت هـــذا الموضوع إلى أربعة أبواب ، تحدثت في الباب الأول ، عن الفتح العربي ببرقة وطرابلس زمن عمرو بن العاص وما وجه من حملات نحو المناطق الجنوبية ، هذا كما تحدثنا عن حملة عبد الله بن سعد إلى إفريقية ، وموقفه من برقة وطرابلس ، ثم تحدثنا عن الحملات المتتالية حتى عهد موسى بن نصير وموقفهم من برقة وطرابلس ، هذا كما أوضحت موقف بربر المغرب عامة وبربر ليبيا بصفة خاصة من الفتح العربي .

وخصصت الباب الثاني ، للاحوال السياسية في برقة وطرابلس ومن عصر الولاة حتى قيام الدولة الفاطمية ، حيث تناولت في هذا الباب سياسة الولاة الأمويين إزاء البربر ، وقيام الثورات البربرية ونتائج ذلك وخاصة اعتناقهم للمذهب الأباضي الذي قدر له الظهور في حيز طرابلس وجبل نفوسة كما تحدثنا عن قيام الثورات الأباضية أوائل العصر العباسي وموقف الخلافة العباسية من هذه الثورات ، وبينا كيف أن الثورات الأباضية لم تخمد نهائياً ، بل أنها ثارت من جديد ، حيث قدر لها أن تقتسم طرابلس مع الدولة الأغلبية ، هذا كما تكلمنا عن برقة وطرابلس ، في عهد الدولة الأغلبية .

وأفردت الباب الثالث ، عن الأحوال السياسية في برقة وطرابلس من قيام الدولة الفاطمية حتى انتقالها إلى مصر وقد تناولنا في هذا الباب انتشار المذهب الشيعي في بلاد المغرب ، ونجاح الدعوة الفاطمية في إفريقية على يد عبد الله

الشيعي وتأسيس الخلافة الفاطمية وموقف السنة والأباضية من انتشار المذهب الشيعي هذا كما بينا الثورات التي قامت في كل من برقة وطرابلس ، ضد الخلافة الفاطمية ، والمحاولات الأولى للفاطميين في فتح مصر ، وموقف ليبيا من ذلك كما تحدثنا عن الاستعدادات لرحيل المعزّ إلى مصر .

وأفردت الباب الرابع لأهم المظاهر الحضارية في برقة وطرابلس من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر ، حيث تناولنا عناصر السكان في ليبيا وخاصة البربر وعاداتهم وتقاليدهم ، وتوزيعهم في هذا الإقليم ، ثم تكلمنا عن هجرة القبائل العربية من مصر واستقرارها في المنطقة الممتدة من الرمادة حتى الجبل الأخضر ، وبعض المناطق الأخرى ، وإلى جانب هؤلاء تكلمنا عن الروم والأفارقة وبعض جاليات اليهودية التي استقرت في ليبيا .

كما تناولنا في هذا الباب الحياة الاقتصادية ، في برقة وطرابلس حيث تكلمنا عن الزراعة وأهم الحاصلات الزراعية في ليبيا وأهم الصناعات البسيطة التي قامت في ليبيا كما تناولنا الأسواق والطرق التجارية والعلاقات الاقتصا دية ، بين برقة وطرابلس وإفريقية من ناحية ، ومصر من ناحية أخرى . هذا كما تحدثنا عن المعاملات المالية ودور الدعوة في التجارة بين الشرق والغرب ، وختمت هذا الباب بدراسة للحياة العلمية والأدبية في برقة وطرابلس وقد بينا دور ليبيا في انتشار الدراسات الإسلامية حيث تكلمنا عن الفقهاء الوافدين على ليبيا والفقهاء المحليين . كما تحدثنا عن المسجد والرباط ودورهما في انتشار الإسلام . كما تكلمنا عن الدراسات اللغوية والأدبية في كل من برقة وطرابلس .

بحث في أهم المصادر والمراجع

أما بالنسبة لمصادر هذا البحث فقد استعنت ببعض المخطوطات ، وكان من أهمها : —

١) الورجلاني : كتاب السيرة وأخبار الأمة ، فقد أمدنا بمعلومات عن تاريخ الخوارج الأباضية ، وموقفهم من الخلافة العباسية والفاطمية ، فضلاً عن بعض الحقائق التي تتعلق بالدولة الرستمية ، وقد حرص مؤلف هذا الكتاب على التسلسل الزمني للأحداث خلال عهود الأئمة الأباضية .

٢) الشماخي : كتاب السير ، وهو يعد تاريخاً شبه متكامل لأباضية المغرب وقد امتاز كتاب السير عن غيره من سير الأباضية بأخذ مؤلفه عن مؤرخين غير أباضيين كابن الرقيق وابن الصغير ، كما حرص على مناقشة الروايات المختلفة ، وإثبات ما يراه صحيحاً مقنعاً ، وقد استفدنا منه ، في انتشار المذهب الأباضي في طرابلس وجبل نفوسة .

٣) الدرجيني : طبقات الأباضية ، فقد استفدنا منه في انتشار المذهب الأباضي في طرابلس وجبل نفوسة ، حيث تعرض الدرجيني لتراجم مشايخ المذهب الأباضي ، والذين استفدنا منهم في دراسة الناحية الأدبية في برقة وطرابلس .

٤) البراوي : الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به (كتاب الطبقات لأبي العباس الدرجيني) ، وقد عرض الكتاب لعديد من عيون المذهب وأعلامه ممن أهملهم الدرجيني وناقش كثيراً من روايات سابقيه بطريقة نقدية وقد استفدنا منه ، في انتشار المذهب الأباضي ، وفي دراسة بعض الأحوال السياسية في العصر العباسي وخاصة الثورات الأباضية .

٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، وقد تجمعت لديه أقدم الروايات

التي تتعلق بتاريخ فتح المغرب عامة ، وتاريخ المغرب خلال عصر الولاة ، إذ أتاح له اتصاله بعلماء المغرب ، وفقهائها ، أن يقف على كثير من الحقائق وبخاصة بتاريخ المغرب ، والتي أفدنا منها إفادة كبيرة في دراسة مرحلة الفتح العربي لليبيا .

٦) ابن عذاري : البيان المغرب ، وقد اعتمد فيه ابن عذاري ، على مصادر غربية وأندلسية ترجع إلى القرنين الخامس والسادس ، وترجع أهمية هذا الكتاب على الرغم من تأخره عن فترة الفتح ، إلى تكامله وشموله ، فقد أمدنا بمعلومات وفيرة عن تاريخ المغرب عامة ، كما أوضح جوانب كثيرة من ثورات الخوارج .

٧) ابن خلدون : العبر ، وقد استفدنا من المادة الوفيرة التي قدمها لنا ابن خلدون ، في دراسة الأوضاع الاجتماعية ، وعلاقة العرب بالبربر وقد أمدنا بمادة نادرة في المصادر الأخرى ، عن القبائل البربرية وثورات الخوارج .

٨) ابن الأثير : الكامل ، وقد رتب كتابه حسب السنين ، وضمّن المؤرخ حولياته أحداث المغرب حتى سنة ٦٢٨ هـ ، وتعتبر الأخبار الخاصة بفتح المغرب والواردة في الكامل من أهم المصادر العربية ، وأكثرها دقة. اعتمد المؤرخ فيها على مصادر أندلسية مغربية ، وقد استفدنا من هذه الأحداث في الوضع السياسي في برقة وطرابلس .

٩) المالكي : رياض النفوس ، ويعتبر من أهم مصادر تاريخ الفتح العربي للمغرب إذ يتضمن فصلاً يتعرض فيه المؤلف لحوادث الفتح العربي كاملة ، منذ المحاولات الأولى التي قام بها عمرو بن العاص ، حتى استكمال حسان بن النعمان للفتح ، وقد اعتمد المالكي فيه على مصادر شرقية كالواقدي وابن إسحاق ، بالإضافة إلى روايات اقتبسها من مصنفات مغربية قديمة ضاعت ولم تصل إلينا ، وبقية الكتاب تراجم

لعلماء إفريقية وفقهائها طبقة طبقة وقد استفدنا من هذا القسم في دراسة الحياة العلمية والأدبية في برقة وطرابلس .

١٠) أبو العرب تميم : طبقات علماء إفريقية وتونس ، ويضم هذا الكتاب مجموعة من تراجم علماء القيروان وتونس بصفة خاصة ، وقد استطعنا أن نستشف منه كثيراً من الحقائق ، التي ألقت الضوء على الحياة العلمية والأدبية ، فضلاً عن إشارته الهامة للأحداث السياسية التي تعنى بتاريخ إفريقية في الفترة التي عاصرها أبو العرب تميم .

كما أمدتنا كتب الجغرافية والرحلات. بفائدة كبيرة في دراسة النواحي البشرية والاقتصادية والوقوف على كثير من التفاصيل التي أغفل المؤرخون ذكرها ، وكان من أهم هذه الكتب .

١١) اليعقوبي : كتاب البلدان ، وهو يعد — أهم كتاب جغرافي عني بالناحية السكانية في بلاد المغرب خلال القرن الثالث الهجري فقد استفدنا منه فائدة كبرى ، في توزيع القبائل البربرية والعربية في المدن الليبية ، كما استفدنا منه في الناحية الاقتصادية وذلك أثناء وصفه لبعض المدن . وقد أخذ عنه من كتب بعده من الجغرافيين والرحالة . هذا فضلاً عن كتابه في التاريخ ، الذي يلقي الضوء على دوافع نزوح الخوارج إلى المغرب ، ولكن يجب أن تؤخذ آراؤه بالنسبة للخوارج بتحفظ شديد ، وذلك نظراً لميوله الشيعية .

١٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، وقد أفدنا منه إفادة كبيرة في الناحية الاقتصادية والاجتماعية خاصة في العصرين الأغلبي والفاطمي ، فضلاً عن وصفه للمدن والتعريف بها .

١٣) البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، وقد استفدنا من هذا الكتاب بما حواه من مادة وفيرة ، عن وصفه لمدن المغرب والمسالك إليها ، وبما تضمنه من إشارات تاريخية عن الأحداث السياسية في عصر

الأغالبة ، في الناحية الاقتصادية والاجتماعية من جهة وفي الحياة السياسية من جهة أخرى .

١٤) التيجاني : رحلة التيجاني ، وهو ذو فائدة كبرى ، وخاصة من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية إذ تمكن عن طريق رحلته ومروره على بعض القرى والمدن الليبية أن يقدم لنا وصفاً عن تلك القرى والمدن وعادات أهلها كما أورد لنا بعض المقتطفات عن الأحوال السياسية في كل مدينة يمر بها .

١٥) ابن الأبار : الحلة السيراء ، وقد استفدنا من هذا الكتاب في الحياة العلمية والأدبية خاصة ، والسياسية عامة ، لما أورده من شعر في كتابه وخاصة في عصر الأغالبة إلى جانب تحدثه عن الحياة السياسية عامة ، لما أورده من شعر في كتابه وخاصة في عصر الأغالبة إلى جانب تحدثه عن الحياة السياسية في إفريقية والمغرب .

١٦) الجوذري : سيرة الأستاذ جوذر ، وقد كان مرافقاً للمعز في رحلته من المغرب إلى المشرق ،ومن هنا تأتي أهمية صاحب هذا الكتاب كشاهد عيان لأحداث رحيل المعز . كما استفدنا منه بعض المقتطفات عن الحياة الاقتصادية ، وخاصة الثروة الحيوانية في برقة وطرابلس خلال العصر الفاطمي .

كما أننا لم نغفل دراسات المحدثين من العرب ، والمستشرقين مما ألفوه من مراجع وخاصة : —

١) حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، وقد استفدنا منه في تحليل حملات الفتح العربي إذ عمل فيه الدكتور حسين مؤنس على المقابلة بين النصوص المختلفة والروايات المتعارضة واستخلص منها مادة علمية كبيرة ، تعتبر من المصادر الرئيسية لكل من يدرس الفتح العربي للمغرب عامة .

٢) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، وقد تناول في هذا

الكتاب المغرب العربي حتى عصر الأغالبة ، وهو مهم لمن يدرس العصر الأغلبي في إفريقية ، وقد استفدنا منه في دراسة برقة وطرابلس خلال هذا العهد من خلال بعض تحليلاته التي أوردها في كتابه .

٣) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، وهو من الكتب الهامة التي لا يستغنى عنها لتاريخ هذه الفترة من تاريخ ليبيا خاصة والمغرب بصفة عامة لما حواه هذا الكتاب من الآراء والتحليلات القيمة .

٤) محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، وقد استفدنا منه في دراسة الأباضية وخاصة في جبل نفوسة ، هذا بالإضافة إلى إيراده لبعض تراجم أئمة الأباضية .

٥) إحسان عباس : تاريخ ليبيا من الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري ، وقد استفدنا من إشاراته وآرائه التي أوردها في هذا الكتاب .

٦) جوانين : وقد استفدنا من كتبه في دراسة الأحوال الاقتصادية في ليبيا وخاصة في التجارة ودور اليهود فيها .

٧) هذا كما حفلت الدوريات العربية والإفرنجية ، بأبحاث ومقالات طيبة أثارت كثيراً من غوامض هذا الموضوع ، ومن أهم هذه الدوريات مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، ومجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، ومجلة كلية الآداب جامعة بنغازي ومجلة كلية الآداب والتربية جامعة الكويت ، هذا بالإضافة إلى كتب النقود وغيرها من الكتب التي وردت في قائمة المصادر والمراجع .

وإلى جانب تلك المصادر لم ندخر وسعاً في البحث عن المادة التاريخية التي تخدم موضوع الدراسة من قريب أو بعيد .

وبفضل هذه المصادر والمراجع التاريخية ، وبقدر ما توفرت فيها من مادة أمكنا دراسة هذا الموضوع ولم شتاته في الأبواب السابقة ، ولا يسعني في هذا

المقام إلا أن أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان لأستاذنا الدكتور أحمد السيد دراج ، الذي تولى الإشراف على هذا البحث وتعهده برعايته ، وتوجيهه ، منذ كان فكرة حتى صار حقيقة ، كما أشكر أساتذتي الذين شاركوا في قراءة هذا البحث وتجشموا مشقة مناقشته ، وأسأل الله التوفيق .

الباب الأول

الفتح العربي لبرقة وطرابلس

* حملة عمرو بن العاص على برقة وطرابلس .
* حملة عبدالله بن سعد على إفريقية وموقفه من برقة وطرابلس .
* أحداث فتح برقة وطرابلس منذ ولاية معاوية بن حديج حتى ولاية موسى بن نصير .

حملة عمرو بن العاص على برقة وطرابلس

حالة برقة وطرابلس قبل الفتح العربي الإسلامي

حاول الامبراطور جستنيان بمساعدة قائده بلزاريوس وضع نظام محكم لهذه البلاد ، وذلك بتحصين الحدود وإقامة الحاميات لصد غارات القبائل الداخلية ، وكان على رجال هذه الحاميات أن يقوموا بالزراعة في وقت السلم ، والدفاع في وقت الحرب ، غير أنه بمرور السنين أدى هذا النوع من التنظيم إلى إضعاف الروح الحربية بين الجند ، وانصرافهم إلى تهيئة سبل العيش لعائلاتهم هذا كما حاول الامبراطور صبغ الأهالي بالصبغة الرومانية ، وذلك بإدخال بعضهم سلك الجندية ، نظير منحهم بعض الامتيازات ، كما أقام بعض الأمراء من رؤساء النواحي الذين يخشى خروجهم على الدولة ومساعدتهم بالأموال في مقابل التبعية للدولة الرومانية ، غير أنه لما ضعفت السلطة المركزية في القسطنطينية بدأ بعض هؤلاء الأمراء بمهاجمتها فتعرضت البلاد من جديد لخطر هجوم القبائل الليبية .[1]

وقد حاول الامبراطور موريق (٥٨٢ — ٦٠٢م) أن ينقذ الموقف ، وذلك بفصل طرابلس عن ولاية إفريقية ، وإلحاقها مثل برقة بولاية مصر ، عله يضمن

---

(١) مصطفى عبد الله بعيو : المجمل في تاريخ لوبيا ، الاسكندرية ١٣٦٦/١٩٤٧ ص ٥٩ .

بقاء تبعيتها للدولة ، لسهولة إيصالها بمصر فانقطعت الصلات السياسية الرسمية بين هاتين الولايتين وبقية شمال إفريقية ، وأصبحتا تابعتين لحاكم مصر منذ ذلك الحين .[1]

وعندما اغتصب الامبراطور فوكاس عرش الامبراطورية سنة ٦٠٢م زادت حالة البلاد سوءاً فتهيأت النفوس نتيجة لذلك للثورة ، وقد جاءت هذه الثورة بعيداً عن العاصمة حيث اندلعت في برقة ، وكان القائم بها هرقل الأكبر ، الذي كان يعد لها منذ اعتلاء فوكاس العرش ، إذ تمكن من الاتفاق مع صهر فوكاس — زوج ابنته — وكيسيل حاكم طرابلس ، وليوفيتوس حاكم إقليم مريوط ، وعندما تمت له الاستعدادات رأى أنه غير قادر على هذه المجازفة لكبر سنه ، فدفع بابنه هرقل إلى ذلك فبدأ ثورته في إقليم برقة ، بعد أن جمع جيشاً من البربر ، وكان هذا الجيش سبباً في نجاح ثورته في مرحلتها الأولى على الأقل ، ويبدو أن انضمام بربر برقة إليه ، كان رغبة منهم في التخلص من السيطرة الرومانية الشديدة القسوة عليهم [2] وما إن وصل هرقل إلى عرش الامبراطورية بعد التغلب على الامبراطور فوكاس حتّى حاق به الخطر على أثر تقدم الجيوش الفارسية في حربها ضد الروم واكتساحها الشام ومصر .[3]

ولما قامت الانقسامات الدينيــة في الامبراطورية البيزنطية ، أعلـن جريجوريوس [4] حاكم إفريقية البيزنطي الانفصال عن الدولة وذلك لما وجده

---

(١) حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، القاهرة ١٣٦٦/١٩٤٧ ص ٥٠ .

(٢) محمد مصطفى بازامه : ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين ، الطبعة الاولى بيروت ص ٣٤ .

(٣) مصطفى عبد الله بعيو : المرجع السابق ، ص ٥٩ .

(٤) بعد أن مات هرقل الكبير سنة (٦١٠م) خلفه جريجوريوس الذي كان يساعده منذ زمن طويل في ادارة البلاد ، ولكنه لم يلبث على حكومتها الا زمنا قصيرا اذ خلفه عليها بطريق يدعى « قيصريوس » ثم أعقبه نيقتاس بن جريجوريوس، وخلف نيقتاس في ولاية افريقيا ابنه جريجوريوس ، وهو الذي يسميه المؤرخون العرب « جرجير» (محمود شيت خطاب : قادة فتح المغرب العربي جـ ١ ص ٤٤) .

من مساعدة البابا والبربر ، غير أن جريجوريوس لم يهنأ باستقلاله ، إذ ما كاد ينفصل عن الدولة البيزنطية حتّى كان المسلمون قد استولوا على مصر ، ووصلت طلائع جيوشهم إلى برقة [1] وكان أهل المدينتين الأخيرتين ممن آزر جريجوريوس على الانفصال عن الدولة البيزنطية وهذا يدل على أن حكام مصر لم يجدوا فسحة من الوقت أو هدنة من المشاغل تسمح لهم بالالتفات لشئون هذه النواحي ، فظلت الولايتان من عهد موريق إلى زمن الفتح معلقتين بين مصر وإفريقية ، على حال من الاستقلال تقريباً . [2]

وهكذا كان لهذه البلاد أثر واضح في مجريات الأحداث السياسية للامبراطورية البيزنطية ، كما أنها شاركت بصفة عامة فيما حل بها قبيل ظهور الإسلام من سوء حالة وضعف عام كان خير ممهد للفتح العربي والانتقال بهذه البلاد إلى عهد جديد . [3]

وكان بربر برقة وطرابلس في ظل الامبراطورية البيزنطية ، على حال من القوة مكنتهم من إقامة ما يمكن أن يسمى دولة بربرية ، ويؤيد المستشرق مرسيه ذلك بقوله « وظهرت في الولاية دويلات وطنية لها قوانينها وأديانها وحكامها الذين كانوا مستقلين ، فكانت لواتة التي تحتل الساحل من برقة إلى قابس ، ومعها هوارة ونفوسة على جانب عظيم من القوة ، وكان في استطاعتها بعد ذلك بسنوات أن تجمع من المحاربين حوالي ستة عشر ألف مقاتل . غير أن قوة البربر هذه لم تستمر حتّى أواخر عهد البيزنطيين وذلك لأن الحروب الطويلة

---

(١) ابراهيم أحمد العدوي : الامويون والبيزنطيون ، الطبعة الثانية ١٣٨٣/١٩٦٣ ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٢) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٥٠ .
— سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، الاسكندرية ١٩٦٤ / ص ٨٠ .
— السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، الدار القومية ١٩٦٦ جزء ٢ ، ص ١٤١ .

(٣) مصطفى عبد الله بعيو : المرجع السابق ، ص ٦٠ .

التي قامت بها هذه القبائل ضد الحكم البيزنطي قد أنهكت قواها وهدت من كيانها وجعلها تركن إلى السكون [1] وتدين للبيزنطيين بالطاعة . وكان هؤلاء البيزنطيون يقيمون بينهم وبين المدن المحارس والرباطات ، وكانوا يفرضون عليهم ما شاءوا من ضرائب ومكوس حين يقدمون المدن أو يقاربونها . [2] ولهذا كان بربر لواتة ساخطين على البيزنطيين كارهين لحكمهم الجائر وتعسفهم في جباية الضرائب ، كما نقموا عليهم لكثرة مظالمهم ، ويبدو أنهم أرادوا التخلص من الحكم البيزنطي وكانت قد بلغتهم الأخبار باستيلاء العرب على بلاد الشام ومصر ، فتطلعوا إلى الخلاص على أيدي العرب . [3] وهذا يفسر مبادرتهم بتقديم فروض الولاء للجيش الإسلامي ، واستسلامهم للعرب طائعين مختارين فصالحهم عمرو نظير جزية يؤدونها إليه وهي دينار على كل حالم . [4]

ولما كان الحال كذلك ، كان لا بد لعمرو بن العاص ، بعد أن أمن فتوحاته الشامية ، وذلك باستيلائه على الإسكندرية ، وقضائه على الخطر الرومي في مصر سنة ٢١هـ / ٦٤١م أن يؤمن فتوحاته في مصر من الناحية الغربية ، وذلك لأن بقاء الروم وامتلاكهم لبرقة وطرابلس ، كان يهدد السيادة العربية على مصر من جهة الغرب ، [5] ولهذا فإن عمرو بن العاص بعد أن استكمل فتح مصر

---

(١) حسن سليمان محمود : ليبيا بين الماضي والحاضر ، القاهرة ١٩٦٢ ص ١٩٩ .

(٢) شكري فيصل : حركة الفتح الإسلامي في القرن الاول ، بيروت ١٩٥٢ ، ص ١٨٥ .

(٣) انه في عهد عمر تقدم ستة من البربر إلى حاكم مصر عمرو بن العاص ، معلنين استعدادهم للدخول في الاسلام ، فوجههم عمرو إلى الخليفة الذي احتاج إلى وسيلة للتفاهم معهم ، لأنهم لم يكونوا يفهمون اللغة العربية » . أنظر :

Fournel (Henri); les Berbères Etude sur la Conquête de l'Afrique par les Arabes, Paris, Part I, p. 26.

(٤) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٣ .

(٥) مصطفى عبد الله بعيو : المرجع السابق ، ص ٦٢ .

تأهب لفتح برقة وطرابلس ، تأميناً لحدود مصر الغربية من خطر الروم ، ونشراً للدعوة الإسلامية من ناحية أخرى ولم يضيع وقتاً حين وجد الظروف تحمله على غزو شمال إفريقية فأرسل عقبة بن نافع الفهري إلى برقة لاستطلاع الأمور . [1]

غير أننا نجد المصادر التاريخية تختلف في تاريخ فتح بلاد برقة ، فمنها ما يجعل هذا الفتح سنة ٢١هـ/٦٤١م . [2] ومنها ما يجعله سنة ٢٢هـ / ٦٤٢م [3] والبعض الآخر يجعله سنة ٢٣هـ / ٦٤٣م [4] وعلى الرغم من اختلاف المصادر التاريخية في تحديد تاريخ فتح برقة ، إلا أنه يمكننا أن نحدد سنة (٢٢هـ/ ٦٤٢م) تاريخاً لفتحها ، لأن عمرو بن العاص كان قد أتم فتح الإسكندرية في سنة ٢١هـ / ٦٤١م ولا بد أن يكون قد مكث مدة في الإسكندرية لتنظيم أمورها ، وإعداد العدة لفتح برقة بناء على المعلومات التي حملها اليه عقبة بن نافع [5] هذا وينفرد ابن عذاري دون غيره من المؤرخين بالإشارة إلى أن عمرو بن العاص بعد أن فتح مصر وجه عقبة بن نافع الفهري إلى زويلة [6] وبرقة ،

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٢٥ .
- البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٤ .
- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ، جـ ١ ، ص ٧٥ .
- السلاوي : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، جـ ١ ، ص ٦٥ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١١٦ .
- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٢ .
- أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، جـ ١ ، ص ١٦٤ .

(٤) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٦ .

(٥) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٦) وهي مدينة غير مسورة وسط الصحراء وهي أول حد بلاد السودان (البكري : المغرب =

فافتتحهما ثم توجه بنفسه إلى برقة ، فصالح أهلها . [1]

ولا يستبعد أن تكون حملة عقبة بن نافع هذه عبارة عن سرية استطلاعية وأنها هي التي جعلت عمرو بن العاص يمكث بقية سنة ٢١هـ / ٦٤١م في الإسكندرية، ثم بدأ فتح برقة في أوائل سنة ٢٢هـ/ ٦٤٢م ولكن هذا لا ينبغي أن يكون عمرو بن العاص قد بدأ يستعد لفتحها ويرسل الطلائع اليها من أواخر سنة ٢١هـ / ٦٤١م وأن الفتح قد تم في الشهور الأولى من سنة ٢٢هـ/ ٦٤٢م ثم واصل عمرو سيره إلى طرابلس في سنة ٢٢هـ/٦٤٢م أو في أواخرها . [2]

فلما انتهى عمرو بن العاص من فتح الإسكندرية ، وتنظيم أمورها ، سار ببقية جيشه ، إلى مدينة برقة ومن المعلوم أن عمرو قد أتى إلى مصر بقوة تتراوح ما بين ٣٥٠٠ و ٤٠٠٠ جندي . [3] ثم أصبح مجموع جيشه بعد أن وصلته الإمدادات لا يزيد على الاثني عشر الفاً . [4] وإذا أدخلنا في حسابنا ما فقده عمرو من جند استشهدوا في فتح مصر ، وما تركه من جند للدفاع عنها ، أدركنا قلة عدد الجيش العربي ، الذي وصل به إلى برقة الأمر الذي سهل عليه مهمة السير نحو برقة دون أن يتطلب الإعداد لذلك مجهوداً كبيراً ، فلم يكن من الصعب على جيش في مثل هذا العدد أن يقطع الطريق فيما بين مصر وبرقة دون أية صعوبة ، وقد ساعده على ذلك ما عرف به الجند العرب في عصرهم الأول

= ص ١٠) ويذكر صاحب كتاب الاستبصار ، ص ١٤٦ ، أنها مدينة كبيرة قديمة أزلية تقرب من بلاد كانم وهي من السودان ... وهي مجتمع الرفاق وإليها يجلب الرقيق ومنها يخرج إلى بلاد افريقية وغيرها من البلاد .

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، بيروت ١٨٤٨ / ١٨٥١ جـ ١ ، ص ٨ .

(٢) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٧٠ ، ٧١ .

(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، الطبعة السابعة ١٩٦٤ ، جـ ١ ص ٢٣٤٥ .
– بتلر : فتح العرب لمصر ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٦٥/١٩٤٦ ، ص ١٧٣ .
Julien, A; Hist. de l'Afrique du nord, Paris 1964, p. 13.

(٤) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٣٨ .

من بساطة في التجهز للحرب ، والتزود لها وخبرة بفنون القتال في الصحراء فضلاً عما كان عليه هذا الطريق الساحلي بين مصر وبرقة من عمارة تشهد عليه الأطلال القائمة حتى الآن والتي تدل على ما كان يتمتع به هذا الجزء من حياة كانت حلقة صلة بين المدن ، المصرية ومدن برقة [1] وعندما وصل هذا الجيش إلى برقة ضرب عليها الحصار ، وتتفق معظم المصادر على أن برقة وهي مدينة إنطابلس [2] قد فتحت صلحاً ، وأن أهلها قد عاهدوا عمرو بن العاص على أن يدفعوا مبلغاً من الجزية مقدارها ثلاثة عشر ألف دينار . [3] وقد اختلف في سبب تحديد الجزية وعللها بعضهم بأنها كانت تمثل عدد الحالمين [4] ممن آثروا البقاء على مسيحيتهم ، ولم يعتنقوا الإسلام فحقت عليهم الجزية باعتبارهم أهل ذمة . [5]

وقد أدرج عمرو في كتابه لأهل إنطابلس قوله : « ان عليكم أن تبيعوا أبناءكم وبناتكم فيما عليكم من الجزية [6] ويبدو أن بيع الأبناء كان أمراً

---

(١) مصطفى عبد الله بعيو : المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٢) ومعناها بالرومية خمس مدن : وهي مدينة بين الاسكندرية وبرقة ، وقيل هي مدينة ناحية برقة ، (ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣٨١) .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، دار التعاون ، ١٩٧٤/١٩٦٨ ص ١١٦ .
– الطبري : تاريخ الامم والملوك ، بيروت ، جـ ٣ ، ص ١٢ .
– ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، بيروت جـ ٣ ص ١٢ ، ويذكر المقريزي في الخطط انها فتحت عنوة ، مجلد ٢ ، جـ ١ ، ص ٦٦ .

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٨ اذ يذكر ان الجزية كانت ديناراً على كل حالم .

(٥) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٥٧٤ .

(٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١١٦ .
– أبو عبيد : كتاب الاموال ، دار الفكر ، ١٣٩٥/١٩٧٥ ، ص ٢٤٠ .
– خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ١٩٦٧/١٩٦٨ ، جـ ١ ، ص ١٣٨ .

اختيارياً ، وهو ما توضحه الروايات الأخرى التي تذكر « أن يبيعوا من أحبوا من أبنائهم في جزيتهم » .[1]

ومن المستبعد أن يطلب العرب منهم بيع أبنائهم في حالة عجزهم عن دفع الجزية ويعتقد أنهم هم الذين اقترحوا على عمرو ذلك مبالغة منهم في إظهار حسن نيتهم وقد كان بيع الذراري والأبناء للوفاء بالجزية أمراً شائعاً عند البربر في ذلك الحين فلم يكن أمام عمرو إلا الترحيب بهذا العرض.[2] والحقيقة أن أخذ صغار لواتة من البنين والبنات ، لتربيتهم في كنف العرب ، كان يحقق ثلاثة أهداف رئيسية ، **أولها** ديني ، بتنشئتهم على العقيدة الإسلامية ونشر الدين عمل من أعمال البر والتقوى . **وثانيها** اجتماعي بتعريبهم عن طريق اللغة العربية وتربيتهم على العادات والتقاليد العربية ، ثم التزاوج معهم ، ونشر العروبة ، كان رسالة العرب ، **وثالثها** ، سياسي وهو نتيجة طبيعية لسابقيه تؤدي إلى توثيق أواصر الصلة بين العرب والبربر ، وفي ذلك توحيد وتقوية لدولة العرب .[3]

وبعد أن خضعت مدينة برقة للجيش الإسلامي ، تابع عمرو بن العاص سيره مع الطريق الساحلي القديم مستهدفاً مدينة طرابلس ، ففتح في طريقه بقية مدن برقة مثل توكير « توكرة » ويرنيق « بنغازي » وكانتا أطلالاً مهجورة أو على الأقل كانت حالتهما قد تدهورت بحيث لم تستحقا أن تذكرا في أخبار

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١١٦ .
– البلاذري : فتوح البلدان ، الطبعة الاولى ١٩٣٢/ جزء ١ ، ص ٢٢٥ .
– الطبري : تاريخ الامم والملوك ، مجلد ٢ ، جـ ٤ ، ص ٢٥٠ .
(٢) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٥٦ .
– سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٨٢ .
– السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٤٣ .
(٣) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٨٢ .

الفتح ، وكانتا من قبل مدينتين هامتين في الإقليم . [١] وفي نفس السنة ٢٢هـ / ٦٤٢م وصل عمرو بن العاص إلى مدينة أجدابية فافتتحها صلحاً على أن يدفع أهلها خمسة آلاف دينار وقد أسلم معظم أهلها . [٢]

وبينما عمرو بن العاص يواصل سيره نحو طرابلس ، كان يعمل على تثبيت فتح برقة وتأمين مواصلاته ، ولذلك أرسل عقبة بن نافع على رأس قوة من الجيش لغزو المناطق الداخلية من برقة ، بينما واصل هو مسيرته مع معظم الجيش نحو طرابلس .

أما عقبة بن نافع فقد توجه بتلك القوة في اتجاه الجنوب تاركاً بلاد ودان [٣] على يمينه ، وفاتحاً المناطق الداخلية حتى بلغ مدينة زويلة فافتتحها وفرض على أهلها ثلاثمائة رأس من الرقيق . وبذلك يكون عقبة بن نافع قد مهد لقيام الإسلام في مناطق نائية من الصحراء الجنوبية ، إلى حد أن عمرو بن العاص كتب إلى الخليفة يعلمه أنه قد ولى عقبة بن نافع المغرب فبلغ زويلة وان من بين زويلة وبرقة سلم كلهم ، حسنة طاعتهم قد أدى مسلمهم الصدقة ، وأقر معاهدهم بالجزية وأنه قد وضع على أهل زويلة ومن بينه وبينها ما رأى أنهم يطيقونه . وأمر عماله جميعاً «أن يأخذوا الصدقة من الأغنياء فيردوها في الفقراء، ويأخذوا الجزية من الذمة فتحمل اليه بمصر . وأن يؤخذ من أرض المسلمين ،

---

(١) محمد مصطفى بازامه : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ١٣٢ .

(٣) ودان : ناحية ومدينة في جنوب مدينة سرت ، وكانت مضمومة اليها وهي جزيرة لا تقتصر في رخص التمور وكثرتها وجودتها عن أوجلة ، (ابن حوقل : صورة الأرض ص ٧٠) ويذكر البكري : ان ودان مدينة في بلاد البربر وهي من حيز برقة ...... يسكنها قوم من العرب وبينها وبين قصر ابن ميمون ستة أيام ، وقصر ابن ميمون آخر عمل طرابلس ... (معجم ما استعجم ، الطبعة الاولى ١٣٦٤/١٩٤٥ جزء ٤ ، ص ١٣٧٥) .

العشر ونصف العشر ومن أهل الصلح صلحهم » .[1]

وحينما كان عقبة يتجه نحو الجنوب ، كان عمرو بن العاص يسير نحو طرابلس وفي طريقه اليها مر بسرت[2] ولم يواجه عناء في فتحها ، إذ لم يذكر أحد أنها فتحت عنوة ، أو صلحاً ، مما يدل على أنها لم تكن ذات خطر ، فاكتفى المسلمون باستسلامها ، ثم ساروا في طريقهم إلى لبدة .[3] فوجدوها خراباً مهدمة ، وحولها قبيل من السكان خليط من البربر والروم فافتتحوها دون مقاومة .[4]

حملة عمرو بن العاص على طرابلس

ثم تقدم عمرو بن العاص بجيشه حتّى وصل إلى مدينة طرابلس ، وكانت مدينة محصنة ، إذ إن الأسوار تحيط بها من جميع الجهات ، فيما عدا الجهة البحرية حيث كان الميناء ، ورابط عمرو في موضع مرتفع يشرف على المدينة

---

(١) البلاذري : فتح البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٢٦ .
– مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الامصار ، الاسكندرية ١٩٥٨ ، ص ١٤٦ .
– ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١١٦ .
– ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ٩ ... وفيها سنة ٢١ بعث عمرو بن العاص عقبة بن نافع الفهري فافتتح زويلة ، صلحا وما بين برقة وزويلة سلم للمسلمين . وقيل سنه عشرين .

(٢) سرت : وهي مدينة كبيرة على سيف البحر عليها سور طوب وبها جامع وحمام ، وأسواق ، ولها ثلاثة أبواب ، قبلي ، وجوفي ، وباب صغير إلى البحر ليس حولها أرباض (البكري : المغرب ، ص ٦) .

(٣) وهي مدينة فينيقية قديمة ، أسست في أوائل القرن العاشر ، واحتلها الروم سنة ٤٢ ق . م ... وتقع شرقي طرابلس بنحو ١٢٤ ك . م . وقد بنيت مدينة الخمس على جزء منها (الزاوي : معجم البلدان الليبية ، ص ٦) .

(٤) الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، دار المعارف ١٩٦٣/ ص ٣٩ ، ٤٤ .

من جهة الشرق وظل محاصراً لها لمدة شهر .[1]

ويروي كل من ابن عذاري والتيجاني أن سبب امتناع مدينة طرابلس عن التسليم يرجع إلى أن سكان المدينة قد استعانوا بقبيلة من البربر ، يعرفون بنفوسة ، دخلوا معهم في دين النصرانية[2] وإذا صحت هذه الرواية فإنها تفسر اهتمام عمرو بن العاص بإرسال قطعة من جيشه وهو على حصار طرابلس إلى ودان ، وذلك لمشاغلة نفوسة ، وصدها عن إعانة طرابلس .[3] وكان عمرو قد لمس في بشر بن أرطأة ما كان عليه من شجاعة وإقدام ، وتضحية وفداء ، وحسن تدبير للحرب ، فسيره في عدد من الفرسان لفتح ودان ، وبالفعل تمكن من فتحها وفرض على أهلها ثلاثمائة وستين رأساً .[4]

وإذا نظرنا إلى هذه الرواية نجد فيها نوعاً من الاختصار ، إذ لا يعقل أن يذهب بشر بن أرطأة ، وجماعته لفتح ودان وحدها ، دون البلاد الواقعة قبل هذه المدينة .

ولهذا نميل إلى الرأي القائل بأنه في إقامة عمرو بن العاص على طرابلس بعث بشر بن أرطأة ، ففتح ودان وجبال نفوسة .[5] فهذا الرأي أقرب إلى

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ، ص ١٤٩ .
— ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١١٦ ، ١١٧
— اليعقوبي : كتاب البلدان ، بيروت ١٩٦٠ ، ص ٣٤٦ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٨ .
— التيجاني : رحلة التيجاني ، تونس ١٣٧٨/١٩٥٨ ص ٢٣٩ .

(٣) احسان عباس : ليبيا منذ الفتح العربي حتّى مطلع القرن التاسع الهجري ، ص ٢٣ .

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٣٢ .
— البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ١٢ .
— ابن الابار : الحلة السيراء ، القاهرة ١٩٦٣ ، جزء ١ ص ٣٢٤ .

(٥) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، تونس ١٩٦٧ ، ص ٢٦ .

تصور الأحداث والمنطق والواقع الجغرافي ، إذا نحن فهمنا أن المقصود من عبارة جبل نفوسة ، هو ما يقع في الجنوب الشرقي من طرابلس ، وفيما بينها وبين ودان ، وليست سائر الجبل الذي كان يحمل هذا الاسم [1] وبفتح ودان وجبال نفوسة على يد بشر بن أرطأة اطمأن عمرو بن العاص من ناحية الجنوب وظل محاصراً لمدينة طرابلس حتى تمكن من فتحها . ويروي لنا أحد المؤرخين طريقة فتحه لهذه المدينة ، إذ يقول « ... فنزل على القبة التي على الشرف من شرقيها فحاصرها شهراً ، لا يقدر منهم على شيء ، فخرج رجل من بني مدلج ذات يوم ، من عسكر عمرو متصيداً ، في سبعة نفر فمضوا غربي المدينة ، حتى أمعنوا عن العسكر ، ثم رجعوا ، فأصابهم الحر ، فأخذوا على ضفة البحر ، وكان البحر لاصقاً بسور المدينة ، ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور ، وكانت سفن الروم شارعة في مرساها إلى بيوتهم ، فنظر المدلجي وأصحابه فإذا البحر قد غاض من ناحية المدينة ، فدخلوا منه حتى أتوا ناحية المدينة ، ووجدوا مسلكاً إليها من الموضع الذي غاض منه البحر ، فدخلوا منه حتى أتوا ناحية الكنيسة وكبروا فلم يكن للروم مفزع إلا سفنهم ، وأبصر عمرو وأصحابه السلة في جوف المدينة ، فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم ، فلم تفلت الروم إلا بما خف لهم في مراكبهم وغنم عمرو ما كان بالمدينة [2] ومن المرجح أن تكون المجموعة التي خرجت مع المدلجي كانت عبارة عن حملة استطلاعية استكشافية ، ولكن ربما يتساءل البعض كيف يمكن لهذه المجموعة الصغيرة أن تقحم نفسها وسط المدينة قبل أن يصلها جيش عمرو بن العاص ؟ غير أننا لو رجعنا إلى نص التيجاني عن فتح طرابلس لبين لنا ذلك إذ يقول : « بأنه عندما نظر المدلجي وأصحابه إلى البحر ، وقد حسر من جهة المدينة عن

---

(١) محمد مصطفى بازامه : المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١١٦ ، ١١٧ .

مسلك يمكن النفوذ إليها منه ندبوا جماعة واقتحموا المدينة ..» . [1] وبذلك تمكن عمرو بن العاص من فتح مدينة طرابلس دون صعوبة تذكر ، حيث أصاب بها أحمال زيتون كثيرة مع تجار من تجارها فباعه وقسم ثمنه بين المسلمين . [2]

فتح مدينة صبرة

وبعد أن تم لعمرو بن العاص فتح مدينة طرابلس ، وجه خيله على غفلة إلى مدينة صبرة — وهي في اتجاه الحدود التونسية — بقيادة عبد الله بن الزبير . وكان أهل هذه المدينة قد تحصنوا عندما علموا بمحاصرة عمرو بن العاص لمدينة طرابلس . [3]

ولكن عندما امتنعت مدينة طرابلس ، اطمأن أهل صبرة ، وظنوا أن عمراً لا طاقة له بهم . ولكن عمراً كان قائداً بارعاً ، فما ان ظفر بمدينة طرابلس حتّى جرد خيلاً كثيفة من ليلته ، وأمرهم بسرعة السير ، فتقدمت الخيل إلى هذه المدينة في الصباح الباكر ، وكان أهلها قد اطمأنوا ، وفتحوا أبواب المدينة ، وأخرجوا ماشيتهم لترعى فاستطاع ذلك الجيش أن يحتوي على المدينة بسهولة ويسر .

ويذكر ابن عبد الحكم أن المسلمين عندما دخلوا مدينة صبرة ، قضوا على سكانها ، ولم ينج منهم أحد [4] ولكن ليس من المعقول أن يقضي الجيش

---

(١) التيجاني : رحلة التيجاني ، ص ٢٣٩ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٢٧ ، يذكر ان المسلمين أصابوا أحمال بزيون ، وربما كان المقصود أحمال زيتون ، وليس بزيون .

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٥٢١ .
— ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ١٣ .
— السلاوي : الاستقصا ، الدار البيضاء ٩٥٤ جزء ١/ ص ٦٥ .

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١١٧ .

العربي على كل سكان المدينة ، ومن المرجح أن هذه الرواية إنما تقصد أنه لم يهرب منهم أحد ، إلا ناس قلائل توجهوا في مراكب لهم إلى صقلية ، واحتوى أصحاب عمرو ، على ما فيها ورجعوا إلى عمرو ... » .

وقبل مغادرته طرابلس إلى صبرة ، هدم عمرو بن العاص سور مدينة طرابلس ومن الممكن أن يكون سبب ذلك هو أن أهل مدينة طرابلس قد تحصنوا وراء أسوارها المنيعة ، عندما ، أتى عمرو لفتحها ، فخاف أن يتحصنوا وراء هذه الأسوار مرة أخرى بعد أن يغادرها إلى صبرة ، وعندما وصل عمرو إلى مدينة صبرة رتب من أمورها ما أمكن ترتيبها. [1]

ويختتم ابن عبد الحكم قصة فتح طرابلس وصبرة ، برواية منسوبة إلى أبي تميم الجيشاني ، عن مسألة قضاء صوم أيام من رمضان هل تقضى مرة واحدة أو متفرقة [2] ويفهم من هذه الرواية أن هذه الغزوة وقعت في شهر رمضان . [3]

ولم يشأ عمرو أن يتقدم إلى الغرب لقلة القوة التي معه ، ولأنه يعلم أن مدناً كثيرة للروم والبربر ، ما زالت أمامه كما أن عيونه أخبرته بكثرة تجمعات الروم ، والبربر في تلك المدن . ومن أجل ذلك وتنفيذاً لما تقتضيه الخطط الحربية ، أراد أن يستأذن الخليفة عمر بن الخطاب في التقدم نحو إفريقية ، وطالباً منه المدد إذا ما وافق الخليفة على ذلك ، فكتب له يقول « إن الله قد فتح علينا طرابلس وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ، ويفتحها على يديه فعل » . [4]

---

(١) التيجاني : رحلة التيجاني ، ص ٢١٢ .
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١١٧ .
(٣) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٩٢ .
(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١١٧ .
– ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ١٤ .

فتح مدينة شروس وعودته إلى مصر

ويبدو أن عمرو بن العاص كان لا يريد أن يضيع الفرصة ، وينتظر بدون عمل حتى يأتيه رد الخليفة عمر بن الخطاب في شأن إفريقية ، فسار إلى شروس [1] ، وهي إحدى عاصمتي جبل نفوسة لفتحها ، وما زال بها حتى فتحها . ولا ندري هل فتحت صلحاً أم عنوة لأننا لا نرى أحداً ذكر ذلك . وفي مدينة شروس ، وصله كتاب الخليفة عمر بن الخطاب في شأن إفريقية ، إذ يقول له « لا انها ليست بإفريقية ولكنها المفرقة ، غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت»[2] ومعنى ذلك أن الخليفة عمر بن الخطاب لا يريد أن يقحم الجيش الإسلامي في أمور إفريقية ، ولا سيما انه كان يعرف ما يدور في إفريقية من أحداث ، بين أهلها وبين الروم ، وهو ما يتضح من رسالته إلى عمرو بحيث يقول له « ... وذلك أن أهلها كانوا يؤدون إلى ملك الروم شيئاً فكانوا يغدرون به كثيراً وكان ملك الأندلس صالحهم ، ثم غدر بهم ، وكان خبرهم قد بلغ عمر» . [3] ولهذه الأسباب رجع عمرو بن العاص من نفوسة بكتاب عمر رضي الله عنه . [4] أضف إلى ذلك أن عمرو بن العاص كان قد عقد عهداً بينه وبين المقوقس ، قبل أن يغادر الإسكندرية ، على ألا يكتمه

---

(١) وهي مدينة كبيرة جليلة قديمة ، فيها آثار للاول ، وليس بها جامع ولا فيما حولها من القرى (الاستبصار ص ١٤٤) ويذكر (ياقوت : معجم ، ج ٣ ص ٨٥) انها مدينة جليلة في جبل نفوسة من ناحية افريقية ... وبينها وبين طرابلس خمسة أيام بينهما حصن لبدة ...

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص ١١٧ .

— البكري : معجم ما استعجم ، ج ١ ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

— ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٤٤ .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ، ج ١ ، ص ٢٢٧ .

(٤) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٩ ، ١٠ .

— مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الامصار ، ص ١٤٤ .

المقوقس أمراً يحدث ، وعندما وصل عمرو عائداً إلى إقليم طرابلس ، أتاه كتاب المقوقس يذكر له فيه أن الروم يريدون نكث العهد ، ونقض ما كان بينهم وبينه ، فانصرف عمرو راجعاً مبادراً لما أتاه ، إلى مصر .[1]

وهكذا تمكن عمرو بن العاص ، من فتح هذا الإقليم ، وذلك بدون أن يجد أي مقاومة ملحوظة من البربر وكل ما لاقاه العرب المسلمون من مقاومة كانت من الروم ولا يخلو الأمر من أنه كان مع الروم جماعة من الأفارقة والبربر يؤدون مهمة الجند أو المحافظة على الأمن في الحصون والمدن . ولكن لم تكن توجد تلك التجمعات الكبيرة والجموع المحتشدة ، من البربر ، لرد العرب المسلمين ، ولمقاومة فتحهم ، وكانت كل مقاومة الروم مقتصرة على المدن الساحلية ، وعلى محاور الطرق الساحلية ، وكان العرب أثناء الفتح يسلكون الطرق التي تمر في قلب بلاد البربر في وسط منازلهم فكانوا يمرون ببرقة ، وهي مواطن لواتة ، ومنها يمرون بسرت وما بعدها إلى طرابلس وهي مواطن هوارة ، ويقع على جنوب طريقهم جبل نفوسة ، وهو موطن من مواطن البربر القوية .

غير أن المؤرخين لم يذكروا لتلك القبائل البربرية أي نشاط عدائي لمقاومة الفتح الإسلامي ولعل ذلك يرجع إلى أن البربر كانوا ينظرون إلى الروم نظرة المستعمر وأنهم نظروا إلى العرب المسلمين نظرة المحرر لهم من ربقة الاستعمار الذي طال تعسفه واستغلاله لمواردهم .[2]

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١١٧ .

(٢) محمود شيت خطاب : عقبة بن نافع الفهري ، القاهرة ١٣٩١ – ١٩٧١ ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ .

حملة عبد الله بن سعد على افريقية وموقفه من برقة وطرابلس

وفي سنة ٢٦هـ / ٦٤٦م عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر ، واستعمل عليها عبد الله بن سعد ، وكان أخاً لعثمان بن عفان في الرضاعة ، وكان عبدالله ابن سعد يبعث جرائد الخيل كما كانوا يفعلون في أيام عمرو بن العاص فيصيبون من أطراف إفريقية ويغنمون .[1]

ويبدو أن تسيير عبد الله بن سعد لهذه الجرائد كان قبل موافقة الخليفة عثمان له على مهاجمة إفريقية وذلك أنه كان يكتب إليه ويخبره بما ناله المسلمون من عدوهم .ويقرب إفريقية من بلاد المسلمين ويستأذنه في غزوها[2] .

ومن المرجح أن يكون كل من عقبة بن نافع ، وبشر بن أبي أرطأة في تلك الجرائد ، لأن عقبة بن نافع بقي في برقة حينما رجع عمرو بن العاص إلى

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٢٤ .
- ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٤٥ .
- ابن خلدون : العبر ، المجلد الثاني ، بيروت ١٩٦٧ ، ص ١٠٠٢ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٢٤ .
- المالكي : رياض النفوس ، القاهرة ١٩٥١ جزء ١ ، ص ٩ .
- ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٤٤ .

مصر .[1] ولأنه كان قد اكتسب خبرة ببرقة وبعض الجهات الجنوبية من طرابلس .[2]

وأما بشر بن أبي أرطأة فكان قد توجه إلى مغمداش[3] من سرت سنة ٢٦هـ ، قاصداً فتحها ، وهذا التاريخ لا يبعد عن الفترة التي كان عبد الله بن سعد يبعث فيها بجنده لغزو أطراف إفريقية .[4]

ولما استأذن عبد الله بن سعد الخليفة عثمان بن عفان في غزو إفريقية ، جمع الصحابة واستشارهم في ذلك ، فأشاروا عليه بفتحها ، إلا الأعور سعيد ابن زيد ، الذي خالفه متمسكاً برأي عمر بن الخطاب ، في ألا يغزو إفريقية أحد من المسلمين .[5]

ولما أجمع الصحابة على ذلك ، دعا عثمان للجهاد ، واستعدت المدينة عاصمة الخلافة الإسلامية لجمع المتطوعين ، وتجهيزهم ، وترحيلهم إلى مصر ، لغزو إفريقية تحت قيادة عبد الله بن سعد .

وقد ظهر الاهتمام بأمر تلك الغزوة جلياً ، فهذا يتضح من الذين خرجوا اليها من كبار الصحابة ومن خير شباب آل البيت ، وأبناء المهاجرين الأوائل . فقد خرج في تلك الغزوة ، الحسن والحسين وعبد الله بن الزبير ، وابن عباس وابن جعفر ، وغيرهم .[6] هذا وقد خرج من قبيلة مهرة وحدها في غزوة عبد الله بن سعد ستمائة رجل ، ومن غنث سبعمائة رجل ، ومن ميدعان

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ٤٥ .
(٢) الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ص ١٠٢ .
(٣) مغمداش : وهو صنم قائم على شاطىء البحر حوله أصنام (البكري : المغرب ص ٧) .
(٤) محمد مصطفى بازامه : المرجع السابق ، ص ١٥١ ، ١٥٢ .
(٥) المالكي : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٩
(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٤٥ .
– ابن خلدون : العبر ، المجلد الثاني ، ص ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ .

سبعمائة رجل .[1]

وعندما بات الاستعداد تاماً خطب عثمان فيهم ، ورغّبهم في الجهاد ، وقال لهم « لقد استعملت عليكم الحارث بن الحكم إلى أن تقدموا على عبد الله ابن سعد فيكون الأمر إليه ، وأستودعكم الله » .[2] ويقال أن عثمان قد أعان هذه الغزوة بألف بعير يحمل عليها ضعفاء الناس .[3]

وعندما وصل هذا الجيش إلى مصر ، انضم إلى جيش عبد الله بن سعد ، وتقدم من الفسطاط تحت قيادة عبد الله ذلك الجيش الذي يقدر بعشرين ألفاً[4] يخترق الحدود المصرية الليبية . وعندما وصلوا إلى برقة انضم إليهم عقبة بن نافع الفهري فيمن معه من المسلمين .[5]

ولم يواجه الجيش العربي ، أية صعوبة أثناء سيرهم في برقة ، وذلك لأنها ظلت وفية لما عاهدت المسلمين عليه من شروط زمن عمرو بن العاص،حتّى انه لم يكن يدخلها جابي خراج وإنما كانت تبعث بخراجها إلى مصر في الوقت المناسب .[6] ومما يؤكد بقاء برقة على عهدها لعمرو بن العاص ، ما ذكر عنه ، أنه سمع يقول « قعدت مقعدي هذا ، وما لأحد من قبط مصر عليّ عهد إلا

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٢٥ .
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٢٤ .
– ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٩ .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٩ .
(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٢٥ .
(٥) ابن الأثير : الكامل ، في التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٤٥ .
– ابن خلدون : العبر ، المجلد الثاني ، ص ١٠٠٣ .
(٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١١٦ .
– البلاذري : فتوح البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٢٦ .
– ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جامعة فؤاد ١٩٥٣ جـ ١ ، ص ٤٤ .

أهل أنطابلس فإن لهم عهداً يوفى لهم به » (١) كما أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يقول « ولولا مالي بالحجاز لنزلت برقة ، فما أعلم منزلاً أسلم ولا أعزل منها . » (٢)

وبعد انضمام عقبة بن نافع إلى هذا الجيش اتجه صوب إفريقية ، وكان عبد الله بن سعد يرسل الطلائع في كل الاتجاهات الضرورية ، لاستطلاع أحوال المناطق المختلفة ، وكانت هذه الطلائع تعود إلى القائد بالأخبار جالبة معها البقر والشياه وعلف الدواب . (٣)

ولما دنا الجيش من طرابلس تقدمته اليها إحدى تلك الطلائع التي كان يرسلها عبد الله بن سعد ، فوجد أفرادها مراكب للروم راسية على الساحل ، فشدوا عليها وغنموا ما فيها وأسروا مائة من أصحابها ، غير أنهم لم يتعرضوا للأهلين بشيء وذلك لأنهم تحصنوا داخل مدينتهم . (٤)

وكانت هذه أول غنيمة أصابها المسلمون (٥) وكانت هذه المراكب قد وصلت

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١١٦ .
– البكري : معجم ما استعجم ، ج ١ ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .
– ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ص ٨٩٨ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ج ١ ، ص ٢٢٦ .
– ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٧٤ .

(٣) الدباغ : معالم الايمان ، طبعة ، ١٩٧٢/١٩٦٨ ج ١ ، ص ٣٣ .
– المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ١٠ .

(٤) الدباغ : معالم الايمان ، ج ١ ، ص ٣٣ .
– المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ١٠ .
– النويري : نهاية الارب ، مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٥٤٩ ، ج ٢٢ القسم الاول ، ص ٢ .

(٥) عبيد الله بن صالح : نص جديد عن فتح العرب المغرب – صحيفة معهد الدراسات الافريقية مجلد ٢ ، سنة ١٩٥٤ ، ص ٢١٦ .

إلى طرابلس إما للتجارة أو لتعزيز من كان بها من الروم ، وان المصادفة وحدها هي التي جعلت طليعة الجيش الإسلامي تحول دون تحقيق أحد الهدفين ، ولم يتحصن أهل طرابلس بها امتناعاً على ذلك الجيش ، وإنما أخافتهم حادثة المراكب ، فالتزموا بيوتهم خشية أن يأخذهم عبد الله بن سعد بتهمة التواطؤ مع السفن الرومية .[1]

ولكن الذي يتضح لنا من خلال الروايات أن هذه السفن لم تكن سفناً تجارية بل انها كانت سفناً حربية ، وذلك لأن عبد الله بن سعد عندما وصل إلى مدينة طرابلس قام بقتل الأسرى جميعاً .[2] فلو كان هؤلاء الأسرى تجاراً لما فعل عبد الله بن سعد بهم ذلك .

ولهذا نرجح أن مدينة طرابلس بعد عودة عمرو بن العاص كانت قد ارتدت بفضل ما كان يصل إليها من الإمدادات من المناطق القريبة منها ، بالإضافة إلى ذلك أن أهل هذه المدينة أخذوا يعملون على تحصين مدينتهم حتى أصبحت على الوضع الذي بقيت عليه حتى قدم عبد الله بن سعد إليها .

هذا كما أن معظم الروايات تؤكد أن عبد الله بن سعد لم يقم بفتح هذه المدينة ، وتذكر أن أهلها تحصنوا من جيش عبد الله بن سعد ، وأن الجيش تركها دون أن يفتحها ، وواصل سيره متجهاً نحو إفريقية .[3]

غير أننا نرجح هذا الرأي ، القائل بأن عبد الله بن سعد لم يقم بفتح المدينة ، وأنه اكتفى منهم بتركهم في أمان حتى لا ينهك قواه في إعادة فتحها ولا سيما أنه تمكن من طرد السفن الرومية التي وصلت اليها . ولعل هذه الأسباب نفسها

---

(١) احسان عباس : المرجع السابق ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) الدباغ : معالم الايمان ، ج ١ ، ص ٣٣ .

– المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ١٠ .

(٣) المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ١٠ .

هي التي جعلته يترك قابس دون أن يفتحها ، إذ إن المسلمين قد أشاروا عليه في قابس ألا يشتغل بالحصون حتى يعلموا كيف حالهم مع جموع إفريقية .(١)

ولذلك ترك عبد الله بن سعد طرابلس واكتفى منها بتركهم في أمان وسار بجيشه إلى إفريقية ، وبث السرايا في كل ناحية . وكان حاكم إفريقية شخص يدعى جرجير « جريجوريوس » وكان يملك المنطقة الواقعة بين طرابلس وطنجة تحت ولاية هرقل وكان يحمل إلى هرقل خراج تلك المنطقة .(٢)

وكانت تلك الطلائع التي يبعثها عبد الله بن سعد تعود إليه بالأخبار ومحملة بالغنائم ، من كل ناحية .(٣)

حتى وصل جيش المسلمين إلى مدينة سبيطلة .(٤) وفي هذا المكان التقى

---

(١) عبيد الله بن صالح : نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، ص ٢١٦ .

(٢) المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ١٢ .

– ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٣ ، ص ٤٥ .

– السلاوي : الاستقصا ، ج ١ ، ص ٦٧ .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٩ .

– ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، ص ٢٦ .

(٤) التقى المسلمون بجيش جرجير البالغ عدده مائة وعشرين ألفاً بمكان يدعى عقوبة بينه وبين سبيطلة يوم وليلة ، فنشبت معركة حامية بين الطرفين هناك وراسل عبد الله بن سعد حاكم افريقية جرجير يدعوه إلى الاسلام أو الجزية فامتنع منهما وتكبر عن قبول أحدهما فاستأنف عبد الله بن سرح القتال واستمرت الحرب أياما ، وانقطعت أخبار عبد الله بن أبي سرح عن مركز الخلافة فأرسل عثمان بن عفان ، عبد الله بن الزبير ، في جماعة لموافاته بأخبار الجند ، ولما وصل ابن الزبير إلى افريقية لم ترقه الخطة التي سار عليها ابن أبي سرح في قتال الأعداء اذ كان يقاتلهم كل يوم إلى وقت الظهيرة ثم يعود الجيشان إلى معسكرهما في اليوم التالي . وقد أنكر ابن الزبير على ابن أبي سرح خطته هذه لما رأى فيها من اتاحة الفرصة للعدو والاستعداد وأشار عليه بتقسيم جيش المسلمين إلى فريقين : أحدهما يسير لقتال العدو أول النهار ، =

جيش عبد الله بن سعد ، مع جيش جرجير الذي بلغ حوالي مائة وعشرين ألفاً وتبودلت الرسائل بين القائدين ، على أن يقبل جرجير الإسلام ، أو يدفع الجزية غير أنه رفض ذلك . فضاق أمر المسلمين ، واختلفوا مع عبد الله بن سعد في الرأي فدخل فسطاطه مفكراً ، بينما تأهب جرجير للحرب ، وجعل ابنته على ديدبان عال وأقسم بأن من يقتل أمير المؤمنين زوجه ابنته . [1]

وكان ذلك تشجيعاً لجيشه على قتال المسلمين ، فبلغ ذلك عبد الله بن سعد ، فأقسم أن من يقتل جرجير نفلته ابنته ، والتحم الجيشان ، وانتصر المسلمون وقتل جرجير ، على يد عبد الله بن الزبير . [2]

فلما رأى الروم الذين بالساحل ما حل « بجرجير » وأهل سبيطلة ، غارت أنفسهم ، وتجمعوا وكاتب بعضهم بعضاً في حرب عبد الله بن سعد ، فخاف منهم لما معه من الغنائم ، فكتب إلى نائبه بمصر ، يأمره أن ينفذ إليه مراكب في البحر يجعل فيها غنائم المسلمين ، فأخذ نائبه فيما أمره به ، فاتصل بالروم قصد عبد الله بن سعد إياهم ، فخافوه وراسلوه ، وجعلوا له جعلاً على أن يرتحل بجيشه وألا يعترضوه بشيء ، ووجهوا إليه ثلاثمائة قنطار من الذهب في

= على حين تأخذ الاخرى قسطها من الراحة وتستعد لمباغتة العدو عندما يأوي إلى معسكره ، وشرع ابن الزبير في تنفيذ خطته ولما حان الموعد المضروب لانصراف الجيشين استعدت الفرقة التي لم تخرج للحرب أول النهار ، وهجم بها على العدو الذي أنهكته الحرب . ثم غشيهم في خيامهم ، وهزمهم ، هزيمة منكرة ، وقتل جرجير ، وبذلك تم النصر للمسلمين ، ولولا خطة ابن الزبير وحيلته لما أحرز المسلمون هذا النصر . وقد غنم المسلمون في هذه الحرب غنائم كثيرة حتى قيل أن سهم الفارس بلغ ثلاثمة ألف دينار والرجل ألف دينار . (حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ ١ ، ص ٢٦١ ، ٢٦٢) .

(١) ابن أبي عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٠ .

– ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، ص ٢٦ .

(٢) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، ص ٢٦ .

بعض الروايات ، وفي البعض الآخر مائة قنطار ، جزية في كل سنة على أن يكف عنهم ويخرج من بلادهم ، فقبل ذلك منهم وقبض المال ، وكان في شرط صلحهم إن ما أصاب المسلمون قبل الصلح فهو لهم ، وما أصابوه بعد الصلح ردوه عليهم وانصرف راجعاً إلى مصر .[1] بعد أن أقام بإفريقية سنة وثلاثة أشهر ، أو سنة وشهراً في رواية أخرى .[2]

وتذكر الرواية أنه عندما وصل إلى طرابلس وافته المراكب فحمل فيها أثقال جيشه وقصد هو وأصحابه إلى مصر سالمين ، ووجه إلى عثمان بن عفان ، رضي الله تعالى عنه ، بالأموال التي معه من الخمس وغيره .[3]

ومن المرجح أن تكون السفن التي وافته في طرابلس من السفن التي استولى عليها المسلمون في سورية والإسكندرية ، إذ يذكر ارشيبالد ، أنه قد سهل على العرب بفضل استيلائهم على دور الصناعة البيزنطية في الإسكندرية وسورية سليمة أن تكون لديهم سفن حربية إما حاضرة وإما سهلة الإنشاء ، كما كانت تحت أيديهم السفن التجارية التي يملكها أهل سورية ومصر وهذه يمكن الاستيلاء عليها ، واستخدامها في أغراض الحرب ، مع ما يكفيها من ملاحي تلك الثغور الخبيرين بشئون الملاحة .[4]

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٢٥ .
– ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٢ .
– المالكي : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ١٧ .
– عبيد الله بن صالح : نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، ص ٢١٨ .

(٢) المالكي : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ١٧ .
– السلاوي : الاستقصا ، جـ ١ ، ص ٦٨ .

(٣) المالكي : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ١٧ .

(٤) لويس ارشيبالد : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، القاهرة ١٩٦٠ ص ٩٠ .

أحداث فتح برقة وطرابلس منذ ولاية معاوية بن حديج حتى ولاية موسى بن نصير

بعد أن قامت الفتنة بالمشرق ، وكثر الطعن على الخليفة عثمان ، رجع عبد الله بن سعد بعد أن صالح نصارى إفريقية على الجزية كما سبق أن بينا . (١)

ومرت سنوات على رجوع عبد الله بن سعد من إفريقية دون أن نسمع شيئاً عنها اللهم إلا ما ذكرته بعض الروايات من أن معاوية بن حديج قد غزا إفريقية سنة ٣٤هـ / ٦٥٤م وأنه قام بفتح بعض المناطق في إفريقية مثل مدينة جلولاء . (٢) بينما نجد رواية أخرى تجعل هذا الفتح سنة ٤٥هـ / ٦٦٥م ، (٣) وثالثة تذكر هذه الحوادث على أنها كانت في سنة ٥٠هـ / ٦٧٠ م ، وتضيف أن معاوية ابن أبي سفيان كتب إلى مروان بن الحكم عامله على المدينة أن يبعث ابنه عبد الملك إلى إفريقية على بعث المدينة . (٤)

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٢ .
- عبيد الله بن صالح : نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، ص ٢١٨ .
- ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، ص ٢٧ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٣١ .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٧ .

(٤) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، جـ ١ ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

ولو نظرنا إلى هذه الروايات الثلاث ، لوجدنا أن معاوية بن حديج لم يقم بغزوته إلى إفريقية سنة ٣٤هـ / ٦٥٤م ، وفتنة الأمصار التي أطاحت بخلافة عثمان على أشدها ، ولا يعقل أن يقوم ابن حديج بكل ما قام به من أعمال غزوية في سنة واحدة ، ثم يعود إلى مصر في سنة ٣٥هـ ، لكي يتزعم حزب العثمانية في مصر ، ويطالب بدم عثمان .[1] ومن المرجح أن ما حدث فيها كان عبارة عن حملة بسيطة قام بها معاوية بن حديج ، ولم يقم فيها بفتح أي مدينة ، وأن الغرض من هذه الحملة أن يبين لسكان إفريقية أن العرب على صلة دائمة بما يجري هناك .

أما بالنسبة لسنة ٥٠هـ / ٦٧٠م فنحن نعلم أن معاوية بن حديج ، قد رجع من إفريقية إلى مصر سنة ٤٧هـ / ٦٦٧م وذلك بعد أن عزل معاوية بن أبي سفيان عبد الله بن عمرو بن العاص عن مصر ، وولاها لمعاوية بن حديج . وفي السنة التي تليها ٤٨هـ / ٦٦٨م كان معاوية بن حديج ، عاملاً على مصر وإفريقية إلى أن عزله معاوية بن أبي سفيان عن ولاية إفريقية وأقره على ولاية مصر فقط سنة ٥٠هـ / ٦٧٠م ،[2] هذا فضلاً عن أنه في هذه الفترة كان عقبة بن نافع في إفريقية .

ولهذا نرجح سنة ٤٥هـ ، وذلك في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، لأن في هذه الفترة كان مروان بن الحكم عاملاً لمعاوية بن أبي سفيان على المدينة وله السلطة الكاملة في أن يكتب إليه ويأمره بالإضافة إلى ذلك أن ابنه عبد الملك كان قد وصل إلى سن[3] تمكنه من قيادة الجيش إلى المغرب .

هذا ونحن لا نسمع عن الأحوال في برقة وطرابلس خلال فتنة عثمان بن

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٧٩ .
(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٨ ، ١٩ .
(٣) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٩١ ، ولد عبد الملك بن مروان بالمدينة سنة ٢٦ هـ في خلافة عثمان بن عفان .

عفان التي انتهت بمقتله سنة ٣٥هـ / ٦٥٥م . إلا أنه في سنة ٣٦هـ / ٦٥٦م قام شيعة عثمان بمبايعة معاوية بن حديج وسار بهم إلى الصعيد ، حيث بعث إليه محمد بن أبي حذيفة ، جيشاً والتقى الجمعان بدقناس من كورة البهنسا فهزم أصحاب ابن حذيفة ابن حديج إلى برقة. ولكنه ما لبث أن عاد إلى الإسكندرية. [1]

ولا نعرف هل كان معاوية بن حديج يرمي إلى الاستيلاء على الإسكندرية وأنه تم له ذلك ؟ أم أنه لم يظفر بها فاضطر إلى الرجوع إلى برقة . [2] أما في الفترة الواقعة بين سنتي ٤٠ – ٤٥ هـ/ ٦٦٠ – ٦٦٥ م فيتضح منهـا أن المناطق الجنوبية من طرابلس ، قد نقضت العهد ، مما دفع عمرو بن العاص وهو وال على مصر للمرة الثانية (٣٨ – ٤٣هـ / ٦٥٨ – ٦٦٣ م) إلى إرسال شريك بن سمي الغطفي إلى لواتة من البربر ، فغزاهم سنة ٤٠هـ وصالحهم ، ثم انتقضوا فبعث إليهم عقبة بن نافع سنة ٤١هـ ، وعندما وصل عقبة بن نافع إلى تلك المنطقة ، طارد هوارة ، ولواتة ، ومزاتة ، وقاتلهم حتى تمكن من الانتصار عليهم ، واضطرهم إلى طلب الصلح ، غير أنه رفض ذلك في أول الأمر. [3] وقال لهم أنه ليس لمشرك عهد عندنا ، إن الله عز وجل يقول في كتابه « كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إلاَّ الذينَ عَاهدتُم عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُم فاستَقِيمُوا لَهُمْ إنَّ اللهَ يُحِبُ المُتَّقِينَ ». [4] ولكن أبايعكم على أنكم توفوني ذمتي إن شئنا أقررناكم وإن شئنا بعناكم . [5] وفي سنة ٤٢هـ/٦٦٢م قام عقبة بن نافع بفتح

(١) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، لبنان ، جـ ١ ، ص ٦٧ .
(٢) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٣٥ .
(٣) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، جـ ١ ، ص ٢٣٥ .
– ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٠٩ .
– المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ ١ ، ص ٦٩ .
(٤) سورة التوبة – آية ٧ .
(٥) الكندي : الولاة والقضاة ، لايدن ١٩١٢ ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

غدامس [1] . وفي السنة التي تليها وهي سنة ٤٣هـ / ٦٦٣م فتح بلاد ودان وكوراً من كور السودان ، هذا كما عقد لشريك بن سمي في نفس السنة على غزو لبدة ، حينما كان عمرو على فراش الموت . [2]

أما في سنة ٤٥هـ / ٦٦٥م فقد أرسل معاوية بن أبي سفيان ، بعد أن توطدت سلطته في الخلافة معاوية بن حديج إلى إفريقية ، في عشرة آلاف مقاتل وكان معه عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير ، وعبد الملك ابن مروان ويحيى بن أبي الحكم بن العاص ، وعدة من أشراف قريش [3] ولا شك أن مرور قوات معاوية بن حديج إلى إفريقية كان عبر المناطق الليبية غير أن أحداً من المؤرخين لم يذكر لنا أن هذه القوات لقيت أية مقاومة عبر المناطق الليبية ، ولعل ذلك يرجع إلى مجهودات ، كل من عقبة بن نافع وشريك بن سمي في السنوات السابقة على غزوة معاوية بن حديج هذا ، بالإضافة إلى ذلك فإن قتل جرجير كان له أثر سيء على نفوس الروم والبربر جعلهم لا يفكرون فيما وراء سبيطلة وما حولها ، كما زاد من سوء حالتهم الفتنة التي نشبت بينهم وبين هرقل بسبب طرد مندوبه أوليمة . [4] ولهذا

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٥ .
- عبد الله بن صالح : نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، ص ٢١٨ .
- ابن خلدون : العبر ، ج ٣ ، ص ٢١ .
- ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، ص ٣٠ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .
- الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٣٣ .
- السلاوي : الاستقصا ، ج ١ ، ص ٦٩ .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٧ .
Julien, op. cit., p. 16.

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٧ .

تغافلوا عن طرابلس ولم يحاولوا الرجوع إليها ، وهذا ما جعل أهل طرابلس على الاحتفاظ بعهدهم مع العرب فلم يبدوا أية مقاومة ضد ابن حديج . (١) وعند مرور ابن حديج بطرابلس عين عليها رويفع بن ثابت الانصاري وذلك سنة (٤٦هـ / ٦٦٦م) ثم اتجه هو إلى إفريقية ، حيث قام بفتح جلولاء وسوسة وبنزرت . وفي السنة التي تليها ، قام رويفع بن ثابت الأنصاري بغزو جزيرة جربة فافتتحها ورجع من عامه حيث توفي في برقة . (٢) ولا يزال ضريحه ماثلاً إلى الآن في مدينة البيضاء يأتي إليه الزوار من كل مكان .

عقبة بن نافع

وتذكر الروايات التاريخية أنه بعد معاوية بن حديج خرج عقبة بن نافع إلى إفريقية إلا أن بعض هذه الروايات تجعل هذا الخروج سنة ٤٦هـ/٦٦٦م(٣) ولكننا نعلم أن معاوية بن حديج قد رجع إلى إفريقية بعد أن فتح رودس سنة ٤٧هـ — ٦٦٧م ومن المرجح أن عقبة بن نافع قد خرج إلى إفريقية سنة ٤٩هـ / ٦٦٩م كما يذكر ابن عذاري . (٤) أو في أوائلها ولا سيما أنه خرج بعد معاوية بن حديج كما يذكر ابن عبد الحكم . (٥)

وكان مع عقبة بن نافع في هذه الغزوة بشر بن أبي أرطأة ، وشريك بن سمي المرادي ، وتقدم عقبة بن نافع بقواته إلى أن وصل مغمداش من سرت — وكان بشر بن أبي أرطأة ، قد توجه إليها قبل ذلك سنة ٢٦هـ / ٦٤٦م من

---

(١) الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ص ٧٧ .
(٢) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، جـ ١ ، ص ٢٤٤ .
— الدباغ : معالم الايمان ، جـ ١ ، ص ١٢٢ .
— ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٢٨ ، ٢٩ .
(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٣٢ .
(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٨ .
(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٣٢ .

سرت – فلما وصل عقبة إلى هذه المدينة علم بأن أهل ودان قد نقضوا العهد الذي سبق وأن عقدوه مع بشر بن أبي أرطأة ، في سنة ٢٣هـ ، زمن عمرو بن العاص . [1] فما كان منه إلا أن ترك جيشه واستخلف عليهم عمر بن علي القرشي ، وزهير بن قيس البلوي وسار بنفسه وبمن خف معه . [2] حتى قدم ودان فافتتحها ، وجدع أذن ملكهم أدباً له ، وأخذ منهم ما كان بشر بن أبي أرطأة قد فرضه عليهم ، وهي ٣٦٠ رأساً ثم واصل سيره إلى مدينة جرمة . [3] ولما دنا منها دعا أهلها إلى الإسلام ، وفرض عليهم ٣٦٠ عبداً ، ثم افتتح قصور فزان قصراً قصراً وكان آخرها قصر خاوار ، جنوبي فزان ، فعندما وصله عقبة ، امتنع عليه ولم يتمكن من فتحه وظل محاصراً له شهراً ، ثم تخلى عنه متجهاً إلى قصور كوار. [4] وقطع أصبع ملكهم أدباً له وحتى لا تسول إليه نفسه أن يحارب العرب مرة أخرى وفرض عليهم ٣٦٠ عبداً . [5] ثم رجع إلى أهل خاوار ، حتى تجاوزهم ، متظاهراً أنه لن يفتح هذا القصر ، حتى اطمأن أهله فرجع عليهم وتمكن من فتحه . ومن هناك انصرف راجعاً حتى وصل بموضع زويلة اليوم ، قاصداً جيشه الذي غاب عنه خمسة أشهر تحت إمرة عمر بن علي القرشي ، وزهير بن قيس البلوي، وعندما التقى عقبة بجيشه

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٣٢ .
– البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ١٢ ، ١٣ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٣٢ .
يذكر : Roth; Oqba ibn Nafi, Gotting 1859, p. 34.
انه خرج معه في هذه الغزوة أربع مائة فارس وأربعمائة بعير وثماني مائة قربة .

(٣) وهي اسم قصبة بناحية فزان في جنوبي أفريقية (ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ، ص ٦٥).

(٤) يذكر اليعقوبي (البلدان ص ٣٤٥) انها مدينة وراء زويلة على خمس عشرة مرحلة ... وبها قوم من المسلمين من سائر الأحياء أكثرهم بربر ، وهم يأتون بالسودان ، ويذكر ياقوت: (معجم ، ج ٢ ، ص ٢٣٠) أنها ناحية واسعة في جنوبي فزان خلف ألواح بها مدن كثيرة ...

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٣٣ . Roth; op. cit., p. 37.

اتجه إلى أرض مزاتة فافتتح كل مقر بها وبعث خيلاً إلى غدامس لفتحها . وعندما تم له ذلك سار إلى قفصة ، ثم سبيطلة حيث تم له فتحهما .(١)

وعندما وصل إلى القيروان لم يعجب بالقيروان الذي كان معاوية بن حديج قد بناه قبله فركب الناس معه حتى أتى موضع القيروان اليوم ، حيث تم له بناء مدينة القيروان سنة ٥٠هـ ، ونقل الناس من الموضع الذي كان معاوية بن حديج نزله إلى مكان القيروان اليوم ، وفرغ عقبة بن نافع من بناء هذا المشروع سنة ٥٥هـ .

وبعد أن أكمل عقبة بن نافع القيروان ، فوجىء بقدوم أبي المهاجر دينار ، والياً على إفريقية من قبل مسلمة بن مخلد والي مصر وإفريقية لمعاوية بن سفيان (٢) وتتفق معظم المصادر على أن أبا المهاجر دينار قد أساء عزل عقبة بن نافع .(٣)

وكان الناس قبل أبي المهاجر يغزون إفريقية ثم يقفلون منها إلى الفسطاط وأن أول من أقام بها حين غزاها كان أبو المهاجر مولى الأنصار ، أقام بها الشتاء والصيف ، واتخذها منزلاً . . . . . .(٤) ومعنى ذلك أن إفريقية أصبحت مقراً يقيم فيه المسلمون، ويطمئنون فيه دون أن يعودوا إلى مصر بعد كل غزوة، غير أن عقبة بن نافع لم يمكث طويلاً ، بعيداً عن إفريقية ، إذ إنه عندما تولى

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٣٣ .
Julien; op. cit , p. 16.

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٣٣ .
– الطبري : تاريخ الامم والملوك ، مجلد ٣ ، جـ ٦ ، ص ١٣٤ .
– المالكي : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٢٠ يذكر ان ابا المهاجر خرج من مصر سنة ٥٥ هـ / جيوش أهل الشام ومصر .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٣٣ ، ١٣٤ .
– ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢١ ، ٢٢ .

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٣٤ .

يزيد الخلافة عينه في سنة ٦٢هـ ، من جديد والياً على إفريقية ، فتقدم إليها في جيش كان في مقدمته زهير بن قيس البلوي ، حيث قام بعزل أبي المهاجر دينار . وبعد أن اطمأن وركز حامية له في القيروان توجه إلى المحيط فاتحاً المناطق الواقعة بينه وبين القيروان ، حتى أقحم جواده في البحر ، ثم قفل راجعاً إلى القيروان ، وعندما بلغ بهم عند مدينة تهودة في منطقة الزاب ، انقض عليه حشد من البربر ، فقاتل عقبة وأصحابه ، حتى قتلوا جميعاً في أواخر سنة ٦٣هـ ـ [1]

زهير بن قيس

وتتفق معظم المصادر على أن زهير بن قيس خطب في الناس بعد كارثة تهودة قائلاً « يا معشر المسلمين إن أصحابكم ، قد دخلوا الجنة ، وقد منّ الله عليهم بالشهادة ، فاسلكوا سبيلهم ويفتح الله لكم دون ذلك » غير أن حنش الصنعاني اعترض عليه ، وطالبه بالانسحاب ، فاتبعه الناس ، وبقي زهير في نفر قليل من أسرته وذويه ، فاضطر إلى اللحاق بهم ونزل برقة . [2]

وكان قراره هذا صحيحاً من الناحية العسكرية ، لأن اشتباكه مع العدو وهو لا يملك القوة الكافية لإحراز النصر ، إنما يؤدي إلى كارثة عسكرية تحل بجيشه دون مبرر ولا جدوى . [3]

وظل زهير بن قيس مرابطاً في برقة ينتظر الإمدادات من الخليفة ، ولكن

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٣٥ .
ـ أحمد الضياف : اتحاف أهل الزمان ، تونس ١٩٦٣ ، جـ ١ ، ص ٨٠ ، ٨١ .
(٢) السلاوي : الاستقصا ، جـ ١ ، ص ٧٥ .
ـ أحمد النائب : المنهل العذب ، في تاريخ طرابلس الغرب ، جـ ١ ، ص ٣٧ .
(٣) محمود شيت خطاب : قادة الفتح العربي للمغرب ، جـ ١ ، ص ١٥٤ .

نتيجة للصراع القائم في المشرق بين القيسية بقيادة الضحاك ، واليمنية بقيادة مروان بن الحكم تأخرت الإمدادات عن زهير بن قيس ولم تصل إليه إلا بعد انتهاء هذه الفتنة وتولى عبد الملك بن مروان الخلافة سنة ٦٥هـ ، فعلى الرغم من مشاغل عبد الملك ومسئولياته في بداية خلافته ، إلا أنه التفت إلى إفريقية ، وطلب من زهير بن قيس المرابطة في برقة إلى أن يصله المدد ، وبعد أن وصل المدد إلى زهير بن قيس في برقة ، طلب منه أن يتجه إلى إفريقية ، فاستجاب زهير إلى ذلك ، وخرج إلى إفريقية وأخذ يطارد البربر حتى تم له الانتصار في موقعة ممس سنة ٦٩هـ / ٦٨٨م . [١]

ولما فرغ زهير بن قيس من مطاردة البربر ، واطمأن إلى استقرار الأمور في إفريقية ، عاد إلى برقة متوجهاً إلى الشرق ، حيث يذكر أنه غادر إفريقية خوفاً من أن تميل نفسه إلى الدنيا . [٢] ولكن البعض يرى بالإضافة إلى ذلك أن سبب عودته إلى المشرق ، أنه علم بقدوم الروم إلى برقة . [٣] إذ إن الروم في القسطنطينية عندما بلغهم خروج زهير بن قيس بجيشه من برقة إلى إفريقية اغتنموا الفرصة ، وخرجوا في مراكب كثيرة ، وقوة عظيمة من جزيرة صقلية وأغاروا على برقة فأصابوا منها سبياً كثيراً وقتلوا ونهبوا ووافق ذلك قدوم زهير من إفريقية إلى برقة ، إذ إنه لما وصله نبأ احتلال الروم لبرقة ، أمر عسكره ، وكان قليلاً ، فأسرعوا في السير إلى الروم . وكان الروم خلقاً كثيراً فاستغاث المسلمون بزهير فتقدم وباشر القتال بنفسه ، واشتد الأمر ، وعظم الخطب وتكاثر الروم على المسلمين فقتل زهير وأصحابه بمدينة درنة وعاد الروم بما غنموا إلى القسطنطينية . [٤]

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٢ .
(٢) أحمد النائب : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، طبعة أولى ، جـ ١ ، ص ٣٧ .
٣) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، ص ١٧٥ .
(٤) ابن الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ، تونس ١٩٦٧ ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

وعندما سمع بالكارثة رجل من بني مذحج يدعى عطية بن يربوع كان فاراً من الرباء في موضع بأملس . [1] من برية برقة سارع إلى إغاثة المسلمين في تلك البرية واستطاع أن يجمع حوالي سبعمائة رجل زحف بهم على الروم الذين لجأوا إلى مراكبهم وخيلهم وسلاحهم وبمن معهم من سبي المسلمين . [2]

ولما سمع عبد العزيز بن مروان والي مصر هذا النصر الذي أحرزه عطية ابن يربوع بعث غلاماً له يقال له تليد إلى برقة ووجه معه ناساً من أشراف أهل مصر فضبطها غير أنه لم ترضهم إمامة تليد بهم ، لأنه عبد ، فلما بلغ ذلك عبد العزيز ابن مروان ، أرسل إلى تليد بعتقه فأقام بأنطابلس . [3]

حسان بن النعمان

وما أن تم لعبد الملك بن مروان القضاء على عبد الله بن الزبير ، حتى التفت إلى إفريقية التي كان معظم البربر فيها قد ارتدوا وعقد العزم على فتحها نهائياً والقضاء على المقاومة فيها قضاءً مبرماً . [4]

فندب لتحقيق تلك الغاية حسان بن النعمان وكتب إليه « وإني أطلقت يديك في أموال مصر ، فاعط من معك ومن ورد عليك ، واعط الناس واخرج إلى بلاد إفريقية على بركة الله وعونه » . [5]

= – ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٣ .
– احمد الضياف : اتحاف أهل الزمان ، جـ ١ ، ص ٨٠ ، ٨١ .

(١) وهو موضع في برية انطابلس بافريقية ياقوت : معجم البلدان ٣٩٥/١ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٣٧ .
المالكي : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٣١ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٣٧ .

(٤) عبد اللطيف البرغوثي : تاريخ ليبيا الاسلامي ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٦٠ .

(٥) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٤ .

وبعد أن كلف حسان بن النعمان بذلك ، أخذ يستعد حتى تم له ذلك وسار بجيشه الذي لم يدخل إفريقية قط جيش مثله .[1] حتى وصل إلى مدينة طرابلس فاجتمع إليه من كان قد خرج من إفريقية وطرابلس .[2]

وانضمام من كان بطرابلس إلى هذا الجيش يدل على أن طرابلس لم تبد أية مقاومة ضد جيش حسان بن النعمان ، بل انها ساعدته ببعض من كان بها من جند .

ومن طرابلس أرسل حسان بن النعمان طلائع جيشه إلى إفريقية ، وكان من جملة قيادة تلك الطلائع هلال بن ثروان اللواتي ، وهو أول بربري مسلم تسند إليه قيادة قوة من المسلمين ، مما يدل على أن معظم بربر ليبيا المسلمين قد اطمأنت نفوسهم للإسلام ، وأنهم اطمأنوا للعرب ، كما اطمأن العرب لهم لدرجة أن الفريقين صارا يقاتلان جنباً إلى جنب ضد أعدائهم[3] في قرطاجة . وبعد أن استوليا عليها ، توجه حسان بن النعمان بجيشه إلى الكاهنة ، أو المتنبأة ، وكانت تدعى (دانية أو دبية) .[4] إلا أنه لم يتمكن في أول الأمر من الانتصار عليها ، إذ إنها هزمته وأسرت من أصحابه ثمانين رجلاً ، فما كان من حسان إلا أن رجع إلى أنطابلس ونزل بقصور من حيز برقة[5] تدعى قصور حسان إلى اليوم.

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٢ .

(٢) ابن الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٣٥ .

(٣) عبد اللطيف البرغوثي : المرجع السابق ، ص ٦١ .

(٤) Julien; op. cit., p. 20.

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٣٧ .
— البلاذري : فتوح البلدان ، ج ١ ، ص ٢٣١ .
— ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٦ .
— ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٢ .

ولما وصل خبر انهزام جيش المسلمين أمام الكاهنة ، إلى عبد الملك بن مروان أخذ يعد العدة ، ليرسل المدد إلى حسان بن النعمان ، حتى تم له إعداد جيش كثيف فأرسله إلى حسان ، وأمره بقتال الكاهنة فوصل ذلك الجيش إلى حسان في المكان الذي أمره بأن يبقى فيه حتى يصله المدد .

هذا كما أن الكاهنة قد شرعت في تحطيم المدن والقرى وهدمها ، وذلك عقب انسحاب حسان بن النعمان إلى برقة ، وقالت لقومها « ان العرب لا يرغبون إلا الغنائم فإذا لم يجدوا مدناً يأوون إليها رجعوا عنا . »[1] وكان المغرب قبل ذلك كله متصلاً بالمدن والزراعة فأخربته جميعاً قبل دخول المسلمين .[2]

وعندما وصل المدد إلى حسان بن النعمان اتجه صوب الكاهنة ، وأخذ يطارد فلول جيشها حتى تمكن من هزيمته والقضاء عليها .

ولما تمكن حسان بن النعمان من الكاهنة ، واستقرت له الأمور في إفريقية رتب أمورها ، ثم رجع إلى مصر ، ومر في طريقه ببرقة ، فعين على خراجها إبراهيم النصراني ،[3] وكان عبد العزيز بن مروان قد عين عليها قبل ذلك وبعد مقتل زهير بن قيس عبداً يدعى تليد ، ولما ثقلت إمامته على الناس أعتقه عبد العزيز بن مروان فضبط أمور برقة .[4]

وعندما وصل حسان إلى مصر ، طلب من عبد العزيز بن مروان عزل تليد عن ولاية برقة ، حينما قال له : اكتب إلى عبدك بالإعراض عن أنطابلس . غير أن عبد العزيز بن مروان رفض ذلك ، فاشتكاه حسان بن النعمان عند

---

(١) المالكي : رياض النفوس ، جـ ١ ، هامش ٤ ، ص ٣٤ ، ٣٥ .
– محمد الباجي المسعودي : الخلاصة النقية ، ص ١٠ ، ١١ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، المجلد السادس ، ص ٢١٩ .
(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٣٦ .
(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٣٧ .

الخليفة عبد الملك بن مروان وهو مريض على فراش الموت . [1]

وعندما تولى الوليد بن عبد الملك ، قال لحسان « أنا أردك إلى عملك وأحسن إليك وأنوه بك » فحلف حسان« لا أولى لبني أمية أبداً » فغضب الوليد ابن عبد الملك على عمه عبد العزيز بن مروان لعزل حسان وتولية موسى بن نصير بدون أمر عبد الملك بن مروان [2] .

وقد عين موسى بن نصير من قبل عبد العزيز بن مروان والي مصر ، فقدم إلى إفريقية فوجد الأحوال هادئة في القيروان .

ولا نسمع شيئاً عن الأحوال في برقة وطرابلس أثناء ولايته ، اللهم إلا أن موسى بن نصير عين على طرابلس بكر بن عيسى القيسي . [3] ومن المرجح أنهما أصبحتا هادئتين منذ رجوع حسان بن النعمان من إفريقية .

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٣٧ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٩ .

(٣) أحمد النائب : المنهل العذب ، جـ ١ ، ص ٤٠ .

ـ محمود ناجي : تاريخ طرابلس الغرب ، منشورات الجامعة الليبية ١٩٧٠ ، ص ١٣١ .

ـ الزاوي : ولاة طرابلس بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٣٢ .



الباب الثاني

الأحوال السياسية في برقة وطرابلس من عصر الولاة حتى قيام الدولة الفاطمية

* ثورة البربر في إفريقية وامتدادها إلى طرابلس .
* انتشار المذهب الأباضي في طرابلس وفي بقية المغرب، ثورات الأباضية.
* طرابلس وبرقة بين الأغالبة والرستميين والطولونيين .

ثورة البربر في افريقية وامتدادها إلى طرابلس

بعد أن رجع موسى بن نصير إلى المشرق ، ترك على إفريقية ابنه عبد الله ابن موسى ، غير أن الخليفة سليمان بن عبد الملك عين في سنة ٩٨هـ/ ٧١٥م ، محمد بن يزيد على ولاية إفريقية ، حيث قام بعزل عبد الله بن موسى عنها [(١)] إلا أن محمد بن يزيد لم يدم في ولايته طويلاً ، إذ استبدله الخليفة ، بعبد الله ابن كريز الذي دانت له البلاد على رأس المائة الأولى من برقة إلى السوس .[(٢)]

ولما تولى الخليفة عمر بن عبد العزيز عين على إفريقية إسماعيل بن عبيد الله ابن أبي المهاجر ، في المحرم من سنة ١٠٠هـ ، وكان هذا الوالي حريصاً على دعوة البربر إلى الإسلام ، حتّى إنه يقال ان بقية البربر أسلمت على يديه ، وأنه لم يبق في ولايته يومئذٍ من البربر أحد إلا وقد أسلم . [(٣)]

هذا كما يرجع إليه الفضل في تعليم أهل إفريقية أمور دينهم ، وتفريقهم بين الحلال والحرام وذلك لما قام به الخليفة عمر بن عبد العزيز من إرسال الفقهاء

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٤٧ .

(٢) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، ص ٣٨ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٤٣ .

– ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٤٨ .

العشرة [1] إلى إفريقية لتعليم الناس أمور دينهم [2] كما قام الخليفة بإلغاء ما كان متبعاً منذ أيام عمرو بن العاص الذي كان قد صالح أهل برقة على ثلاثة عشر الف دينار ، يؤدونها إليه جزية ، على أن يبيعوا من أحبوا من أبنائهم في جزيتهم . [3] وقد ذكرنا في الباب الأول أنه من المستبعد أن يطلب العرب منهم بيع أبنائهم في حالة عجزهم عن دفع الجزية ، ويعتقد أنهم هم الذين اقترحوا على عمرو ذلك مبالغة منهم في إظهار حسن نيتهم ، وقد كان بيع الأبناء والذراري للوفاء بالجزية أمراً شائعاً عند البربر في ذلك الحين ، فلم يكن أمام عمرو إلا الترحيب بهذا العرض[4] والمهم في ذلك، أن أوامر الخليفة عمر بن عبد العزيز قد صدرت أن من كانت عنده لواتية فليخطبها إلى أبيها أو فليردها إلى أهلها. [5]

---

(١) وهم : موهب بن حي المعافري – حيان بن أبي جبلة ، اسماعيل بن عبيد الله الاعور القرشي ، واسماعيل بن عبيد مولى الانصار ، أبو سعيد جعثل بن هامان بن عمير ، طلق بن حابان ، وبكر بن سوادة الجذامي ، عبد الرحمن بن رافع التنوخي . وكان أول قضاة افريقية ، وأبو عبد الرحمن بن عبد الله بن يزيد الجبلي واسمه عبد الله بن يزيد ، مات في افريقية وله بها مسجد ، وسعيد بن مسعود التجيبي » . (أبو العرب تميم : طبقات علماء افريقية ، ص ٨٤ و ٨٦ و ٨٧) . ابن عذاري : البيان المغرب جـ ١ ، ص ٤٨ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٨ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١١٦ .
– البلاذري : فتوح البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٢٧ .
– الطبري : تاريخ الامم والملوك ، مجلد ٢ ، جـ ٤ ، ص ٢٥٠ .
– أبو عبيد : الاموال ، ص ٢٤٠ .

(٤) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٥٦ .
– سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٨٢ .
– السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٤٣ .

(٥) أبو عبيد : كتاب الاموال ، ص ٢٣٩ .
– البلاذري : فتوح البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٢٧ .

وعندما توفي الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وتولى الخليفة يزيد بن عبد الملك قام بعزل إسماعيل بن أبي المهاجر ، وعين في سنة ١٠٢هـ / ٧٢٠م على إفريقية بدلاً منه يزيد بن مسلم ، وهو مولى للحجاج بن يوسف ولما وصل يزيد بن مسلم إفريقية ، أراد أن يأخذ الجزية ممن أسلم من البربر ، على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم كفار مما أدى إلى احتجاج البربر عليه ، وقتله في نفس السنة . (١) وكان يزيد بن أبي مسلم ينفـــذ بذلك مشيئة الخلافة الأموية ، التي أعادت فرض الجزية على من أسلم من الموالي ، ليتسنى لها الحصول على مزيد من الأموال ، والتنصل من دفع مزيد من الاعطيات للجند المسلمين من الموالي . (٢)

ثم بعث الخليفة على إفريقية بشر بن صفوان ، ولا نسمع خلال هذه الفترة عن ولاة برقة وطرابلس إلا في عهد عبيدة بن عبد الرحمن على إفريقية ، الذي عين من قبل هشام بن عبد الملك سنة ١١٠هـ / ٧٢٨ م ، إذ قام هذا الوالي بتعيين والٍ من قبله على طرابلس يدعى يزيد بن مسلم الكندي .

ويذكر أنه في عهد عبيدة بن عبد الرحمن بعث المستنير بن الحبحاب الحرثي ، إلى غزو صقلية فأقام المستنير بأرض الروم ، حتى حل به الشتاء ، واشتدت عليه أمواج البحر ، فأصابتهم ريح فاتجـــه المركب الذي عليـــه المستنير إلى طرابلس فكتب عبيدة إلى عـــامله على طرابلس وهو يزيد ابن مسلم الكندي ، يأمره بأن يقبض عليه ويبعث به إليه مع ثقة من ثقاته . (٣)

غير أن الخليفة هشام بن عبد الملك ، أمر بعزل عبيدة عن إفريقية والمغرب وذلك بعد أن استخلف عقبة بن قدامة التجيبي ، وذلك في شوال سنة ١١٤هـ /

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٨٢ .
(٢) محمود اسماعيل عبد الرازق : أثر الخوارج في الحياة السياسية في بلاد المغرب ص ١٣ .
(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٤٥ .
— ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٥١ .

٧٣٢م وكان عزله على ما يبدو نتيجة لتنكيله بأبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي [١] فقدم عبيدة بن عبد الرحمن على الخليفة هشام بن عبد الملك في سنة ١١٥هـ / ٧٣٣م وكتب الخليفة هشام إلى عبيد الله بن الحبحاب وهو عامله على مصر يأمره بالمسير إلى إفريقية وولاه إياها ، وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة ١١٦هـ / ٧٣٤م. وكان أول عمل قام به أنه أخرج المستنير بن الحبحاب من السجن ، وولاه تونس [٢] ثم قسم ولايته على بنيه وأنصاره فجعل ابنه إسماعيل على السوس ، وولى ابنه عبد الرحمن مغازي السودان ، وجعل على طبنة رجلاً من أتباعه ، يدعى عمر بن عبدالله المرادي . وجعل على الأندلس عقبة بن الحجاج السلولي ، واحتفظ لنفسه بإفريقية لكي يكون في مكان قريب من المشرق ، يستطيع أن يدير منه ولايته جميعاً . [٣]

ويذكر أن عمر بن عبد الله المرادي عامله على طنجة ، قد أساء السيرة ، وذلك أنه تعدى في الصدقات والعشر وأراد أنْ يخمس البربر ، وزعم أنه فيء المسلمين وذلك ما لم يرتكبه أحد من قبله ، وإنما كان الولاة قبل ذلك يخمسون من لم يجب للإسلام . [٤]

كما أن بعضهم اعتبر بلاد البربر دار حرب حتّى بعد اعتناقهم الإسلام ، وذلك بحجة أن إسلامهم كان ظاهرياً ، وليس حقيقياً . وكان ولاة الأمويين في المشرق في أواخر حياة الدولة الأموية ، ينظرون إلى الموالي نفس هذه النظرة ليتسنى لهم الحصول على مزيد من الأموال والتنصل من دفع مزيد من الاعطيات للجند الموالي . [٥]

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥١ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٤٥ .

– ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٤ ، ص ٢١٥ .

(٣) د . حسين مؤنس – ثورات البربر ، مجلة كلية الآداب – جامعة فؤاد ، المجلد العاشر القاهرة ١٩٤٨ م ص ١٦٢ .

(٤) ابن عذاري – البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٢ .

(٥) محمود اسماعيل عبد الرازق ، المرجع السابق، ص ١٢ و ١٣ (على سبيل المثال والي افريقية، =

وكان ذلك أحد الأسباب التي أدت إلى قيام الثورات البربرية في إفريقية بالإضافة إلى حب البربر للاستقلال المميز لجنسهم ، ويرجع ذلك للذكريات السيئة المرتبطة بحكم الرومان والبيزنطيين ، [1] وقد نمى هذا الشعور لديهم ، سياسة الاستبداد والعنف التي اتبعها معهم ، عمال بني أمية ، وقيامهم بفرض الجزية على رقاب البربر ، على نحو ما كانت تؤخذ منهم قبل أن يعتنقوا الإسلام.

أضف إلى ذلك أن بعض العمال أمثال عبيدة بن عبد الرحمن السلمي ، أسرف في غزو البربر وسبي نسائهم . [2] ونتيجة لهذه الأعمال قام البربر في إفريقية بعامة ، وطرابلس وبخاصة بثوراتهم المتكررة ، كما أدى ذلك إلى اعتناق البربر للمذهب الخارجي . ومن أهم تلك الثورات ثورة عكاشة بن أيوب .

ثورة عكاشة بن أيوب الفزاري

ونتيجة لأعمال الولاة الأمويين ، أخذ البربر يتحينون الفرصة ، للقيام بثورتهم على عمال بني أمية ، وقد واتتهم فرصتهم ، عندما خرج حبيب بن أبي عبيدة ، إلى بلاد الروم ، فقام البربر ونقضوا الطاعة ، على عامل عبيد الله ابن الحبحاب بطنجة بقيادة ميسرة المدغري ، وكانت هذه الثورة، أول ثورة في المغرب ، وكانت السبب في إلهاب حماس بقية البربر حيث قاموا بثورات متفرقة في أنحاء المغرب .[3]

وعندما علم هشام بن عبد الملك بتلك الثورات ، وبخاصة ثورة ميسرة

= عبيد الله بن الحبحاب) .

(1) جون رايت ، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٢ م ، ص ٧٧ .

(2) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٢ .

(3) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٢ .

المدغري غضب غضباً شديداً، واستدعى عامله عبيد الله بن الحبحاب ، من إفريقية سنة ١٢٣هـ / ٧٤٠م وعزم على الانتقام من البربر ، وقد عبر عن ذلك بقوله « والله لأغضبن لهم غضبة عربية ولأبعثن لهم جيشاً أوله عندهم وآخره عندي » .[١]

ووجه من الشام كلثوم بن عياض في اثني عشر ألفاً من أهل الشام وكتب إلى والي كل بلد أن يخرج معه ، وعند مروره بمصر انضم إليه من كان بها ، وصارت معه عمال برقة وطرابلس[٢] وجعل على مقدمة هذا الجيش بلج بن بشر ، وعندما وصل إلى إفريقية استخلف على القيروان عبد الرحمن بن عقبة الغفاري ، وعلى الحرب مسلمة بن سوادة القرشي وخرج لمحاربة البربر في طنجة .[٣]

وبعد أن خرج كلثوم بن عياض إلى طنجة ، ثار عليه في ناحية قابس رجل يدعى عكاشة بن أيوب الفزاري الصفري ، وأرسل أخاه إلى سبرت ، فاستطاع أن يؤلب زناتة لمعاونته ، وأن يحاصر أهل سوق سبرت في مسجدهم ، وكان عليهم حبيب بن ميمون وكان أمير طرابلس حينئذ ، صفوان بن أبي مالك ، فخف من طرابلس لنجدة أهل سبرت ، وفاجأ أخا عكاشة وهو محاصر لهم ، حيث دار بين الفريقين قتال ، انهزم فيه أخو عكاشة ، وقتل كثير من رجاله وخاصة من أهل زناتة وبهذا استطاع صفوان أن يرد خطرهم عن منطقة طرابلس .[٤]

وفي الفترة التي هاجم فيها أخو عكاشة سبرت ، كان كلثوم بن عياض

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٤ .
(٢) الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ، ص ١١٢ .
– ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٤ .
(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٤٥ .
(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

يخوض حرباً ضد الصفرية الذين يقودهم ميسرة المدغري في طنجة . أما مسلمة فكان يواجه ثورة عكاشة في القيروان حيث تمكن من الانتصار عليه ورده إلى القيروان . أما كلثوم بن عياض ، فقد استنجد بوالي الأندلس ، وبوالي طرابلس صفوان بن أبي مالك ، فهب صفوان لنجدته ، ولكنه ما كان يصل لمدينة قابس مخفاً لنجدة كلثوم ، حتى وصلته الأخبار بمقتل كلثوم في موقعة بقدورة فانصرف إلى طرابلس . [1] ولما بلغ خبر مقتل كلثوم بن عياض إلى هشام بن عبد الملك ، بعث واليه على مصر حنظلة بن صفوان الكابي سنة ١٢٤هـ/ ٧٤١م . وعندما قدم حنظلة إلى إفريقية بعث أبا الخطار على الأندلس ثم أرسل عبد الرحمن بن عقبة الغفاري إلى عكاشة بن أيوب الفزاري ، فانهزم عكاشة ، وقتل عامة أصحابه . ورغم الهزائم المتكررة لعكاشة إلا أنه لم ييأس ، فانضم إليه عبد الواحد بن يزيد الهواري ، ومن بعده المدهمي ، والتقى الحلفاء بجيوش عبد الرحمن بن عقبة ، فدارت الدائرة على عبد الرحمن وقتل هو وكثير من أصحابه عام ١٢٤هـ/ ٧٤١م . [2]

ثم أخذ القائدان الصفريان بعد هذا النصر يتسابقان إلى القيروان ،وفي نفس الوقت كتب عبد الواحد إلى حنظلة بن صفوان بأن يخلي له القيروان ، فلما علم حنظلة بذلك ، أمر بحفر خندق حول المدينة ، ثم لجأ إلى وسيلتين للقضاء على هذه الثورة ، وهما أنه بعث إلى واليه بطرابلس وهو معاوية بن صفوان يستمده ضد الصفرية ، وفي نفس الوقت حاول أن يستميل إليه عكاشة . ليحول دون اجتماع الحليفين ضده [3] وأرسل جيشاً تحت قيادة محمد بن عمرو ابن عقبة، فلقيه عبد الواحد بالأصنام ، حيث قتل عبد الواحد ، وعدد كبير من جيشه في هذه المعركة وهرب منهم من هرب ثم عاجل حنظلة عكاشة قبل أن

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ .
(٢) نفس المصدر ، ص ١٤٧ .
(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٤٧ .

تبلغه هزيمة عبد الواحد ، ونازله في معركة أخرى ، فرّ على أثرها عكاشة هاربا حتى انتهى إلى بعض نواحي إفريقية ، فأخذه قوم من البربر أسيراً حتى أتوا به إلى حنظلة فقتله [١] وقد أحصيت القتلى في هذه الواقعة فكانوا مائة وثمانين ألفاً . [٢] وكتب بذلك حنظلة بن صفوان إلى هشام بن عبد الملك . ويقال سمعها الليث بن سعد ، فقال : ما غزوة كانت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر أحب إلي من غزوة القرن والأصنام [٣] وفي أثناء الصراع الذي قام بين حنظلة والبربر ، لم يكن عامل طرابلس معاوية بن صفوان ، قد وصل إلى قابس عندما استنجد به حنظلة ، وعندما وصل إلى هذه المدينة وصلته رسالة من حنظلة يأمره بالخروج ، لإخماد ثورة صفرية أخرى ، قامت بنفزاوة ، إذ إنهم سبوا أهل ذمتها ، فسار إليهم معاوية بن صفوان ، وقاتلهم واسترد ما كانوا قد سبوه ولكنه دفع بنفسه ثمناً لذلك ، وعندما علم حنظلة بذلك أرسل زيد بن عمرو الكلبي ليخلفه في القيادة ، فأعاد الجند إلى طرابلس . [٤]

وكان من نتائج الثورة البربرية التي اندلعت في نواحي المغرب ، من سنة ١٢٢هـ / ٧٣٩ م في ولاية ابن الحبحاب، واستمرت إلى نهاية العصر الأموي تقريباً أنها كانت ثورة مخربة ، أصاب البلاد فيها أذى شديد ، وفرقت قلوب الناس وسفكت دماء كثيرة ، وأضاعت جهوداً كان يمكن أن توجه إلى البناء والتعمير وفتحت الباب على مصراعيه لمبادىء الخارجية ، بل الى مذاهب خارجة

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٩ .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٩ .

– الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ، ص ١٢٢ ، الا انه لم يذكر كلمة بدر .

– ابن خلدون : العبر ، المجلد السادس ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٤٨ .

عن الاسلام تماماً ، مثل زندقة برغواطة ، التي طال أمرها . ولم يتم القضاء على ذيولها إلا على أيدي المرابطين في القرن الخامس الهجري . [1]

---

(١) حسين مؤنس : التنظيم المالي والاداري لافريقية والمغرب مجلة الأدب والتربية جامعة الكويت – العدد الاول ١٩٧٢ ، ص ١٠٦ .

انتشار المذهب الأباضي في طرابلس وفي بقية المغرب وثورات الأباضيـــة

انتشار المذهب الأباضي

تنتسب الفرقة الأباضية التي بدأت حركاتها السياسية ، في وقت متأخر إلى عبد الله بن أباض .[1] هذا ولم يقدم على الثورة على أثر انفصاله عن نافع بن الأزرق سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م ، إنما آثر التريث إلى أن وجد في عهد مروان بن محمد الحافل بالاضطرابات فرصة مواتية فخرج عليه ، فوجه إليه مروان بن محمد ، عبد الله بن محمد بن عطية الذي تمكن من هزيمته وقتله .[2]

أما إذا أردنا أن نؤرخ للفرقة الأباضية بنسبتها إلى معلمها الأول ، فهي

---

(١) عبد الله بن أباض ، والنسب اليه أباضي بفتح الهمزة – أبو القاسم ابراهيم البراوي – الجواهر المنتقاة – مخطوط بجامعة الدول العربية – ورقة ٧٩ .

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ، الطبعة الاولى ، ١٤٧ ، ص ٢٤٤ .

– فخر الدين الرازي : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، النهضة المصرية ، ١٩٣٨ ، ص ٥١ .

– الشيخ أبي ربيع سليمان الباروني : مختصر تاريخ الاباضية ، طبعة تونس ١٩٣٨ ، ج ٢ ، ص ٣٢ .

تنتسب إلى جابر بن يزيد ، المؤسس الحقيقي لهذه الفرقة . والذي يرجع إليه الفضل في تنظيم أسلوب الدعوة الأباضية وقد عاش في الفترة ما بين ٢١هـ — ٩٦هـ ، وحظي عند الأباضية بمنزلة عالية ، لكن الأجل لم يمتد به ليشهد نجاح جهوده ، إذ توفي سنة ٩٦هـ / ٧١٥م . فاقتدى أهل هذه الطائفة من بعده بأقدم تلاميذه ويدعى أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، الذي قيل أنه ظل يتلقى العلم أربعين عاماً وبعدها نصب نفسه لتعليمه ، ومن هنا كانت شهرته الواسعة [١] وكان مقامه في البصرة ، وقد وصفه الدرجيني بقوله « كبير تلامذة جابر وممن حسنت أخباره ، وحافظ في خفية على الدين حتى ظهر على يد الخمسة النفر [٢] الميامين ، وقد حرص تلامذة أبي عبيدة على التمكن لمذاهبهم ، ونشره في الآفاق شرقاً وغرباً ، وفي نفس الوقت حرصوا على قوة رابطتهم باستاذهم في البصرة . [٣]

ويرتبط ظهور هذه الحركة في بلاد المغرب ، بإرسال أبي عبيدة مسلم لداعيته سلمة بن سعيد إلى بلاد المغرب ، في أوائل القرن الثاني الهجري لنشر الدعوة الأباضية بين المغاربة . إذ يروى أنه أول من نقل مبادىء المذهب الأباضي إلى إفريقية ، وذلك عندما بعثه إمام الأباضية أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، ليقوم بالدعوة للمذهب الأباضي بين البربر ، وكان شديد الحماس لهذه الدعوى حتى انه كان يقول : « وددت لو ظهر هذا الأمر ، يعني مذهب الأباضية — يوماً واحداً من أول النهار إلى آخره فلا آسف على الحياة بعده » . [٤]

---

(١) محمود اسماعيل عبد الرازق : اثر الخوارج في الحياة السياسية في بلاد المغرب ص ٣٦ .

(٢) الخمسة النفر هم عبد الرحمن بن رستم ، عاصم بن حميد السدراتي ، أبو داود القبلي اسماعيل بن ضرار الغدامسي ، أبو الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري (أبو زكريا الورجلاني)— السيرة وأخبار الامة — ورقة (٦) .

(٣) لقبال موسى : المغرب الاسلامي ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٩ ، ص ٢٢٦ .

(٤) الدرجيني : طبقات الاباضية ، مخطوط بجامعة الدول العربية ، ورقة ٦ .

=

وعندما وصل سلمة بن سعيد إلى بلاد المغرب ، يبدو أنه اتخذ من بلاد المغرب الأدنى ميداناً لنشاطه ، حيث استطاع أن يكسب أنصاراً في إقليم طرابلس ، وجبل نفوسة . ولم يمتد به الأجل طويلاً ، فحل محله أبو عبد الله ابن عبد الحميد مغيطر الذي تتلمذ على أبي عبيدة بالبصرة ، واشتهر بشدة الشكيمة ، وقوة العريكة وفي أيامه تم انتشار المذهب ، بين بربر نفوسة في مستهل القرن الثاني الهجري ، ومنذ ذلك الحين أصبح جبل نفوسة دار هجرة للمذهب الأباضي في بلاد المغرب ، وكان رسوخ قدم المذهب الأباضي في جبل نفوسة سبباً في انتشاره بين القبائل الأخرى ، مثل هوارة ، ولماية ، وزناتة ، وسدراتة ، وزواغة ولواتة ، ومطماطة ، في عهد عبد الوهاب بن رستم[1] وكان من بين من اعتنق المذهب الأباضي عبد الرحمن بن رستم الذي قام مجتهداً في طلب ذلك الأمر ، وقال له رجل من أهل الدعوة ، إن كنت تريد علم هذا الأمر الذي كلفت به وعلقته ، وأراك تطلبه ، فدونك أرض البصرة ، فإن بها عالماً يكنى أبا عبيدة واسمه مسلم بن أبي كريمة التميمي ، فإنك تجد عنده ما تطلبه ، وقيل أمه هي التي قالت له ذلك .[2]

ولهذا توجه عبد الرحمن بن رستم إلى أبي عبيدة في البصرة ، بالعراق وقد خرج معه نفر من أهل المغرب ، وهم عاصم بن جميل السدراتي ، أبو داود القبلي النفزاوي ، وإسماعيل بن ضرار الغدامسي ، وهناك التقى بأبي الخطاب ، ومكثوا عند استاذهم أبي عبيدة عدة سنين حتى تحصلوا على ما

= – أبو زكريا الورجلاني : السيرة وأخبار الامة ، مخطوط بجامعة الدول العربية ، ورقة ٦
وقد ذكر الشماخي أنه قال : « وددت أن يطلع هذا الأمر يوما واحدا فما أبالي أن تضرب عنقي فتعلق » (السير – مخطوط بجامعة الدول العربية – ورقة ٢٨) .

(١) محمود اسماعيل عبد الرازق : نفس المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(٢) الدرجيني : طبقات الاباضية ، ورقة ٦ .
– أبو زكريا الورجلاني : السيرة وأخبار الامة ، ورقة ٦ .

يبلغونه . وعندما أرادوا الانصراف إلى بلادهم ، كلموا أبا عبيدة ، واستشاروه في شأنهم ، هل إذا وجدوا في أنفسهم قوة أن يولوا رجلاً منهم ؟ فقال لهم أبو عبيدة: توجهوا إلى بلادكم، فإن كان في أهل دعوتكم ما يجب به عليكم التولية ، في العدد والعدة ، من الرجال فولوا على أنفسكم رجلاً منكم ، فإن رفض فاقتلوه وأشار إلى أبي الخطاب .[1] ذلك أنه قد أشار عليهم بأن يولوا على أنفسهم أبا الخطاب ، عندما يطمئنون إلى قوتهم .

وبفضل حملة العلم ، تمكن المذهب الأباضي من الانتشار في بلاد المغرب إذ إنه ، لم تمض عشرون سنة من القرن الثاني الهجري ، حتى انتشرت هذه الدعوة ما بين تلمسان وسرت ، وكان المذهب لأغلب السكان في ليبيا وتونس والجزائر كما انتشر في العراق والجزيرة العربية وعمان .[2]

مبادىء الأباضية

ومن أهم المبادىء لهذه الفرقة أنهم قالوا في مخالفيهم ، أنهم غير مشركين لان معهم التوحيد والاقرار بالكتاب والرسول ، وإنما هم كفار للنعم ، ومواريثهم ومناكحتهم، والاقامة معهم حل، دعوة الاسلام تجمعهم،[3] وغنيمة اموالهم في الحروب من السلاح والخيل وحيوانات النقل حلال ، وذلك لاتخاذها وسيلة للجهاد في سبيل الله ، ويحرمون غير ذلك ، من ذهب وفضة ، وما تقع عليه ايديهم أثناء انتصارهم على مخالفيهم .[4] هذا كما انهم يقولون بالا يسبى ويقتل مخالفوهم في السر غيلة،الا بعد ان يعلن القتال وتقام الحجة،وأن دار مخالفيهم من أهل الاسلام ــ دار توحيد الا معسكر السلطان فإنه دار

(١) أبو زكريا الورجلاني : السيرة وأخبار الامة ، ورقة ٦٠ .
ــ الشماخي : السير ورقة ٢٨ .
(٢) علي يحيى معمر : الاباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الاولى ، مصر ١٩٦٤ ص ٢٣ .
(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، طبعة ١٩٤٠ ، ج ١ ، ص ٢٦١ .
(٤) البغدادي : الفرق بين الفرق ، مطبعة المدني ، ١٠٣/١٠٤

بغي [1] . ويقصدون من دار السلطان حاكم بني أمية أو غيره من الامراء الجائرين [2] . هذا كما أن مرتكب الكبائر عندهم موحد وليس بمؤمن ، وهو كافر كفر النعمة لا كفر ملة ، أي أنه مؤمن بالله وبوحدانيته ولكنه مقصر في شكر نعمة الله عليه ، فهو كافر فضل الله عليه وجاحد له والا لما ارتكب ما نهاه عنه الله . [3]

وتوافقوا في أطفال المشركين ، وجواز تعذيبهم على سبيل الانتقام . وأجازوا ان يدخلوا الجنة تفضلا ، هذا كما اختلفوا في النفاق أيسمى شركاً أم لا ؟ وقالوا ان المنافقين في عهد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، كانوا موحدين الا أنهم ارتكبوا الكبائر فكفروا بالكبيرة لا بالشرك ، وقالوا بأن كل شيء أمر الله تعالى به فهو عام وليس بخاص ، وقد أمر به المؤمنون والكفار ، [4] وهكذا نجد أن قولهم في المعصية والنفاق ، قريب من قول المعتزلة . [5]

وقد صادفت آراء الخوارج عامة هوى لدى البربر ، إذ كان البربر من أكثر الشعوب الإسلامية تقبلاً لآراء الخوارج ولمذهبهم . ذلك ان الخوارج اشترطوا للإمامة الإسلام والعدل . وكان ولاة بني أمية وبني العباس ، قد عسفوا بالبربر ، كما استأثر العرب بكل شيء في المغرب ، ولذلك ثار البربر على العرب ، وتقبلوا آراء الخوارج ومذهبهم ، تعبيراً عن سخطهم على الولاة العرب ، وتطلعاً إلى تحقيق النفوذ والسلطان لهم في بلادهم . [6]

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ، الطبعة الاولى ١٩٤٧ ، جـ ١ ، ص ٢٤٤ .
(٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، جـ ١ ، ص ٣٩٢ .
(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي : جـ ١ ، ص ٣٩٣ .
– لقبال موسى : نفس المرجع السابق ، ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .
(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ، جـ ١ ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .
(٥) عمر فروخ : وثبة المغرب ، طبعة بيروت ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م ص ٢٧٩ .
(٦) حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، الطبعة الثالثة ، ١٣٧٣ هـ ص ٥٥ .

أهم الثورات الأباضية في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي

أولاً : ثورة الحارث بن تليد وعبد الجبار بن قيس المرادي : [1]

كان عبد الرحمن بن حبيب أحد القادة البارزين في جيش كلثوم بن عياض وبعد أن هزم كلثوم ، اتجه عبد الرحمن بن حبيب ، وبلج بن بشر إلى الأندلس وأخذ عبد الرحمن يحاول السيطرة على بلاد الأندلس ، ولكن خاب أمله ، بتولية ابي الخطار بن ضرار والياً عليها من قبل حنظلة بن صفوان ، فالتفت عبد الرحمن إلى إفريقية ، ولا سيما بعد مقتل الخليفة الأموي الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ /٧٤٣ م ، فأراد أن يجعل ولاية افريقيه لنفسه ، وذلك بعد أن ظن أن الخلافة الأموية قد انتهت وأن الفرصة قد حانت لتحقيق هدفه ، فأعلنها ثورة في تونس على حنظلة بن صفوان ، وكتب له ان يخلي افريقية في مدة لا تتجاوز الثلاثة أيام ، وأبلغ صاحب بيت المال ، ألا يعطيه ديناراً ولا درهماً الا ما حل له من أرزاقه . ولما قرأ حنظلة الكتاب همّ بقتاله ، ولكنه أحجم عن ذلك ، لانه كان ذا دين ، وتقوى ويكره قتال المسلمين [2] فخرج مع أصحابه من أهل

---

(١) والظاهر أن عبد الجبار هو الامام والحارث وزيره أو قاضيه ، وهما أخوان لأم ، أو ابنا خالة وقبيلتهما هوارة (الباروني : مختصر تاريخ الاباضية ، ص ٣٣) .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٤٨ .

الشام في جمادى الآخرة سنة ١٢٧ هـ/٧٤٤ م ، وذلك بعد أن دخل عبد الرحمن ابن حبيب القيروان في جمادى الآخرة من العام الماضي وأراد عبد الرحمن بن حبيب أن يضفي صبغة شرعية على حكمه فاعترف بخلافة مروان بن محمد ، وأظهر له الطاعة ، وكاتبه ، ويذكر أن عبد الرحمن بن حبيب ، قد تقوّل في كتابه على حنظلة ، ونسب اليه أهوالاً كذب فيها ، فأرسل اليه مروان بولاية افريقية والمغرب كله والأندلس . [1]

ولما استولى عبد الرحمن بن حبيب على افريقية ، اجتمع الأباضية في طرابلس وتداولوا فيمن يولونه الإمامة لينشئوا دولتهم ، وكان عبد الله بن مسعود التجيبي هو رئيس الأباضية في طرابلس ، والشخصية البارزة فيهم لعلمه وتقواه ، فاتجهت اليه الأنظار ، ورشحته الأباضية للإمامة . ولما علم عبد الرحمن بن حبيب بما عزم عليه الأباضية في طرابلس ، ولى أخاه الياس بن حبيب على طرابلس . [2] وعندما قدم الياس إلى طرابلس أخذ مسعود التجيبي وضرب عنقه ، [3] ظنا منه ان في ذلك إرهاباً لهم وكسرا لشوكتهم ، فثارت ثائرتهم ، وأخذوا يحتشدون للخروج على عبد الرحمن . [4] ولكن عبد الرحمن ابن حبيب أراد بدهائه ان يقف في وجه هذه الثورة وذلك بعزل أخيه الياس عن طرابلس ، وولى عليها حميد بن عبد الله العكي . [5] غير ان الأباضية لم ترض بذلك ، بل كانت مصممة على الثأر لمقتل رئيسهم . فثاروا في طرابلس بزعامة عبد الجبار بن قيس المرادي والحارث بن تليد الحضرمي ، وكانا يدينان

= – ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٦٠ .

(١) الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ، ص ١٢٩ .

(٢) محمد علي دبوز : المغرب الكبير ، دار احياء الكتب العربية ١٩٦٣ ، جـ ٢ ، ص ٤١٠ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٤٨ .

(٤) رفعت فوزي : الخلافة والخوارج في المغرب العربي ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٣ ، ص ١٢١ .

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٤٨ .

بمذهب الأباضية [1] وحاصر الأباضية حميد بن عبد الله في بعض قرى طرابلس وزاد من سوء حالته ، وقوع الوباء في عسكره ، فاضطر إلى مفاوضة الثوار ، وتم الاتفاق على أن يخرج هو ورجاله من طرابلس بأمان . ورغم هذا الاتفاق فان عبد الجبار بن قيس أخذ أحد كبار أصحاب حميد بن عبد الله العكي ، وهو نصير بن راشد الأنصاري وقتله وذلك ثأراً لمقتل رئيس الأباضية مسعود التجيبي في طرابلس ، ثم استولى الأباضيون على زناتة كلها .[2]

ونتيجة لذلك أراد عبد الرحمن بن حبيب أن يقضي على الأباضية في طرابلس فكتب إلى يزيد بن صفوان بولاية طرابلس وفي نفس الوقت أرسل مجاهد بن مسلمة الهواري ، إلى هوارة ، ليحاول ان يستنصر هذه القبيلة وغيرها من القبائل ، ويحول بينها وبين الاتصال بعبد الجبار ، وقد أقام بين هذه القبائل أشهراً ولا سيما بين الهواريين ، يدعوهم إلى مساندته ، ولكنه فشل في ذلك ، إذ طرد ولحق بيزيد بن صفوان بطرابلس . [3]

وبعد ان أصيبت خطة عبد الرحمن السياسية بالفشل ، لجأ إلى خطة جديدة للقضاء على هذه الثورة ، وهي استعمال العنف والشدة ضدهم ، فأرسل إلى طرابلس فرقة من جنوده تحت قيادة أحد قواده ، وهو محمد بن مفروق وأمر يزيد بن صفوان ان يخرج معه لقتال الأباضية ، فخرج ذلك الجيش تحت قيادة محمد بن مفروق ويرافقه يزيد بن صفوان ، ومجاهد بن مسلمة ، للقضاء على الأباضية في طرابلس . وعندما تقابل هذا الجيش بجيش عبد الجبار بن قيس

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٤٨ .
- الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ، ص ١٢٨ .
- ابن خلدون : العبر ، المجلد السادس ، ص ٢٢٣ .
- السلاوي : الاستقصا ، ج ١ ، ص ١٠٥ .
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٤٨ .
(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها : ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

والحارث بن تليد بمكان من أرض هوارة ، دارت الدائرة على جيش عبد الرحمن بن حبيب وانهزم هزيمة منكرة ، وقتل في هذه المعركة يزيد بن صفوان ومحمد بن مفروق وانهزم مجاهد بن مسلمة إلى أرض هوارة . (١)

ورغم الفشل المتكرر الذي حل بجيوش عبد الرحمن بن حبيب ، الا أن ذلك لم يهبط من عزيمته ، بل انه جمع جيشاً جديداً ، ووضعه تحت قيادة عمر ابن عثمان وأقر بالزحف إلى جيش عبد الجبار بن قيس والحارث بن تليد فلقيهما بأرض زناتة وتمكن عبد الجبار والحارث من هزيمته ، واستوليا على طرابلس كلها ولم يكتف عبد الجبار والحارث بهذا النصر ، بل تعقبا عمر بن عثمان الذي بلغ دغوغا (٢) ولما شعر عمر بن عثمان بمطاردة جيش الحارث له اتجه نحو الصحراء ، ثم تقـــدم إلى سرت فأدركته خيل الحارث ، فقتلت نفراً من أصحابه ، واحتوى الحارث عـــلى عسكره ، ونجا عمر على فرسه جريحاً . (٣)

ويذكر أنه بعد كل هذه الانتصارات التي حققها عبد الجبار بن قيس ، والحارث بن تليد، دب الخلاف بينهما فاقتتلا، فقتل كل منهما صاحبه . (٤) غير أن الأستاذ محمد علي دبوز يرفض هذه الرواية ، ويرى خلاف ذلك ، اذ إنه يقول : « ان عبد الرحمن دس عليهما من يقتلهما، فلما كانا ذات يوم وحدهما في دار الحكمة ، تقدم اليهما جماعة زعموا انهم من ذوي الحاجات ، وقتلوهما وأدخلوا في كل منهما سيفاً ، وجعلوا مقبضه إلى جهة الآخر ، ليتوهم الناس

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ،ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٢) دغوغا : ويذكر ابن خرداذبة : المسالك والممالك ليدن ١٨٨٩ ، ص ٨٦ أنه من المنصف إلى تاورغا نحو الغرب أربعة وعشرون ميلا ، ثم إلى دغوغا عشرون ميلا ، ثم إلى ورداسا ثمانية عشر ميلا .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٤٩ .

(٤) نفس المصدر السابق والصفحة .

انهما تنازعا فتقاتلا فقتل كل منهما صاحبه » . [1] غير اننا نرجح الرأي الأول ، وذلك لانه ليس من المعقول أن تترك دار الحكمة بدون حراسة حتى يدخل جماعة على عبد الجبار والحارث ويقتلوهما دون أن يفطن بهم أحد ... وبالإضافة إلى ذلك فان صاحب الجواهر المنتقاة يذكر أنه لم يعلم المحق منهما من المبطل [2] ومعنى ذلك أنه كان بينهما خلاف وقتل كل منهما الآخر ، ولم يعرف المبطل منهما من المحق .

وقد اتصلت مسألة الحارث وعبد الجبار إلى أرض المشرق ، وكان بين أهل المشرق فيهما اختلاف ، وفرقة ، وفي أرض المغرب أشد من ذلك ، حتى كتب لهم أبو عبيدة مسلم وأبو داود حاجبه بالكف عن ذكرهما . [3]

امامة اسماعيل بن زياد النفوسي

وفي سنة ١٣٢ هـ/٧٤٩ م اختار اباضية طرابلس اماما جديداً هو إسماعيل ابن زياد النفوسي . [4] الذي عظم شأنه وكثر اتباعه ، ونجح في الاستيلاء على مدينة قابس ، فخرج اليه عبد الرحمن بن حبيب حتى وصل إلى مدينة قابس ، وأرسل اليه فرقة من جيشه وعلى رأسها ابن عمه شعيب بن عثمان ، وتم اللقاء بين الطرفين ، وكان النصر في هذه المرة حليفاً لجيش شعيب بن عثمان الذي تمكن من قتل اسماعيل بن زياد النفوسي ، ووقع كثير من اصحابه في أسر جيش شعيب بن عثمان ، وهرب الباقون .

---

(١) محمد علي دبوز : المغرب الكبير ، جـ ٣ ، ص ٢١٠ .

(٢) الجواهر المنتقاة : ورقة ٨٧ .

(٣) أبو زكريا : السيرة وأخبار الائمة ، ورقة ٧ .

– الدرجيني : طبقات الاباضية ، ورقة ١٠ ، ١١ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، المجلد السادس ، ص ٢٢٣ .

وعندما وصلت انباء هذا النصر إلى عبد الرحمن بن حبيب نهض مسرعاً إلى سوق طرابلس ومعه الأسارى وكتب إلى عمر بن عثمان ، فقدم عليه بأرض سرت وقدم له الأسارى فضرب أعناقهم ، وصلبهم ، واستعمل على طرابلس عمر بن سويد المرادي وأمره أن يقفل .[1] وبذلك استعاد عبد الرحمن بن حبيب طرابلس وعمر سورها في العام التالي .[2] وانتقل الناس اليها من كل مكان .[3] وعاد عبد الرحمن بن حبيب بعد قضائه على هذه الثورة إلى القيروان ، وظل عمر بن سويد المرادي والياً على طرابلس إلى أن ثار عليه البربر برئاسة عبد الأعلى بن السمح سنة ١٤٠ هـ/٧٥٧ م حيث قبض على هذا الوالي وخيره بين البقاء مع الأمان والخروج ، فاختار الخروج وسافر إلى المشرق .[4]

ثانياً : ثورة أبي الخطاب الأباضي :

وعندما انهارت الدولة الأموية ، وحلت محلها الدولة العباسية ، فر بعض الأمراء الأمويين إلى افريقية وبالإضافة إلى ذلك ، فان عبد الرحمن بن حبيب ، لم يقدم الولاء والطاعة للخليفة العباسي الجديد أبي العباس السفاح ، ونتيجة لذلك أراد الخليفه العباسي أن يقضي على نفوذ عبد الرحمن بن حبيب ، فأرسل جيشاً إلى افريقية تحت قيادة أبي عون عبد الملك بن يزيد . وكان على مقدمة هذه الجيوش عامر بن إسماعيل ، ويرافقه أسطول بحري خرج من مدينة الإسكندرية تحت قيادة المثنى . وكان قد سبق هذه الجيوش إلى أرض سرت بعض الدعاة العباسيين ، وذلك لنشر الدعوة العباسية في بلاد المغرب ، ولما وصلت الجيوش العباسية إلى برقة ، توفي الخليفة أبو العباس السفاح ، في ذي الحجة سنة

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٤٩ .
(٢) أحمد النائب الانصاري : المنهل العذب ، ج ١ ، ص ١٠ ، ٥١ .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ص ٦٣ .
(٤) الطاهر أحمد الزاوي : ولاة طرابلس ، ص ٤٦ .

١٣٦ هـ/٧٥٣ م مما أدى إلى استدعاء الدعاة الذين وصلوا إلى سرت ، والجيش الذي قد مكث في برقة لمدة أحد عشر شهراً [١] .

وعندما تولى الخليفة الجديد ، أبو جعفر المنصور ، كتب إلى عبد الرحمن ابن حبيب يأمره ، أن يقدم الولاء والطاعة للدولة العباسية ، فأجاب ابن حبيب إلى ذلك . فأقره أبو جعفر عـلى ولاية افريقية وبعث اليه بالخلع السود ، فلبسها واعلن الدعاء على المنابر للخليفة العباسي . [٢]

ووجه عبد الرحمن بن حبيب بعد ذلك إلى الخليفة العباسي بهدية فيها بزاة وكلاب ، وكتب له رسالة قال له فيها « ان افريقية اليوم إسلامية كلها ، وقد انقطع السبي منها فلا تسألني ما ليس قبلي » فغضب الخليفة أبو جعفر من لهجة هذه الرسالة وكتب إلى عبد الرحمن بن حبيب يتوعده ، مما أثار غضب عبد الرحمن بن حبيب فجمع الناس وخطب فيهم قائلاً « اني ظننت أن هذا الخائن يدعو إلى الحق حتى تبين لي خلاف ما بايعته عليه ، من اقامة العدل ، واني الآن قد خلعته كما خلعت نعلي هذا وقذفه من رجله ثم دعا بخلع السواد . [٣]

وقد استغل الياس بن حبيب الخلاف الذي وقع بين ابي جعفر المنصور وعبد الرحمن بن حبيب فتآمر مع أخيه عبد الوارث على قتل عبد الرحمن بن حبيب . وكان سبب تآمرهما عليه أنه كان يبعث أخاه الياس إلى كل ثائر يخرج عليه ، فيقاتله حتى يظفر بالنصر ، فينسبه عبد الرحمن بن حبيب إلى ابنـه حبيب ثم ولاه العهد . [٤]

ولهذا تآمر عليه أخواه ، وتولى الياس الحكم من بعد أخيه عبد الرحمن غير أن الياس لم يستقر في الحكم طويلاً حتى ثار عليه حبيب بن عبد الرحمن

---

(١) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ١٠٣ .

(٢) الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ، ص ١٣٣ ، ١٣٤ .
– ابن عذاري : البيان المغرب ج ١ ، ص ٦٧ .

(٣) نفس المصدرين السابقين .

(٤) نفس المصدرين السابقين .

وتولى زمام الأمور . وما كاد الأخير يستقر في القيروان حتى ثارت عليه ورفجومة [1] . التي لجأ اليها عبد الوارث ، وكانت هذه الثورة برئاسة عاصم الورفجومي .

اذ ان عاصم الورفجومي قائد هذه الثورة ، أرسل عبد الملك بن أبي الجعد لقتال حبيب بن عبد الرحمن الذي لم يصمد كثيراً في قتال ورفجومة ، حتى قتل في المحرم سنة ١٤٠ هـ /٧٥٧ م ، ورجع عبد الملك بعد ذلك في قبائل ورفجومة إلى القيروان واستولى عليها ، وبذلك ملكت ورفجومة افريقية ، وعاملوا أهل القيروان بالعسف والظلم حتى تفرقوا ، في مختلف الأقاليم فراراً بأنفسهم ، وشاع خبرهم في الآفاق [2] .

وبالإضافة إلى ما ارتكبته ورفجومة من ظلم يذكر أنهم ربطوا دوابهم في المسجد وقتلوا كل من كان بالمدينة من قريش [3] . وتذكر بعض الروايات أنه خلال هذه الأحداث ، كان رجل من الأباضية في القيروان ، لقضاء بعض الحاجة ، فرأى ناساً من الورفجوميين ، قد أخذوا امرأة قهرا والناس ينظرون ، فأدخلوها الجامع ، فما كان من الأباضي إلا ان ترك حاجته التي جاء من أجلها وخرج حتى أتى أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري ، وأخبره بذلك

---

(١) ورفجومة ، وهي بطن من بطون البربر ، من نفزاوة ، بنو لو الاكبر ، ومن أهم بطونها رجال ، وطو وبورغيس ، وورانجر ، وكرطيط ، وما انجدل ، وسفتيت بنو رفجوم من ميزغاش بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو . (ابن خلدون – العبر – المجلد السادس – ص ١٧٩ ، ١٨٠) .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٤ ، ص ٢٨١ .
– ابن خلدون : العبر ، المجلد ٤ ، ص ٤١٠ .

(٣) الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ، ص ١٤١ .
– ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٧٠ .
– السلاوي : الاستقصا ، جـ ١ ، ص ١١٠ .

فخرج وهو يقول : لبيك اللهم لبيك . [1]

أما روايات الأباضية فتذكر أن امرأة من نساء القيروان كتبت بطاقة إلى أبي الخطاب ، تشكو اليه جور ورفجومة ، وتقول له فيها « أما بعد يا أمير المؤمنين فان لي ابنة ، وقد بلغنا الخوف عليها من ورفجومة والحوطة عليها ، أن حفرت حفرة تحت سريري وضعتها فيها ، خشية ان يفسدوها كما فعلوا بأمثالها» . [2]

ومهما اختلفت الروايات في هذه النقطة ، الا أنها تجمع على الظلم الذي ارتكبته ورفجومة في القيروان . ومن المرجح ان يكون ذلك سبباً مباشراً ، في استيلاء الأباضية على مدينة القيروان .

إمامة أبي الخطاب والاستيلاء على طرابلس

وقد كان الأباضية بعد مقتل الحارث وعبد الجبار يجتمعون في الكتمان ويذكرون عقد الإمامة فأجالوا النظر ، وأطالوا الفكر فيما بينهم ، فيمن يولونه أمرها ان كانت لهم قوة على عدوهم . وكانوا يجتمعون بموضع يقال له صياد غربي مدينة طرابلس ، وكانوا يظهرون أنهم يجتمعون في أمر أرض بين قوم أرادو قسمتها ، وأظهروا ذلك وأعلنوه ، وقيل أنهم كانوا يجتمعون في أمر رجل وزوجته اختصما ، بينما كانوا في واقع الأمر ، إنما يجتمعون من أجل الإمامة . [3]

---

(١) الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ، ص ١٤١ ، ١٤٢ .
– ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٢٨١ .
(٢) أبو زكريا : السيرة وأخبار الامة : ورقة ٧ .
– الدرجيني : طبقات الاباضية ، ورقة ١٢ .
(٣) السيرة وأخبار الأمة : ورقة ٦ .

وقد استمرت اجتماعاتهم حتى اتفقوا فيما بينهم على يوم معلوم ، وعلى أن يأتي كل واحد منهم ، بجماعة من رجال عشيرته واتباعه بسلاحهم ، وخرج معهم أبو الخطاب ولم يكن يعلم ما يريدونه ، وعندما وصلوا إلى مدينة صياد تكلم رجل منهم ، وقال : أليس قد اجتمع رأينا على ما قد علمتموه فقالوا : بلى ، فأتموا أمركم . فاجتمعت طائفة منهم على ناحية ، وتكلموا فيما بينهم ، ثم رجعوا فقالوا لأبي الخطاب : ابسط يديك لنبايعك على ان تحكم بيننا بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وآثار الصالحين من عباده فقال لهم أبو الخطاب استغفلتموني ، وما حسبت أن لهذا الأمر كان خروجي معكم .[1]

وكان أبو الخطاب هذا ، من حملة العلم الخمسة الذين وفدوا على البصرة والذي أشار اليه أستاذهم أبو عبيدة – عندما أرادوا الانصراف إلى بلاد المغرب – وذلك عندما سألوه عمن يولونه الإمامة اذا مـــا أنسوا في أنفسهم قوة .[2]

ولما رأى أبو الخطاب إصرارهم على أن يولوه أمرهم ، رضخ للأمر الواقع ، وقال لهم : لا أقبل أن أتحمل امانتكم الا على شرط . فقالوا له : كل شرط يجوز فنحن نعطيكه ونطيعك ، فقال لهم : شرطي عليكم ، الا تذكروا في معسكري مسألة الحارث وعبد الجبار ، خوفاً من ان يكون في جماعة المسلمين اختلاف وفرقة ، وقد حدثنا بعض اصحابنا أن مسألة الحارث وعبد الجبار ، اتصلت بالمشرق ، فكان بين أصحابنا وفي مسألتهم اختلاف وفرقة وفي أرض المغرب أشد من ذلك ، حتى كتب لهم أبو عبيدة مسلم ، وأبو داود حاجبه بالكف عن ذكرهما .[3]

---

(١) السيرة وأخبار الأمة : ورقة ٧ .
– الدرجيني : طبقات الاباضية ، ورقة ١٠ .
(٢) السيرة وأخبار الأمة ، ورقة ٦ .
(٣) السيرة وأخبار الامة : ورقة ٧ .
– طبقات الاباضية ، ورقة ١٠ ، ١١ .

وعندما وافقوه على شرطه بسط يده ، فبايعوه ، وكان ذلك في المحرم سنة ١٤٠ هـ/٧٥٧ م ، في صياد غربي مدينة طرابلس . [١]

ثم اتفقوا على احتلال مدينة طرابلس ، وكانت خطتهم ، في احتلال هذه المدينة ان يحمل الرجال مع اسلحتهم في جواليق تربط أفواهها من أسفل ، ويحمل كل جمل رجلين ثم يدخلوا مدينة طرابلس ، وكل من سيرى الجمال على هذه الهيئة ، لن يفطن إلى من فيها من الرجال ويظن انها تحمل بضاعة ، وعندما يرى الأباضية المقيمون بطرابلس ، دخول الجمال وانتشارها في المدينة يشهرون سلاحهم . [٢]

وعندما التف البربر حول أبي الخطاب ، اتجه إلى مدينة طرابلس ، واستولى عليها ، وطرد منها الوالي العباسي عمر بن عثمان القرشي . [٣] وولى عليها رحيمة عبد الله ، وعلى سرت عمر بن يمكتن . [٤]

وفي صفر سنة ١٤١ هـ/٧٥٨ م توجه أبو الخطاب بمن كان معه من البربر ، إلى القيروان فخرج اليه عبد الملك بن أبي الجعد في جموعه ، وتم اللقاء بين الجيشين ودارت المعركة ، وكان النصر فيها لأبي الخطاب حيث قتل عبد الملك بن أبي الجعد ، ودخل أبو الخطاب مدينة القيروان ، حيث ولى عليها عبد الرحمن بن رستم . [٥] وبذلك صارت طرابلس كلها ، من خليج سرت إلى

---

(١) محمد علي دبوز : المغرب الكبير الطبعة الاولى ١٩٦٣ جـ ٣ ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٢) السيرة وأخبار الامة : ورقة ٧ .

(٣) ابن الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ، ص ١٤١ .

(٤) الزاوي : ولاة طرابلس ، ص ٤٧ .

— علي يحيى معمر : الاباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الثانية القسم الاول ، ص ٤١ .

(٥) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٧١ .

— ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٤ ، ص ٢٨١ .

— ابن خلدون : العبر ، المجلد السادس ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

قابس ومن البحر إلى الصحراء الكبرى ، منضوية تحت إمامة أبي الخطاب . [١]

موقف أبي جعفر المنصور من ثورة أبي الخطاب

وكان أبو جعفر المنصور حريصاً على دولته الناشئة فأعمل السيف في كل منافسيه ، وقد تم له في المشرق ما أراد ، فاتجه إلى المغرب ، وقد عزم ان يقضي على إمامة أبي الخطاب ، التي أصبحت أكبر خطر يهدده وليسترد إفريقية لتكون وقاية لمصر ، لأن في قيام دولة أبي الخطاب اتصالاً بمناوئي الدولة العباسية في مصر ، وهذا ما يؤدي إلى الثورة في مصر ضد الحكم العباسي ، ولا بد وان يحذو الشام والعراق حذو مصر والمغرب . [٢] ولهذا صمم المنصور على إرسال قواته إلى المغرب للقضاء على ثورة أبي الخطاب وقد شجعه على إرسال هذه القوات إلى المغرب ، وفود جماعة من جند إفريقية يشكون ما نزل بهم من ورفجومة ويستصرخونه . [٣] وكان من هؤلاء الوفد الذي أتى إلى المنصور من افريقية نافع بن انعم ، والبهلول ، كما وفد عليه جميل السدراتي أحد جنود عبد الأعلى الخارجين عليه . [٤]

ولهذا صمم أبو جعفر المنصور على القضاء على ثورة أبي الخطاب ، فما كان منه في تلك الأثناء إلا ان ولى محمد بن الأشعث على مصر ، وطلب منه إرسال جيش للقضاء عل ثورة أبي الخطاب ، فأرسل هذا الوالي جيشاً بقيادة رجل من أكبر قواده ، وأشجع رجاله هو العوام بن عبد العزيز البجلي ، وكلفه

(١) أحمد النائب : المنهل العذب ، ج ١ ، ص ٥١ .
– محمد علي دبوز : المغرب الكبير ، ج ٣ ، ص ٣ .
(٢) محمد علي دبوز : نفس المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٤ و ٥ .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٧٢ .
– ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٤١٠ .
(٤) محمد علي دبوز : نفس المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٥ .

بحرب أبي الخطاب ومهاجمة بلاده ، فسار العوام اليه . وكان أبو الخطاب ، قد أخذ يستعد لملاقاة جيش المنصور ولما تم له ذلك خرج بجيشه حتى أتى ورداسة في شرق طرابلس ، ووجه إلى العوام مالك بن سحران الهواري ، في طائفة من جيش ، فالتقى بالعوام البجلي ، في منطقة سرت ، وهي أول بلاد الإمام أبي الخطاب ودارت معركة كبرى بين الطرفين سقط فيها قتلى كثيرون من الجانبين ، غير أن مالك بن سحران كر على جيش العوام البجلي فهزمه وقتل عدداً كبيراً من أصحابه ، ورجع العوام إلى ابن الأشعث مهزوماً . [١]

وعرف ابن الأشعث ان ابا الخطاب لا يؤثر فيه إلا جيش يحشد فيه كل ما استطاعه من جنده الشجعان ومع خيرة قواده ، فجهز جيشاً آخر أكبر من سابقه ويقدره بعض المؤرخين في ستة الآف جندي . [٢] لمقابلة الجيوش الأباضية وذلك في سنة ١٤٣ هـ/٧٦٠ م تحت قيادة أبي الأحوص العجلي . [٣] وأرسله إلى أفريقية ، فزحف اليه أبو الخطاب بجموع الأباضية من البربر ، والتقى الجيشان في مغمداش على شاطىء البحر ، وتمكن أبو الخطاب من هزيمة جيش ابي الأحوص ، حيث عاد إلى مصر ، وانصرف أبو الخطاب إلى طرابلس ، وأصبحت إفريقية كلها في يديه إلى أن وجه اليه المنصور محمد ابن الأشعث. [٤]

---

(١) محمد علي دبوز : نفس المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٨ ، ٩ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ، ص ٦٤٥ .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٧١ .
– البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٧ .
– السلاوي : الاستقصا ، ج ١ ، ص ١١٤ .

(٤) الكندي : الولاة والقضاة : ص ١٠٩ .
– ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٢٨١ .
– النويري : نهاية الارب ، ج ٢ ، ص ١٩ .

ولم يرض ذلك الوضع ابا جعفر المنصور ، وذلك خوفاً من ضياع النفوذ العباسي في المغرب العربي ، فولى إفريقية محمد بن الأشعث الخزاعي ، عامله على مصر ، وأعد الخليفة جيشاً عدته أربعون الف مقاتل يقودهم ثمانية وعشرون قائداً . [1] منهم الأغلب بن سالم بن عقال التميمي ، والمحارب بن هلال الفارسي والمخارق بن غفار الطائي ، وأمرهم بالسمع والطاعة له ، وان حدث به حدث ، كان أميرهم الأغلب، فان حدث به حدث ، فالمخارق ، ومن بعده المحارب بن هلال ، غير أن الأخير توفي قبل وصولهم إلى إفريقية . [2] وعندما علم ابن الأشعث بقرب موعد اتجاهه إلى إفريقية عسكر بالجيزة وصلى بها يوم عيد الأضحى سنة ١٤٢ هـ/٧٥٩ م ، ثم توجه إلى الإسكندرية ، وذلك بعد أن استخلف محمد بن معاوية على مصر . [3] ولما علم أبو الخطاب خروج محمد بن الأشعث اليه ، جمع أصحابه من كل ناحية ، ومضى في عدد عظيم فكثر جمعه ، وخافه ابن الأشعث لكثرة جموعه ، غير أنه في هذا الوقت تنازعت زناتة وهوارة بسبب قتيل من زناتة ، فاتهمت زناتة ابا الخطاب ، بالميل إلى هوارة فتخلى عنه جماعة منهم ، مما شجع ابن الأشعث وقوى من عزيمته[4] .
ثم سار أبو الخطـاب في جيوشه وأنصاره حتى عسكر بسرت شرقي طرابلس ، ينتظر وصول ابن الأشعث اليه ، غير أن ابن الأشعث كان داهية

= — ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٤١١ .

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٧٢ .

(٢) ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٥٦ .

— النويري : نهاية الارب ، ج ٢٢ ، ص ١٩ .

(٣) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ١٠٩ .

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٧٢ .

— ابن الأثير :الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٨١ .

— ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٤١١ .

محنكاً يتبين طريقه كل التبين قبل أن يخطو فيه ، ويعلم كل العلم قبل ان يشتبك به . فأرسل جواسيسه وبثهم في سرت ليأتوه بأخبار ابي الخطاب وعدد جيشه . فاندس هؤلاء الجواسيس في سرت . وعرفوا حقيقة جيش أبي الخطاب . ورجعوا إلى ابن الأشعث ، بأنباء ارتاع منها ، وساءه ان يكون جيش ابي الخطاب متفوقاً في المعنويات والعدد .[1]

فاتجه ابن الأشعث إلى خطة سياسية لكي يقضي بها على جيش ابي الخطاب ، عندما تحين الفرصة المناسبة فضبط افواه السكك ، حتى انقطع خبره عن أبي الخطاب فرجع أبو الخطاب إلى طرابلس ، ولكن عندما علم أبو الخطاب بعد ذلك برجوع ابن الأشعث إلى سرت ، خرج اليه حتى وصل ورداسة ولما قرب منه ، ذكر ابن الأشعث لأصحابه ان خبراً اتاه من الخليفة المنصور بالرجوع إلى المشرق [2] . فعاد إلى الخلف مسار ثلاثة أيام ببطء ، فوصلت عيون ابي الخطاب وأخبرته بعودة ابن الأشعث فتفرق عنه كثير من أصحابه ، وكان ذلك في صفر سنة ١٤٤ هـ /٧٦١ م ، فهاجمه ابن الأشعث ودارت معركة رهيبة بين الطرفين ، ويجعلها بعض المؤرخين عند مدينة لبدة ، [3] وأحاطت فيها جيوش ابن الأشعث بأبي الخطاب ، فصمد أبو الخطاب ، وظل يقاتل مع أصحابه حتى قتل هو وعدد كبير من جنده . وهكذا استطاع ابن الأشعث بسياسته ودهائه ان ينتصر على أبي الخطاب ، وتنفس ابن الأشعث الصعداء ، وزالت عنه الكروب ، والخشية ، واحتز رأسه وأرسله إلى المنصور .[4]

ولما علم عبد الرحمن بن رستم بالقيروان ، وكان في طريقه إلى ابي

---

(١) محمد علي دبوز : نفس المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١١ ، ١٢ .
(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٢٨١ .
– النويري : نهاية الارب ، ج ٢٢ ، ص ٢٠ .
(٣) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ، ص ٦٤٥ .
(٤) محمد علي دبوز : نفس المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٨ .

الخطاب ما حل بأبي الخطاب وأصحابه ، فر إلى تاهرت ، وبنى هنالك مدينة نزلها ، أما ابن الأشعث فإنه افتتح طرابلس ، واستعمل عليها المخارق بن غفار الطائي . (١)

وظن ابن الأشعث أنه لا قوة هناك تهاجمه بعد انتصاره على أبي الخطاب ولكنه فوجىء برجل يدعى أبو هريرة الزناتي في ستة عشر ألفاً من زناتة وغيرها ، فهجم عليهم ابن الأشعث وتمكن من هزيمتهم وذلك في ربيع الأول سنة ١٤٤ هـ /٧٦١ م . (٢)

ثم كتب ابن الأشعث إلى الخليفة المنصور يخبره ، بتلك الانتصارات ، ثم أخذ يولي عماله على المغرب ، وبالإضافة إلى ذلك سير سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م من مدينة القيروان جيشاً بقيادة أحد قواده إسماعيل بن عكرمة الخزاعي ، إلى مدينتي زويلة وودان ،حيث قام بقتل زعيم الأباضية بزويلة عبد الله بن حيان الأباضي ، وهكذا فرض ابن الأشعث سطوته على البربر ، فأذعنوا له بالطاعة . (٣)

ثالثاً : ثورة أبي حاتم يعقوب بن لبيب الأباضي :

وفي سنة ١٥١هـ/ ٧٦٨م آلت ولاية إفريقية إلى عمرو بن حفص بن قبيصة وكان شجاعاً بطلاً . وسبب توليته على إفريقية ، أن أبا جعفر المنصور لما بلغه قتل الأغلب بن سالم ، وجهه إلى إفريقية في نحو خمسمائة فارس ، فأقام

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٧٢ .
– ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٤١١ .
(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٧٢/٧٣ .
– ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٨١ .
(٣) نفس المصدرين السابقين .

بالقيروان ، مدة ثلاث سنين وأشهر من ولايته ، والأمور له مستقيمة .[1] ثم سار بعد ذلك لبناء سور مدينة طبنة ، لأنها تعتبر خط الدفاع الأول عن القيروان ، ثم ان أمر الخوارج الصفرية قد استفحل فيها ، فخرج اليها ، وذلك بعد أن استخلف على القيروان أبا حازم حبيب بن حبيب المهلبي ولقد شعر الرستميون بالخطر الذي أصبح يتهدد دولتهم من جراء تحصين مدينة طبنة ، فاتفق ابن رستم مع أنصاره في طرابلس ، وإفريقية وتلمسان على الانتقاض ، ومحاربة العباسيين ، فاستغلوا فرصة خروج عمرو بن حفص إلى طبنة ، وخلوا إفريقية من عسكر العباسيين ، وأعلنوها ثورة في طرابلس وولوا عليهم أبا هاشم بن يعقوب .[2]

وكان والي طرابلس من قبل العباسيين في هذه الفترة هو الجنيد بن بشار الأسدي [3] فأرسل إليهم عمرو بن حفص جيشاً قوامه خمسمائة فارس ، تحت قيادة أحد قواده ، ويدعى أبا حازم بن سليمان [4] فطلب منهم أن يقدموا الولاء والطاعة لأبي جعفر المنصور ، ولكنهم رفضوا ذلك ، وقالوا له : « عليك لعنة الله وعلى أبي كافر معك » [5] وكانوا يقصدون بذلك أبا جعفر المنصور .

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٧٥ .
– ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ٣١ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ٣١ ، ٣٢ .
– ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٤١٢ .
– السلاوي : الاستقصا ، جـ ١ ، ص ٢١٧ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ٣٢ .
– ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٤١٢ .
– النويري : نهاية الارب ، جـ ٢٢ ، ص ٢٠ .
(٤) النويري : نهاية الارب ، جـ ٢٢ ، ص ٢٠ .
(٥) الدرجيني : طبقات الاباضية ، ورقة ، ١٦ ، ١٧ .

وعندما رفضوا تقديم الطاعة للخليفة العباسي ، تم اللقاء بين الطرفين ، ودارت المعركة بينهم ، انتهت بقتل عدد كبير من جند العباسيين ، وهزيمتهم إلى مدينة قابس ، فحاصرهم أبو حاتم . (١)

ثم بعث بجيوشه إلى طبنة حيث حاصروا بها عمرو بن حفص ، وكان على رأس هذه الجيوش أبو قرة اليعقوبي في أربعين ألفاً ، والمسور بن هانيء الزناتي في عشرة آلاف ، وعبد الرحمن بن رستم في خمسة عشر ألفاً ، وعبد الملك بن سكريد في ألفين وانضم إليهم عدد كبير من خوارج هوارة وزناتة.(٢) ومع أن هدف المحاصرين كان واحداً ، وهو قتال جند الخلافة ، إلا أنهم لم يكونوا متفقين أو متحدين في الخطة والعمل ، بل كان كل منهم يعمل منفرد عن الآخر ، ولهذا عندما أعمل عمرو بن حفص الحيلة في صرف جند أبي قرة عن حربه ، انصرف بعض الآخرين ، وانهزم بعضهم (٣) إذ إن عمر بن حفصاً رأى كثرة البربر حوله ، فأراد أن يفرق كلمتهم ، وذلك عن طريق شراء بعضهم بالمال ، فبذل لأصحاب أبي قرة مالاً كثيراً ، مما أدى إلى تفرقهم. (٤)

هذا كما بعث في نفس الوقت جيشاً إلى ابن رستم ، وهو بتهودة ، فما كان من عبد الرحمن بن رستم إلا أن انهزم أمامه إلى تاهرت ، وخفت الأباضية عن حصار مدينة طبنة ، ثم سار أبو حاتم إلى القيروان وحاصرها ثمانية أشهر حتى أكل أهلها الميتة ، ولما اشتد الحصار على أهل القيروان ، خرج عمرو بن حفص من طبنة بعد أن استخلف عليها المهنأ بن غفار الطائي ، واتجه إلى

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ٣٢ .
– ابن خلدون : العبر ، مجلد ٤ ، ص ٤١٣ .
(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٧ .
(٣) رفعت فوزي عبد المطلب : نفس المرجع السابق ، ص ١٦٦ .
(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٧٦ .
– أبو العباس السلاوي : الاستقصا لأخبار المغرب الاقصى ، جـ ١ ، ص ١١٧ ، ١١٨ .

القيروان . مما أدى بالمجتمعين على القيروان أن يفكوا حصارهم عنها ويتجهوا لمقابلة قوات عمرو بن حفص القادمة إلى القيروان فلما علم بهم اتجه إلى تونس . [1] وفي هذه الأثناء خرج جميل بن صخر من القيروان بعدما ترك حصارها أبو حاتم ، والتقى مع عمرو بن حفص وتوجها معاً إلى القيروان ، وكان لقاؤهما في مكان يقال له بئر السلامة . [2]

وبعد أن رجع عمرو بن حفص إلى مدينة القيروان ، بدأ يستعد لملاقاة جيش أبي حاتم ، ولكنه رأى أنه لا يستطيع مقاومة ذلك الجيش الذي بلغ تعداده حوالي مائة وثلاثين ألفاً ، فأخذ يجمع من الطعام ما يمكن جمعه ، ثم قام بحفر خندق حول المدينة [3] ، ثم أقبل أبو حاتم في جنوده حتى وصل إلى بحيرة المسروقين ، فنهض إليه عمرو بمن معه فقاتله أشد قتال ، غير أن البربر تكاثروا عليه ، مما أدى به إلى الانسحاب إلى مكان يدعى القنطاط ، فتابعه أبو حاتم ، حتى وصل إلى الخندق الذي أعده عمرو بن حفص ، وظل أبو حفص محاصراً داخل خندقه ، وطال الحصار على أهل المدينة . [4]

ويذكر أنه عندما طال الحصار على عمرو بن حفص ، وصله كتاب من زوجته خليدة بنت المعارك تخبره أن أمير المؤمنين استبطأه ، فبعث إليه يزيد ابن حاتم في ستين ألفاً . [5] فعز على عمرو بن حفص أن يقال أن يزيد أخرجه من الحصار ، فقرر الخروج للقاء الأعداء ، وهو يقول : « لا خير في الحياة إنما هي رقدة ، وأبعث إلى الحساب ، بعد أن يقال يزيد أخرجه من الحصار ،

---

(١) الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ .
(٢) النويري : نهاية الأرب ، جـ ٢٢ ، ص ٢١ .
(٣) الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ، ص ١٤٤ .
– النويري : نهاية الأرب ، جـ ٢٢ ، ص ٢١ .
(٤) الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ .
(٥) نفس المصدر السابق .

فخرج وقاتل حتى قتل [1] وذلك في سنة ١٥٤هـ/ ٧٧٠م .

ولما قتل عمرو بن حفص ، على يد الخوارج جمع يزيد بن قبيصة جيشاً من الشام والعراق ، وخراسان ، بلغ حوالي ستين ألف مقاتل ، وسار به إلى إفريقية للأخذ بثأر عمرو بن حفص . [2] وعندما علم أبو حاتم بمسيرة يزيد الذي كلفه الخليفة العباسي بالذهاب إلى إفريقية ، سار هو أيضاً إلى طرابلس للقائه ، وذلك بعد أن استخلف على القيروان عبد العزيز بن السمح المعافري ، وأمره بأن يأخذ سلاح الجند وأن لا يجتمع منهم اثنان في مكان واحد وأن يوجه إليه بهم واحداً بعد واحد غير أنهم اجتمعوا واستوثق بعضهم من بعض ألا يرضوا بهذا ، وقويت شوكتهم بقدوم يزيد [3] وبينما كان أبو حاتم في طريقه إلى طرابلس بلغه خبر انتقاض بعض الأشخاص في القيروان ، وعلى رأسهم عمر ابن عثمان القرشي ، والمخارق بن غفار ، فعاد أبو حاتم إلى القيروان ، ففر عمر ابن عثمان إلى تونس ، وذلك بعد قتال شديد بين الطرفين ، ثم مضى أبو حاتم بعد ذلك إلى طرابلس لمقابلة الجيش العباسي . وفي هذه الأثناء انضم إلى جيش يزيد ، جميل بن صخر وأصحابه وهو بسرت . [4] وأقاموا إلى أن لقيهم أبو حاتم .

غير أن أبا حاتم رأى أن يختار مكاناً يصعب منه على يزيد الانتصار فيه ،

---

(١) الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ .
– ابن عذاري : البيان المغرب ، الجزء الأول ، ص ٧٦ .
– السلاوي : الاستقصا ، ج ١ ، ص ١١٨ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٧٩ .
– ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ٣٣ .

(٣) الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ، ص ١٤٧ .
– ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٤) الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ، ص ١٤٨ .

فما كان منه إلا أن لحق بجبال نفوسة ، فاتبعته عساكر يزيد ، فهزم ، فسار إليهم يزيد بنفسه وقاتله قتالاً شديداً فانهزم البربر ، وقتل أبو حاتم في ثلاثين ألفاً من أصحابه وعلى الرغم من المبالغة في هذا العدد إلا أنه يشير إلى مدى ما تكبده جيش أبي حاتم من خسائر في الأرواح . ثم تتبع يزيد الفارين بالقتل ، طالباً بثأر عمرو بن حفص ثم ارتحل إلى القيروان فدخلها في منتصف سنة ١٥٥هـ / ٧٧١ م وذلك بعد أن استخلف على طرابلس سعيد بن شداد .[١]

وكان عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن الفهري ، قد خرج مع أبي حاتم ، غير أنه بعد مقتل أبي حاتم ، لحق عبد الرحمن بكتامة ، فبعث يزيد المخارق بن غفار الطائي في طلبه ، فحاصرها ثمانية أشهر ، فغلب عليه وقتل جماعة ممن معه ، وفر هو إلى الأندلس .[٢]

وفي هذه الأثناء ، كانت هوارة وزناتة في طرابلس تترقب فرصتها للثورة . فعندما ابتعد يزيد بجيوشه ، تعقباً لعبد الرحمن ، ثارت هوارة في شرق طرابلس واشتعل شرق طرابلس ناراً على العباسيين بقيادة شخص يدعى أبا يحيى بن قرياس[٣] الهواري فاجتمع عليه كثير من البربر وكان في هذه الأثناء عسكر ليزيد بن أبي حاتم بطرابلس بقيادة عبد الله بن السمط الكندي ، فالتقوا على شاطىء البحر من أرض هوارة ، ودار القتال بين الطرفين ، مما أدى إلى

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٧٩ .
— ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٤١٤ .
— أحمد النائب : المنهل العذب ، جـ ١ ، ص ٥٦ .
(٢) ابن خلدون : العبر : المجلد الرابع ، ص ٤١٤ ، ٤١٥ .
— السلاوي : الاستقصا ، جـ ١ ، ص ١١٩ .
(٣) فانوس عند ابن الأثير ، جـ ٥ ، ص ٤٠ وفوناس عند ابن خلدون المجلد ٦ ص ٢٨٦ .

انهزام أبي يحيى وقتل عامة أصحابه .[1]

وفي سنة ١٧١هـ / ٧٨٧م توفي يزيد بن حاتم ، وتولى أمر إفريقية من بعده أخوه روح بن حاتم (١٧١– ١٧٤هـ / ٧٨٧ – ٧٩٠م) وكان والياً على السند . وفي عهده استكان البربر للعرب وقبلوا دفع ما عليهم من إتاوات غير أنه توفي في رمضان من سنة ١٧٤هـ / ٧٩٠م وتعاقب على ولاية إفريقية من بعده عدد من الولاة ، ومنهم نصر بن حبيب المهلبي ، ثم من بعده الفضل ابن روح بن حاتم ، الذي ولاه الرشيد أمر إفريقية في المحرم سنة ١٧٧هـ / ٧٩٣م ، وولى الفضل من قبله يحيى بن موسى عاملاً على طرابلس .[2] وفي السنة الثانية من ولايته ١٧٨هـ / ٧٩٤م ، ثار عليه الجند بقيادة عبد الله بن عبد ربه الجارود إذ إنهم تمكنوا من قتل الفضل بن روح ، والاستيلاء على القيروان وذلك في شعبان من سنة ١٧٨هـ/ ٧٩٤م . وبدخول ابن الجارود مدينة القيروان في سنة ١٧٨هـ انتهى عهد الولاة المهلبيين في إفريقية بعد أن كونوا فيها ما يشبه إمارة تابعة للخلافة منذ ولاية عمرو بن حفص سنة ١٥١هـ ، حتى مقتل الفضل بن روح . وبزوال هذه الأسرة اضطربت المنطقة من جديد .[3] إذ انه عندما تولى ابن الجارود أمر إفريقية استبقى يحيى بن موسى عاملاً على طرابلس ، غير أن هارون الرشيد ، رفض تولية ابن الجارود ، وولى مكانه هرثمة بن أعين ، أحد كبار قادة الرشيد ، فسار هرثمة بن أعين نحو إفريقية ، وعندما وصل إلى برقة ، بعث يقطين بن موسى إلى القيروان ليقنع ابن

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ٤٠ .
– ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٧٩ .
– ابن خلدون : العبر ، المجلد السادس ، ص ٢٨٦ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٨٥ ، ٨٨ .

(٣) حسن محمد سليمان : ليبيا بين الماضي والحاضر ، ص ١٢٣ .
– عبد اللطيف البرغوثي : تاريخ ليبيا الاسلامي ، ص ١٥٢ .

الجارود بالخروج من إفريقية ، وبعث ليحيى بن موسى والي طرابلس يحثه على الإسهام في إقرار الأمور بإفريقية . فاتجه يحيى بن موسى إلى القيروان ودفع لابن الجارود بكتاب الرشيد فقال له ابن الجارود : « أنا على السمع والطاعة وقد قرب مني العلاء بن سعيد ، ومعه البربر فإن تركت القيروان وثب البربر فملكوها ، فأكون قد ضيعت بلاد أمير المؤمنين ، ولكن أخرج إلى العلاء فإن ظفر بي فشأنكم والثغور ، وإن ظفرت به ، انتظرت قدوم هرثمة ، فأسلم إليه البلاد وأسير إلى أمير المؤمنين » . وكان يقصد ابن الجارود، إن ظفر بالعلاء منع هرثمة عن البلاد ، ولكن يحيى بن موسى أراد أن يفرق جيش ابن الجارود ، فخلا بأحد أصدقائه ، وهو ابن الفارسي ، الذي حاول إفساد جيش ابن الجارود ، غير أن ابن الجارود تمكن من قتل ابن الفارسي ، وهزم يحيى بن موسى حيث رجع إلى طرابلس . [1]

وفي هذه الأثناء ، قدم جيش العلاء بن سعيد يريد القيروان ، ورأى ابن الجارود أنه لا طاقة له به ، فكتب إلى يحيى بن موسى أن يقدم إلى القيروان ، ليسلمها له ، فخرج يحيى بمن معه ، من طرابلس في المحرم سنة ١٧٩هـ/ ٧٩٥م، فلما بلغ قابس تلقى بها عامة الجند من القيروان ، ومعهم النصر بن حفص ابن عمر بن معاوية وخرج ابن الجارود من القيروان في مستهل صفر ، واستخلف عليها عبد الملك بن عباس اللطيفي . فأقبل العلاء بن سعيد ، ويحيى بن موسى متسابقين إلى القيروان ، فسبقه العلاء بن سعيد اليها ، فقتل جماعة من أصحاب الجارود ، فبعث إليه يحيى بن موسى ، أن يفرق جموعه إن كان في الطاعة ،فأمر العلاء بن سعيد كل من كان معه ، بأن ينصرفوا إلى مواقعهم فانصرفوا [2] .

ثم رحل العلاء بن سعيد من القيروان إلى طرابلس ، وكان ابن الجارود قد

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٥ ، ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٢) ابن الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

– ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٨٨ .

وصل إليها . قبل وصول العلاء بن سعيد إليها ، فلقي بها يقطين بن موسى ، فخرج معه سائراً يريد المشرق ، فالتقوا بهرثمة بن أعين باجدابية ، فأرسلهما إلى منصور بن زياد ببرقة ، ثم رحلا إلى المشرق حتى وصلا إلى هارون الرشيد [1] وفي ربيع الآخر ، من سنة ١٧٩هـ / ٧٩٥م قدم هرثمة بن أعين الى القيروان ، وعين سفيان بن المضاء بن أبي المهاجر والياً على طرابلس ، وأعاد الهدوء إلى ولاية إفريقية هذا كما أعاد بناء سور مدينة طرابلس من جهة البحر. [2]

ولما رأى هرثمة ما بالمغرب من كثرة الثوار ، استعفى الرشيد من ولايتها فأعفاه لسنتين ، ونصف من ولايته ، وولى عليها محمد بن مقاتل العكي . [3]

فقدم ابن العكي ، إلى القيروان في أول رمضان ، سنة ١٨١هـ / ٧٩٧م وكان سيء الأخلاق والسيرة ، فاختلف عليه الجند ، ثم خرج عليه بتونس تمام بن تميم التميمي سنة ١٨٣هـ / ٧٩٩م ، واجتمع الناس عليه ، وساروا إلى القيروان ، ودخلوا على محمد بن مقاتل العكي فيها ، ولكن تمام آمنه على أن يخرج عن إفريقية ، فسار إلى طرابلس . [4]

ولما بلغ الخبر إلى إبراهيم بن الأغلب بمكان من الزاب انتفض لمحمد بن مقاتل، وسار بمجموعة إلى القيروان،فهرب تمام، وملك إبراهيم بن الأغلب القيروان واستقدم محمد بن مقاتل من طرابلس وأعاده إلى إمارته بالقيروان آخر سنة ١٨٣هـ / ٧٩٩م . وظل بها إلى أن قامت الدولة الأغلبية . [5]

---

(١) الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ، ص ٢٠٢ .

(٢) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٩ .
– ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٤١٧ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٤١٨ .
– السلاوي : الاستقصا ، ج ١ ، ص ١٢١ .

(٤) أحمد النائب : المنهل العذب ، ج١ ، ص ٦٠ ، ٦١ .

(٥) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٩٠ .

رأينا فيما سبق الفتن والثورات التي قام بها البربر من الخوارج ، غير أن الضربة الساحقة التي ألحقها يزيد بن حاتم بالأباضية ، تعد نهاية لنشاط الخوارج الأباضية في صورته الشاملة المنظمة ، حقيقة أن حركاتهم لم تخبط بصورة نهائية ، في عهد يزيد لكنها كانت تفتقر إلى التنظيم والشمول . ولذلك لم يجد أمراء آل المهلب في إفريقية عناء في قمعها وردعها ، فثورة هوارة بزعامة ، أبي يحيى بن فرياس بنواحي طرابلس انتهت بكارثة لأباضية هوارة على يد عبد الله بن السمط الكندي ، الذي قتل أبا يحيى وعامة أصحابه ، وحسبنا أنا لم نسمع عن أي نشاط للأباضية طوال حكم يزيد بن حاتم الذي امتد حتى سنة ١٧٠هـ / ٨٧٦م ، ولذلك حق لابن عذاري ، أن يقول تهدنت إفريقية ليزيد ابن حاتم .[1]

أما أباضية نفوسة فقد استكانوا وغلبوا على أمرهم ، بعد فشل حركة أبي حاتم ، وقبل ذلك كان أباضية زناتة قد بطش بهم ابن الأشعث سنة ١٤٤هـ / ٧٦١م . وهكذا تصدعت حركات الأباضية في المغرب الأدنى ، وإفريقية ، بينما نجح عبد الرحمن بن رستم ، بمؤازرة أباضية المغرب الأوسط في تأسيس دولة بتاهرت سنة ١٦١هـ / ٧٧٧م . تلك الدولة التي امتد نفوذها فيما بعد لتضم أباضية المغرب جميعاً ، بعد أن دانوا بالولاء والتبعية لأئمتها ، وأقامت دليلاً عملياً على نجاح ثورات الأباضية في تحقيق مراميها في تكوين دولة أباضية في المغرب .[2]

وإلى جانب الدولة الرستمية ، قامت دولة الأدارسة في المغرب الأقصى وخاف العباسيون على سلطانهم بإفريقية ، وخاصة أنه بدأ يتزعزع عقب وفاة

= – الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ، ص ٢٠ .
– ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٤١٨ .

(١) محمود اسماعيل عبد الرازق ، المرجع السابق ، ص ٨٥ .

(٢) محمود اسماعيل عبد الرازق ، نفس المرجع السابق ، ص ٨٦ .

الوالي القدير يزيد بن حاتم المهلبي سنة ١٧٠هـ وإلى جانب تلك الدول تغلب البربر الصفرية على سجلماسة وهي إحدى مدن المغرب الأقصى ، الأمر الذي أدى إلى قيام دولة بني مدرار الخارجة على مذهب الصفرية .

وكرد فعل لقيام هذه الدويلات التي تكاد أن تكون مستقلة استقلالاً تاماً عن الدولة العباسية ، قامت دولة الأغالبة للوقوف في وجه هذه الدويلات وذلك سنة ١٨٤هـ / ٨٠٠م وبقيام هذه الدولة دخلت البلاد في عهد جديد . (١)

---

(١) حسن سليمان محمود : نفس المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

طرابلس وبرقة بين الأغالبة والرستميين والطولونيين

طرابلس بين الأغالبة والرستميين

وبمقتل محمد بن مقاتل العكي ينتهي دور من أدوار إفريقية في عهد الإسلام امتاز بأن الولاة كانوا خاضعين لأوامر الخلفاء الأمويين والعباسيين ، ويأتي بعد ذلك دور آخر ، دخلت فيه البلاد في شيء كثير من الحرية والاستقلال في الرأي بعد ارتباط شكلي بالخليفة ، يتمثل في السكة والخطبة له على منابر البلاد ، هذا الدور الجديد الذي بدأ بظهور دولة الأغالبة .[1]

فقد طلب أهل إفريقية من إبراهيم بن الأغلب وكان من عمال محمد بن مقاتل أن يكتب إلى الرشيد في الولاية عليهم ، فكتب إلى الرشيد في ذلك ، على أن المائة ألف دينار التي كانت تحمل من مصر إلي إفريقية ، إعانة للولاة بها . وعلى أن يحمل هو من إفريقية إلى الخليفة أربعين ألفاً فبلغ الرشيد عناؤه وكفاءته، فاستشار فيه أصحابه ، فأشار هرثمة بن أعين بولايته فكتب الرشيد له بالعهد على إفريقية في منتصف سنة ١٨٤هـ/ ٨٠٠م . وهكذا أصبحت ولاية إفريقية لإبراهيم بن الأغلب [2] وأصبحت طرابلس تابعة له ، وقد استراحت

---

(١) حسن سليمان : نفس المرجع السابق ، ١٢٥ .

(٢) السلاوي : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، ج ٢ ، ص ١٢٢ .

إلى حد ما زمن الأغالبة وعمرت البلاد . وليس معنى ذلك أن طرابلس قد استراحت نهائياً من الفتن والثورات بل إن عهد إبراهيم بن الأغلب لم يخل من الفتن والثورات ، ولكنها لا تقاس بالثورات التي كانت تضطرم في إفريقية في العهود السابقة .[1]

ولا تذكر مصادرنا أعمال الشغب بالتفصيل إلا أنها توجز في هذه الأحداث وتذكر أن إبراهيم بن الأغلب كان يحاول أن يرضي أهل طرابلس بعزل من يشكونه من ولاتهم ويولي غيره ، وقد حدث أن تولى على طرابلس بين عامي ١٨٤هـ / ١٩٧هـ / ٨٠٠م / ٨١٤م عدد من الولاة ، إلا أن هذه المصادر لا تذكر لنا أسماء هؤلاء الولاة .[2]

وولى عليهم في سنة ١٨٩هـ / ٨٠٦م عامله سفيان بن المضاء ، وهي ولايته الرابعة ، فثار عليه أهل طرابلس ، واتفقوا على طرده من طرابلس ، وإعادته إلى القيروان فزحفوا إليه ، فقاتلهم في داره وفي المسجد الجامع ، غير أن نتيجة هذا الصراع لم تكن في صالح سفيان بن المضاء ، إذ انهم تمكنوا من هزيمته ، وقتل عدد كبير من أصحابه ، ثم أمنوه على أن يخرج من طرابلس ، فخرج في شعبان من نفس السنة ، واستعمل الجند الذين ثاروا عليه بطرابلس إبراهيم بن سفيان التميمي والياً على طرابلس .[3]

ويذكر أنه وقع بين الأبناء بطرابلس وبين قوم يعرفون بأبي كتامة ، وبني يوسف حروب كثيرة وقتال حتى عم الفساد مدينة طرابلس ، ومن المرجح أن يكون هؤلاء الأبناء ، هم أبناء الجند العربي الذين اشتركوا في فتح المغرب

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٣٧٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ١٢١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ١٢١ .

– ابن خلدون : العبر ، المجلد السادس ، ص ٤٢٠ ، ويذكر بدلا من سفيان بن المضاء ، سفيان بن أبي المهاجر .

واستقروا في طرابلس .[1] فبلغ ذلك الصراع إبراهيم بن الأغلب ، فأرسل إليهم جمعاً من الجند وأمرهم أن يحضروا الأبناء ، وبني أبي كتامة ، وبني يوسف ، فأحضروهم إليه بالقيروان في ذي الحجة ، وعندما قدموا عليه سألوه العفو ، فيما فعلوه ، فعفا عنهم ، وعادوا إلى بلادهم[2] وقد تمكن الجند الذين بعثهم ابن الأغلب إلى طرابلس من تهدئة تلك الثورة بالقوة ؛ وأقر الوالي الأغلبي إبراهيم بن سفيان بعد أن تعهد لهم بالطاعة وقد ظل في منصبه حتى سنة ١٩٦هـ / ٨١١م[3] وفي هذه السنة ١٩٦هـ / ٨١١م ، ثار على إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية ، شخص يدعى أبو عصام استطاع أن يجذب إليه مجموعة من الناس ويعلنها ثورة على إبراهيم بن الأغلب غير أن الأخير استطاع أن يرسل إليه الجند فظفروا بأبي عصام وأصحابه . وفي نفس السنة استعمل إبراهيم بن الأغلب ابنه عبد الله عاملاً على طرابلس ، فلما قدم إلى طرابلس ثار عليه الجند ، وحاصروه في داره ثم اتفقوا معه على أن يخرج من طرابلس ، فخرج منها ، ولكنه لم يبتعد عن مدينة طرابلس كثيراً ، حتى اجتمع إليه كثير من الناس ، وذلك بعد أن أغرى البربر بالعطاء إذ كان يعطي الفارس كل يوم أربعة دراهم ، ويعطي الراجل درهمين ، ونتيجة لتلك السياسة احتشد حوله عدد كبير من البربر زحف بهم على طرابلس ، وعندما علم جند طرابلس بقدومه خرجوا إليه ، فتقابل الجيشان خارج مدينة طرابلس ودارت بينهما معركة كان النصر فيها لجند عبد الله بن الأغلب ، وهكذا استطاع عبد الله أن يدخل مدينة طرابلس ويأمن من بها من السكان .[4]

---

(١) يرجح الدكتور سعد زغلول : تاريخ المغرب ، ص ٣٦٨ أن المقصود بالابناء هم الجند الأغلبي أو المماليك الذين كان يشتريهم ابن الأغلب ، ولكننا نرجح أن المقصود بالأبناء هم أبناء الجند العرب الذين استقروا في المغرب بعد فتحه .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٥ ، ص ١٢١ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٤٢٠ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٥ ص ١٥٦ .

غير أن عبد الله لم يطل به المقام بطرابلس ، إذ عزله والده واستعمل بدلاً منه سفيان بن المضاء . وذلك لكي يرضي هوارة ويخمد ثورتها ، غير أن ذلك الوضع لم يرض هوارة ، فأعلنت الثورة على والي إبراهيم الجديد سنة ١٩٦هـ / ٨١١م . وكانت قبيلة هوارة البربرية قبيلة كثيرة الأفخاذ ذات جموع كثيرة، وتحيط منازلها بطرابلس من كل ناحية ، وكان بين المدينة وجبل نفوسة قرى متصلة العمران ، وكانت هذه القبيلة أباضية المذهب ، وأكثرها خاضع لحكم أبي منصور ، صاحب جبل نفوسة ، الذي كان تابعاً لإمامة الأباضية بتاهرت ، وكان بعض هذه القبيلة خاضعاً لحكم الأغالبة بمدينة طرابلس وقد وقع بينهم وبين عامل الأغالبة ، بطرابلس خلاف ، أدى إلى تعصبهم عليه ، وأخذوا يتحينون الفرصة للاستيلاء على مدينة طرابلس وجعلها تابعة لصاحب جبل نفوسة ، فثاروا عليه في هذه السنة [1] فخرج إليهم عامل طرابلس بعسكره وتقابل الجيشان ، حيث تمكن الهواريون من التغلب على جند طرابلس الذين قرروا الرجوع إلى مدينة طرابلس بعد هزيمتهم أمام قبيلة هوارة . غير أن هذه القبيلة لم تتركه يرجع إلى طرابلس دون أن تتعقبه بل إنها تبعته ، وحاصر جندها مدينة طرابلس ، ثم افتتحوها وهدموا أسوارها [2] ويذكر ابن خلدون أن السبب في إشعال تلك الثورة عياض بن وهب . [3]

وعندما وصلت تلك الأنباء إلى إبراهيم بن الأغلب ، أرسل ابنه أبا العباس في ثلاثة عشر ألف فارس إلى طرابلس ، حيث تمكن من استرداد المدينة منهم ، وجدد بناء سورها ، غير أن هوارة ما لبثت أن استعانت بقبائل نفوسة الأباضية،

---

(١) الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ص ١٦٢ .
– حسن سليمان ، نفس المرجع السابق ، هامش ١ ، ص ١٣٣ .
(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٥ ، ص ١٥٦ .
– ابن خلدون : العبر ، المجلد السادس ، ص ٢٨٦ .
(٣) ابن خلدون : العبر ، المجلد السادس ، ص ٢٨٧ .

وكان الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن [1] إذ ذاك بجبل نفوسة فاستجاب لهم . وجمع البربر وحرضهم على الانضمام إلى صفوف المتطوعين ، وبعد أن جمع عدته اللازمة اتجه ذلك الجمع العظيم إلى مدينة طرابلس ، وضرب عليها الحصار ، فما كان من أبي العباس عبد الله إلا أن سد باب زناتة وقاتلهم مع باب هوارة ، وذلك لكي يواجه الأباضية من جهة واحدة وبينما كان عبد الله يقاتل الأباضية جاءته الأخبار بوفاة والده . [2] مما اضطر عبد الله أن يصالح عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، وقد تم الاتفاق بين الطرفين على أن تكون مدينة طرابلس والبحر لعبد الله بن الأغلب وخارج السور إلى سرت لابن رستم . [3] وهكذا اضطر عبد الله إلى التسليم بمطالب الرستميين في انضمام أباضية هوارة إلى دولتهم وانسلاخهم عن نفوذ عامل طرابلس الأغلبي [4] وقبل أن يتوجه ابن الأغلب إلى تونس أقر سفيان بن أبي المهاجر على القسم الخاص بالأغالبة في طرابلس ، ثم سار إلى القيروان ، فلقيه الناس وتسلم الأمر هناك . [5]

وعندما تولى زيادة الله بن الأغلب أمر إفريقية ، ضاق الناس ذرعاً باستهتاره فثارت عليه جميع النواحي ، وتقلص حكمه عن إفريقية ، ما عدا طرابلس

---

(١) وهو عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، وقد تولى امامة الدولة الرستمية في تاهرت بعد وفاة والده عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية في تاهرت .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٥٧ .
– ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٩٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٥ ، ص ١٥٧ .
– ابن خلدون : العبر ، المجلد السادس ، ص ٢٤٨ .
– أحمد النائب : المنهل العذب ، جـ ١ ، ص ٦٣ .

(٤) محمود اسماعيل عبد الرازق : نفس المرجع السابق ، ص ١٩١ .

(٥) ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ١٦٨ .

وقابس ، والقيروان فتمسكوا به ، ولم يقطعوا عنه الجباية . [١]

ويذكر في عهد زيادة الله أن رجلاً يدعى منصور بن نصير الطنبذي ، من إقليم المحمدية بجهة تونس ، كان والياً على طرابلس ، ولما علم بأن زيادة الله قتل عمرو بن معاوية السلمي ، وولديه الحباب ، وسكتان ، استاء وامتعض للقيسية واستنكر فعل زيادة الله ، فكتب أحد عيون زيادة الله إليه بما تفوه به منصور ، فعزله زيادة الله واستقدمه ثم صفح عنه غير أنه قام بعد ذلك بثورة في تونس سنة ٢٠٩هـ / ٨٢٤م . [٢]

ثم توفي زيادة الله يوم الثلاثاء الرابع عشر من رجب سنة ٢٢٣هـ / ٨٣٧م وهو ابن إحدى وخمسين سنة ، إذ دامت ولايته إحدى وعشرين سنة ، وسبعة أشهر وثمانية أيام[٣]وتولى بعده الأغلب بن إبراهيم،وهو الذي أقر سفيان ابن أبي المهاجر على طرابلس غير أن هذا الوالي ثارت عليه قبائل زواغة ولواتة ومكناسة ، بعد مدة من ولايته وقتلوه ، فقاتلهم ابن الأغلب ، وما زال يحاربهم حتى قضى على ثورتهم . وعندما تولى محمد بن الأغلب بن إبراهيم على إفريقية ، أقر عبد الله بن محمد ، المكنى بأبي العباس على طرابلس ، وتوفي بها سنة ٢٢٣هـ / ٨٣٧م . [٤]

هذا ويذكر أن أحمد بن سفيان بن سوادة الأغلبي ، قد ولي طرابلس ، وأعمالها سنين كثيرة ، وله بها أخبار ووقائع مشهورة ، وكان ذا مكانة رفيعة بين الجند ، غير أن ابن الأبار لم يعين لنا تاريخ ولايته على طرابلس . [٥]

ولما تولى أحمد بن محمد بن الأغلب (٢٤٢ — ٢٤٩هـ / ٨٥٦—٨٦٣م).

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٠١ .

(٢) ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٣٨٢ .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٤) ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ١٦٩ .

(٥) نفس المصدر : ج ١ ، ص ١٨٣ .

على إفريقية عين على طرابلس عبد الله بن محمد الأغلب وقد حدث في عهد أحمد بن محمد بن الأغلب وبخاصة في سنة ٢٤٥هـ / ٨٥٩م ، أن امتنع بربر لهان على عامل طرابلس من أداء العشر والصدقات المترتبة عليهم، فتصدى لهم عامل طرابلس ، غير أنهم تمكنوا من هزيمته فاتجه إلى مدينة لبدة فحصنها ، ثم سار إلى طرابلس وتحصن بها حتى سير إليه الأمير الأغلبي جيشاً مع أخيه زيادة الله ، حيث تقابل مع بربر لهان وتمكن من هزيمتهم وقتل عدد كبير منهم ، وتتبعت خيل زيادة الله الفارين فأدركتهم ، وأسرت جماعة منهم ، وضربت أعناقهم ، وأحرق ما كان في عسكرهم ، ونتيجة لذلك أذعن البربر ، وأخذ منهم زيادة الله الرهائن حتى يضمن عدم عودتهم إلى الانتفاض مرة أخرى . [1]

وفي سنة ٢٤٩هـ / ٨٦٣م توفي أحمد بن محمد الأغلبي ، وتولى زيادة الله الثاني بن محمد ، أمر إفريقية بعد أخيه غير أنه لم يمكث في ولايته طويلاً إذ توفي في السنة التالية . [2] وولي مكانه محمد ويلقب بأبي الغرانيق الذي غلب عليه اللهو والشراب فكانت أيامه فتناً وحروباً . غير أنه قام ببناء حصون ومحارس على ساحل البحر بالمغرب على مسيرة خمسة عشر يوماً من برقة إلى جهة المغرب . [3] وقد احتفظت له الأيام بإطلاق اسمه على بئر شرقي اليهوديات بأرض سرت ما زالت تسمى أم الغرانيق . [4]

ولما تولى أبو الغرانيق ، أمر إفريقية ، نقل عبد الله بن محمد بن عبد الله أبا العباس من طرابلس ، وجعله والياً على صقلية ، ثم أعاده إلى ولاية طرابلس مرة أخرى وكان عبد الله أديباً وشاعراً ، طالباً للحديث والفقه ، ويروى عنه

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٥ ، ص ٣٠٠ .
(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١١٣ .
(٣) ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٤٣٠ .
(٤) الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ص ١٦٣ .

أنه لما أتاه كتاب عزله عن طرابلس قال يخاطب صديقه أبا هارون موسى ابن مرزوق صاحب بريد طرابلس :

قد أتى في الكتاب ما قد علمنـا ... من ثناء ورحلة وفـراق
وعددنا الأيام فهـي ثمـان ... بعد خمس سريعة الإفتراق
فعليك السلام إن فراقـي ... قد دنا والفراق مـر المذاق[1]

ثم توفي أبو الغرانيق في منتصف سنة ٢٦١هـ / ٨٧٤م لإحدى عشرة سنة من ولايته .[2] وفي عهد إبراهيم بن الأغلب ، الذي تولى بعد أخيه ٢٦١ – ٢٨٩هـ / ٨٧٤ – ٩٠١م كان محمد بن قهرب عاملاً على طرابلس . وفي أيامه حدثت فتنة العباس بن أحمد بن طولون[3] وهي ما ستتحدث عنها في الفصل القادم وذلك عند تناولنا لبرقة .

وقد ظل ابن قهرب على طرابلس ، إلا أن البربر ، كانوا غير مطمئنين لحكم الأغالبة في طرابلس ، فعادوا للثورة من جديد سنة ٢٦٧هـ / ٨٨٠م ، في طرابلس وقتلوا عاملها ابن قهرب ، فأرسل إليهم إبراهيم بن الأغلب ابنه عبد الله في جيش تمكن به من طرد البربر من طرابلس وذلك في سنة ٢٦٩هـ / ٨٨٢م .[4]

ويذكر أن محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب أبا العباس ، قد تولى طرابلس في عهد إبراهيم بن أحمد (٢٦١ – ٢٨٩هـ / ٨٧٤ – ٩٠١م) وكان عالماً أديباً، شاعراً ، وخطيباً ، حسن السيرة ، على نقيض ابن عمه ، ولحسن

(١) ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ١٧٩ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٤٣٠ .
(٣) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٢٢١ .
(٤) أحمد النائب : المنهل العذب ، ج ١ ، ص ٧٣ .
– الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ص ١٧١ .
– حسن سليمان : نفس المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

سيرته حقد عليه ابن عمه إبراهيم ، ومما زاد من حقده ، أن أهل تونس شكوا إبراهيم إلى الخليفة العباسي المعتضد فقال المعتضد : عجباً من إبراهيم ما يبلغنا عنه إلا سوء الثناء عليه وعامله على طرابلس يبلغنا عنه خلاف ذلك . وقيل أن المعتضد كتب له إن لم تترك أخلاقك في سفك الدماء ، فأسلم البلاد إلى ابن عمك محمد بن زيادة الله صاحب طرابلس ، فغضب إبراهيم لذلك وخرج إلى طرابلس خفية ، وأظهر أنه يريد الخروج إلى مصر ، وعندما وصل إلى طرابلس قتل محمدَ وصلبه . (١)

ويبدو أن قتل محمد بن زيادة الله عام ٢٨٣هـ / ٨٩٦م ، وذلك عندما خرج ابن الأغلب إلى طرابلس ، حيث اعترضته نفوسة بين قابس ، وطرابلس ومنعته من الجواز وكانوا في زهاء عشرين ألف رجل ، ولكن إبراهيم بن الأغلب ، استطاع أن يهزمهم ويتابع سيره إلى طرابلس وهناك تم قتل محمد .(٢)

وفي العام التالي ٢٨٤هـ / ٨٩٧م ثارت نفوسة من جديد على إبراهيم بن الأغلب ، فجهز له جيشاً وأخرجه بقيادة ابنه عبد الله ، الذي تمكن من الانتصار عليهم ،وأسر منهم ، نحو ثلاثمائة ، ورجع بهم إلى والده إبراهيم ،فما كان منه إلا أن قتلهم عن آخرهم ،وقيل أنه شق على قلوبهم ،ونظمت في أحبال وعلقت على باب تونس . (٣) وإذا صح ذلك فمن المرجح أن ابن الأغلب ، كان يقصد بها تخويف نفوسة حتى لا تعود إلى الثورة من جديد .

وقد ظل هذا الأمير في الحكم ، إلى أن توفي سنة ٢٨٩هـ / ٩٠١م . وخلفه ابنه عبد الله بن إبراهيم غير أنه لم يمكث طويلاً ، حيث خلفه ابنه زيادة الله بن عبد الله ، الذي عين أخاه أحمد بن عبد الله عاملاً على طرابلس . وفي عهده وصل عبيد الله المهدي إلى تلك المدينة عام ٢٩٦هـ / ٩٠٨م ، حيث

---

(١) ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ١٧٩ .
(٢) احسان عباس : تاريخ ليبيا ، ص ٧٢ .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

كتب إليه زيادة الله يسأله القبض عليه ، غير أن عامل طرابلس كان رده أنه قد سار عن البلد ولم يدركه .[1]

برقة بين الأغالبة والطولونيين

لقد بقيت برقة هادئة إجمالاً خلال العصر العباسي الأول ، وذلك لأننا لا نسمع بوقوع معارك بها خلال الصراع بين الخلافة العباسية والأباضية وهي المعارك التي كان معظمها في طرابلس،هذا كما أن برقة لم تتعرض للجيوش العباسية خلال مرورها إلى طرابلس ، بل كانت نقطة الارتكاز بالنسبة للجيوش العباسية عند هزيمتها أمام الجيوش الأباضية بل وكانت برقة وبخاصة منطقة سرت مركزاً للدعاة العباسيين ، والجنود الذين أرسلهم الخليفة العباسي ، سنة ١٣٦هـ ، للقضاء على الأباضية في طرابلس ، وعندما تولى ، أبو جعفر كتب صالح بن علي صاحب الخراج ، إلى أبي عون قائد تلك الجيوش يأمره برد الدعاة من أهل مصر ، وقد بلغوا سرت ، وبلغ أبو عون برقة ، فأقام بها أحد عشر شهراً واتخذ بها مصلى وتركه ثم رجع أبو عون في جيشه إلى مصر .[2]

ولو لم تكن برقة تابعة للعباسيين ، لما استطاعت القوات العباسية أن تقيم في برقة هذه المدة ، دون أن تجد أي مقاومة ، ولا نسمع الشيء الكثير في المصادر عن أخبار برقة .

فقد وليها سنة ١٤٠هـ رجل اسمه ابن دياس [3] . وفي سنة ١٤٨هـ عين

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ٦ ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .
– المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص ٨٣ ، ٨٤ .
(٢) الكندي : الولاة والقضاة ، ١٠٣ .
(٣) إحسان عباس : نفس المرجع السابق ، ص ٥٥ .

يزيد بن حاتم والي مصر عبد السلام بن عبد الله بن هبيرة السبائي والياً عليها ،[1] وإذا كان هنالك بعض المؤرخين ممن يشك في تبعية برقة لصاحب مصر في الفترة السابقة فإنه في زمن يزيد بن حاتم قد أصبح ذلك أمراً مفروغاً منه [2] إذ يذكر الكندي أن يزيد بن حاتم قد ضم برقة إلى عمل مصر ، وهو أول من ضمها إليه . [3]

وبعد ولاية عبد السلام بن عبد الله بن هبيرة ، يذكر أن روح بن حاتم ولى أخاه قبيصة على برقة ، ويضيف بأن برقة منذ أن مات روح عزلت عن عمل إفريقية [4] وعلى الرغم من أن المصادر لا تذكر لنا ولاة برقة ، وخاصة في الفترة الواقعة بين ولاية عبد السلام بن هبيرة ، وقبيصة بن حاتم ، إلا أنه لا شك في أنهم تعاقبوا على حكم برقة ، وأن الخلافة العباسية ظلت تتدخل من خلال والي مصر في شئون برقة . [5]

إذ إنه في سنة ٢١٥ هـ ثار أهل برقة ، على السلطة بزعامة مسلم بن نصر الأعور فأمر الخليفة المأمون أخاه أبا إسحاق ، أن يوجه الإفشين بن كاوس إلى أهل البشمور . [6] الذين كانوا قد ثاروا في مصر ، وقد لبى الإفشين طلب

---

(١) أحمد النائب : المنهل العذب : جـ ٢ ، ص ٦٦ .
– الزاوي : اعلام ليبيا ، ص ٢١٩ .
(٢) احسان عباس : نفس المرجع السابق ، ص ٩٩ .
(٣) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ١١٦ .
(٤) ابن الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ، ص ١٧٣ .
(٥) احسان عباس : نفس المرجع السابق ، ص ٥٦ .
(٦) كانت آخر ثورة للأقباط زمن الخليفة المأمون ، أثناء ولاية عيسى بن منصور، على مصر من قبل المعتصم (٢١٦ – ٢١٧ هـ) وقد عرف أهل البشمور بغلظة طباعهم وحبهم للعصيان ، والثورة منذ التاريخ القديم، وقد شجعتهم طبيعة المنطقة ، التي يعيشون فيها على ذلك . فإن هذه المنطقة الرملية على ساحل الدلتا بين فرعي الرشيد ودمياط ، كانت تحيط بها =

الخليفة المأمون فتوجه إلى أهل البشمور ، وكف عادياتهم ثم نفذ إلى برقة وتمكن من فتحها وأسر مسلم بن نصر الأعور . [1] وعين عليها عيسى بن منصور . [2]

ثم رجع إلى مصر في سنة ٢١٦هـ / ٢١٧هـ [3] وذلك بعد أن هدأت الأحوال في برقة .

وفي سنة ٢٢٧هـ / ٨٤١م ، ثار قوم من بربر برقة ومعهم قوم من قريش من بني أسيد بن أبي العيص ووثبوا على عامل مدينة برقة ، وهو محمد بن عبدويه ابن جبلة ، فوجه إليهم الخليفة العباسي الواثق رجاء بن أيوب الحضاري ، فبدأ بدمشق ، فأوقع بابن بيهس ، فأسره وسار إلى فلسطين ، فأوقع بتميم اللخمي وأسره ، وحمله إلى سرّ من رأى ، فوقف بباب العامة ، ونودي عليه ، وسار رجاء إلى مصر سنة ٢٢٨هـ ، فنزل الجيزة ، ثم توجه إلى برقة ، فهرب

= المستنقعات ، والأوحال التي تعيق حركة الجند . وقد ثاروا زمن المأمون لكثرة الخراج الواقع على كاهلهم والقسوة التي كانت تستعمل في جبايته ،وقبل مجيء المأمون إلى مصر . كتب البطرك أنبايوساب اليهم كتاباً ينصحهم بأن يرجعوا عن ثورتهم ويحذرهم من قوة السلطان ، فلم يرجعوا ولما رأى الأفشين تمادي البشموريين في ثورتهم كتب إلى الخليفة المأمون يعلمه بما حدث ، فرأى المأمون أن يأتي إلى مصر لاخماد تلك الثورة ، فجاء في جيشه، وصحب معه البطرك أيونوسيوس بطرك أنطاكية ، في المحرم سنة ٢١٧ هـ ، وقد سخط الخليفة على الوالي عيسى بن منصور وقال : « ولم يكن هذا الحدث العظيم إلا عن فعلك وفعل عمالك ، حملتم الناس ما لا يطيقون وكتمتموني الخبر حتى تفاقم الأمر ، واضطربت البلدة » أنظر : (سيد اسماعيل كاشف : مصر في فجر الإسلام ، دار الفكر ١٩٤٨ ، ص ٣٣٧ ، ٣٣٩) .

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ص ٤٦٥ .

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي : جـ ٢ ، ص ٤٦٥ .

– ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٥ ، ص ٢٢١ .

من كان فيها ، وظفر بجماعة منهم فحملهم ثم انصرف .[1]

ويبدو أن الخليفة المتوكل كان ذا عناية خاصة ببرقة ، فإنه لم يكتف ببناء سور منيع حولها بل جعل رجلاً من خدمه اسمه يعقوب بن إبراهيم الباذغيس ، ويعرف بقوصرة صاحب بريدها مع بريد مصر الإسكندرية ونواحي المغرب.[2]

ثم تنقطع أخبار ولاة برقة ، حتى سنة ٢٥٧هـ ، وتذكر الروايات أن الخليفة المعتمد بعث لبرقة سنة ٢٥٧هـ / ٨٧٠م والياً من قبله وهو محمد بن هرثمة ابن أعين ، الذي قدم الفسطاط في شهر ربيع الآخر ، ثم اتجه إلى برقة ، وأصبح يباشر شؤونها بنفسه غير أن هذا الوالي الجديد لم يتمكن من أن يثبت وجوده ، إذ ثار به في السنة التالية ٢٥٨هـ / ٨٧١م جند برقة فهرب منها إلى الفسطاط .[3] ويرى البعض أن المعتمد قد خرج عن التقليد السائد في اتباع برقة لولاة مصر ، وذلك بتعيينه لمحمد بن هرثمة بن أعين على برقة .[4] وقد تولى برقة بعد محمد ابن هرثمة بن أعين ، أحمد بن عيسى الصفدي وظل عليها إلى أن تسلمها منه بارجوح أحد قادة أحمد بن طولون .[5]

وعندما آلت برقة إلى أحمد بن طولون ولى عليها ، محمد بن فروخ الفرغاني ، غير أن أهل برقة لم يرضوا بولايته عليهم ، فثاروا عليه ، وأخرجوه عن البلد ولما علم أحمد بن طولون بذلك ، أخذ يعد العدة لإخماد هذه الثورة ، وعندما أتم استعداداته ، بعث قائديه : أبا الأسود الغطريف ، ويزبك الفرغاني في جيش عظيم ، وزودهم بمراكب مشحونة بالرجال والسلاح والمنجنيق.[6]

---

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٤٨٠ .
(٢) الطبري : تاريخ الطبري : ج ١١ ، ص ٥٣ .
(٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٥٠٨ ، ٥١٠ .
(٤) عبد اللطيف البرغوثي : تاريخ ليبيا الإسلامي ، ص ١٩٦ .
(٥) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ص ٨٠ .
(٦) البلوي : سيرة أحمد بن طولون ، دمشق ، ١٣٥٨ ، ص ٧٠ .

ثم لم يلبث أن بعث إليهم جيشاً ثانياً ، بقيادة غلامه لؤلؤ ، وعندما انصرف لؤلؤ بجيشه ، أتبعه بجيش آخر عليه شعبة بن خركان ، وأمرهم بالتساند ، وبذل السلامة والأمان ، وترك العجلة ، وإن لم يجيبوه ، أي أهل برقة ــ فالسيف .[1] وهكذا يبدو لنا مدى اهتمام أحمد بن طولون ببرقة وذلك من خلال هذه الجيوش التي أخذ يرسلها إلى برقة .

وعندما وصل جيش يزبك ، والغطريف ، ولؤلؤ إلى برقة ، وزعوا أنفسهم على أبواب المدينة ، وأرادوا أن يطبقوا ما أمرهم به أحمد بن طولون ، وهو استعمال اللين والرفق مع أهل برقة ، غير أن ذلك اللين أطمع أهل برقة في هذه الجيوش ففتحوا أحد الأبواب وبالذات الذي كان عليه الغطريف ، ليلاً ، وأوقعوا بعسكره ، فصاح جند الغطريف ، مما أدى إلى تسرع قائد الجند ــ الغطريف ــ وقائد آخر معه يعرف بدعباش وابن لفروخ يعرف بإسرائيل ، فقتلوا جميعاً في هذا الاشتباك ، وأصبح عسكر الغطريف بلا رئيس فانضم جنده إلى عسكر لؤلؤ .[2]

ونتيجة لهذه الأعمال ، كتب لؤلؤ إلى مولاه أحمد بن طولون يخبره بما حدث فكتب إليه أحمد بن طولون يأمره بقتالهم ويقول له : قد أحسنتم في توقفكم وأنتم تنصرون بمشيئة الله وعونه .[3] فما كان من لؤلؤ إلا أن عبأ عسكره ، ونصب المجانيق على مدينة برقة . وعندما ضيق لؤلؤ الحصار على أهل برقة وجدّ في قتالهم طلب بعضهم الأمان ، وفتحوا له أحد أبواب المدينة ، فدخل هو وجنده المدينة وقبض على جماعة من رؤسائهم ، ويقال أنه ضرب وقطع أيدي جماعة منهم ، وصلب طائفة أخرى ، ثم كتب إلى مولاه يعلمه بما تم له .[4]

---

(١) البلوي : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٧٠ .
(٢) البلوي : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٧٠ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٧١ .
(٤) البلوي : سيرة ابن طولون ، ص ٧١ .

وبعد أن تم للؤلؤ فتح مدينة برقة ، أراد أن يستخلف عليها مولى من مواليه . [1] وكان قد وصل إليه بعد الفتح ، جيش شعبة ، فاستخلفه لؤلؤ على برقة ، ورجع هو إلى مصر ، حيث دخل الفسطاط ومعه جماعة من الأسرى . فلما وصل الجيزة بعث إليه مولاه بالخلع وبطوقين ، فلبس الخلع والطوقين وحمل الأسرى ، بين يديه وطاف بهم البلد . وكنتيجة لذلك يقال أنه سكنت رهبة أحمد بن طولون في صدور الناس ، حتى كان يفزع الصبيان والأطفال . [2]

ثورة العباس بن طولون على أبيه وخروجه إلى برقة

خرج أحمد بن طولون إلى بلاد الشام ، واستخلف ابنه العباس على مصر غير أن الابن استغل خروج والده إلى بلاد الشام ، وخرج عليه سنة ٢٦٥هـ [3] فخرج إلى الجيزة يوم الأحد لثمان خلون من شعبان من هذه السنة ، فعسكر بها واستخلف أخاه ربيعة بن أحمد على الفسطاط . [4]

وأظهر العباس أنه سائر إلى الإسكندرية لكتاب ورد عليه من أبيه فتوجه إليها [5] وقد خرج معه ، أبو عبد الله أحمد بن محمد الكاتب مكبلاً ، لأنه أظهر الامتناع من الخروج معه ، وكان قد أشار عليه بأن يؤخر التقدم إلى طرابلس حتى يصانع البربر ، ولكن العباس خشي أن تقدم عساكر والده من

– ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ٥ .

(١) ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٦٤٨ .

(٢) البلوي : سيرة ابن طولون ، ص ٧٢ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ١١ ، ص ٢٥٣ .

– ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٢١ .

(٤) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٢٢١ .

– المقريزي : الخطط المقريزية ، ج ١ ، ص ١٠٢ .

(٥) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٢٢١ .

الشام قبل إحكام أمره . وبالإضافة إلى ذلك تكون فرصة لإبراهيم بن أحمد للاستعداد ، فقال : أمضي على فوري ، فأتى لبدة ، وطرابلس فجأة ، ثم أخذ في استمالة البربر بعد ذلك بالعطاء والافضال وأبعد عن مصر ، فلا يقوم لأحمد بن طولون ، يعني أباه – أمل في مطالبتي لبعدي عنه . [١]

ولهذا خرج العباس إلى بلاد المغرب ، وحمل معه ما في بيت مال مصر من الأموال ، حيث خرج في ٨٠٠ فارس و ١٠,٠٠٠ راجل من سودان أبيه على ٥٠٠٠ جمل إلى مدينة برقة ، ويقدر ابن عذاري ، المال الذي حمله معه من بيت مال مصر فيقول : وحمل مع نفسه من بيت مال مصر ثمانمائة حمل دنانير ذهباً فأعطى أصحابه الأرزاق بها ، وقيل أن مبلغ ما حمل من المال ألف ألف ومائتا ألف دينار [٢] ١٢٠٠,٠٠٠ .

وعندما رجع أحمد ابن طولون من بلاد الشام بعث إلى ابنه القاضي بكار ابن قتيبة . [٣] ومعمر بن محمد الجوهري والصابوني القاضي ، وزياد المعدني وكتب معهم كتاباً إلى ابنه العباسي ، حيث ألان له فيه جانبه ، ووعده أن لا يسوء ، ولا يأخذه لقبيح عمله ، فصاروا حتى لحقوه ببرقة ، فانقاد العباس إلى الرجوع وهم بالشخوص معهم إلى أبيه ففزعت الطائفة التي كانت قد حسنت له الخروج عن أبيه أحمد وعلموا أن أحمد بن طولون موقع بهم ، فتمكنوا من إقناع العباس بالمقـــام معهم ، فتراجع وانصرف المبعثون إلى الفسطاط[٤] . ويذكر أن أحد الذين أقنعوه بعدم الرجـــوع إلى والده شخص يدعـــى ابن جدار ، وكان مختصاً بالعباس ، فلمـــا استبد العباس بالسلطة استوزره

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١١٨ .
(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١١٨ .
(٣) المقريزي : الخطط المقريزية ، ج ١ ، ص ١٠٢ .
(٤) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .
– ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٦٤٥ .

وخرج معه إلى برقة [1] .

وبعد أن أشار عليه أصحابه ، بعدم الرجوع إلى والده ، سار قاصداً إفريقية ، وكاتب وجوه البربر فأتاه بعضهم ، وكانت جماعة كبيرة العدد صغيرة العدة ، وفرق فيهم مما كان معه من المال وتخلف عنه أكثر القبائل ، وقالوا بيننا وبين قوم ثأر ولا نأمن عند نزوحنا سوء الخلافة في أموالنا وحرمنا ، فرأى العباس أن من حصل معه يكفيه ، وبعث إلى إبراهيم بن الأغلب يقول : إن أمير المؤمنين قد قلدني إفريقية وأعمالها ، وكتب إلى الياس بن منصور النفوسي يقول له : أقبل بسمعك وطاعتك وإلا وطئت بلدك بخيلي ، ورجلي ، وأبحت حماك ، وكان الياس في عدد عظيم في جبل نفوسة ، وكان ذا مناعة ، ولم يؤد إلى ابن الأغلب طاعة قط ، فغضب الياس من تلك الرسالة وكتب إليه : قل لهذا الغلام أما إنك أقرب الكفار مني ، وأحقهم بمجاهدتي ، فقد بلغني من قبيح أفعالك ما لا يسعني التخلف معه عن جهادك ، وأنا على أثر رسالتي اليك .. » [2]

وتختلف الروايات التاريخية في مكان اللقاء الفاصل بين جيوش ابن الأغلب ، وجيش العباس . فبعضها تذكر أن العباس لما وصل إلى لبدة ، تلقاه عامل ابن الأغلب ، وفتح له الناس البلد ، غير أن العباس أمر جنوده بنهب المدينة ، وقتلوا الرجال وفضحوا النساء ، فاستغاث أهل حصن لبدة بابن منصور النفوسي . وفي الوقت ذاته بعث ابن الأغلب جيشاً تحت قيادة غلامه بلاغ وأمر ابن قرهب بأن يسير معه لملاقاة جيش العباس فأطبق الجيش الأباضي ، وجيش ابن قرهب ، على جيش العباس ، فقتل صناديد عسكره ،

---

(1) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٥١ ، ويذكر أنه عندما هم العباس بالرجوع مع الوفد الذي أرسله والده قال له ابن جدار :

إذا هممت فلا ترجع وقم وثب ... فأنت أرفع من يسمو إلى الرتب

(2) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ، ص ١٢٠ .

ووجوه أصحابه ، ونهبت أمواله وسلاحه ورجع هو إلى برقة . [1]

أما ابن عذاري ، فيذكر أن ابن قرهب جاء بجيوشه ، ودخل لبدة ، قبل وصول العباس إليها . وأقبل العباس ، وقد صنع له ببرقة خمسة آلاف بند فجعل له على كل جمل راجلاً يبنده ، فالتقى به ابن قرهب على خمسة عشر ميلاً من لبدة ، وانهزم ابن قهرب لاحقاً بطرابلس ، ظناً منه أن الجيش الذي ناوشه القتال كان مقدمة لجيش العباس ، ولحق به العباس حتى بلغ المدينة ، وحاصرها ثلاثة وأربعين يوماً . وفي أثناء ذلك الحصار ، تعدى بعض رجال العباس على بعض حرم البوادي ، فاستغاثوا بالعباس بن منصور النفوسي ، فزحف إلى العباس في اثني عشر ألفاً من رجال نفوسة ، فانهزم العباس أمام جيش الأباضية وخرج إلى برقة . [2]

والفرق بين الروايتين ، أن الرواية الأولى تجعل اللقاء عند لبدة ، وتنسب هزيمة العباس إلى تضافر الجيش ، بينما تجعل الثانية عبء المعركة من نصيب الياس بن منصور ، وتجعل المعركة الفاصلة عند طرابلس ويبدو أن طرابلس هي التي كانت موضع المعركة الفاصلة لا لبدة ، وأن الجيشين اشتركا في هزيمة العباس ، وفي الوقت نفسه وصلت أخبار السلب ، والنهب ، عند مدينة لبدة إلى الإمام الأباضي ، ووصله تهديد العباس ، ثم استغاثة ، أهل طرابلس ، فاتحدت كل هذه العوامل ، وقوت من الإمام الأباضي على وضع حد لأعمال العباس [3] . ولذلك توجه لمساعدة جيش ابن قرهب ، حيث تمكنا من هزيمة

---

(١) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .
- ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ١٢١ .
- البلوي : سيرة ابن طولون ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ .
- ابن الأثير : الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢١ .
(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١١٨ ، ١١٩ .
(٣) احسان عباس : نفس المرجع السابق ، ص ٦١ ، ٦٢ .

جيش العباس عند مدينة طرابلس .

والواقع أن اشتراك جيوش الأغالبة جنباً إلى جنب مع أباضية جبل نفوسة في قتال جيش العباس بن أحمد لا يعني عودة الوئام بين بني رستم والأغالبة فقد قاتلت نفوسة العباس ، لا إنقاذاً لطرابلس وبني الأغلب من ظلمه ، ولا تلبية لطلب ابن قرهب عامل الأغالبة على طرابلس ، وإنما لأن خطره هدد بني الأغلب وبني رستم على السواء . [1]

وعندما سار العباس إلى برقة بعث له والده ، جيشاً تحت قيادة إبراهيم ابن بلبرد ، وكان ذلك في شهر رمضان سنة ٢٦٧ هـ، فأقام إبراهيم فيما بين برقة والإسكندرية . ثم قرر أحمد بن طولون النهوض بنفسه إلى برقة فاستعد لذلك ، وخرج في عسكر عظيم من الفسطاط ، في يوم الخميس ٢٢ ربيع الأول سنة ٢٦٨ هـ ، فأقام بالإسكندرية . [2] وفي هذه الأثناء هرب أحمد الواسطي ، من حبسه في برقة ، ولحق بالفسطاط ، ووجد أحمد بن طولون ، قد سار إلى الإسكندرية عازماً على الرحيل إلى برقة، فهوّن من أمر العباس عنده، ومنعه من الرحيل بنفسه . [3] فعقد ابن طولون لطبارجي على بعض الجيش الذي كان معه ، وبعثه إلى برقة ، ومضى طبارجي يريد برقة ، فالتقى مع أصحاب العباس بموضع يقال له الرمادة ، من أرض برقة يوم الإثنين ٢١ جمادى الآخرة سنة ٢٦٨ هـ ، وانهزم أصحاب العباس وقتل منهم كثيراً ، وهرب العباس فاتبعوه فأدركوه يوم الأحد ٤ من رجب من نفس السنة . [4] حيث بعث به إلى والده .

---

(١) محمود اسماعيل عبد الرازق : نفس المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٢٢٣ .

(٣) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٢٢٣ .

– ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ١٢٢ .

– ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٦٤٦ .

(٤) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٢٢٤/٢٢٣ .

وأصلح طبارجي ما كان قد فسد ببرقة واستخلف عليها والياً،ثم رجع إلى مصر . [1] وفي مصر أراد أحمد بن طولون ان يعاقب أصحاب العباس فنصب دكة عظيمة ، رفيعة السمك ، وجلس في علو يوازيها ، وشرع من ذلك العلو اليها طريقاً ، ووقف العباس بين يدي أبيه ، في خفتان ملحم ، وعمامة وخف ، وبيده سيف مشهور ، وكان أعوان العباس في الثورة ، ومن حسن له الخروج على أبيه جالسين على الدكة ، فكان الواحد منهم يضرب بالسوط ، ثم يأمر أحمد بن طولون ابنه العباس بأن يقطع يديه ورجليه من خلاف ، ثم يلقى من الدكة إلى الأرض . [2]

---

(١) البلوي : سيرة ابن طولون ، ص ٢٦٧ .

(٢) آدم متز : الحضارة الإسلامية الطبعة الرابعة بيروت ١٩٦٧ ، جـ ٢ ، ص ١٨٦ .

الباب الثالث

الأحوال السياسية في برقة وطرابلس
فيما بين قيام الدولة الفاطمية وانتقالها إلى مصر

* قيام الدولة الفاطمية بالمغرب وموقف أهالي برقة وطرابلس من المذهب الشيعي .
* موقف برقة وطرابلس من أحداث فتح مصر وأهم الثورات فيهما في هذه الفترة .
* انتقال المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر .

قيام الدولة الفاطمية بالمغرب وموقف أهالي برقة وطرابلس من المذهب الشيعي

انتشار المذهب الشيعي وقيام الدولة الفاطمية في المغرب

كانت طائفة الشيعة الإمامية تعتقد أن الإمامة قد استقرت في الحسين وأنها لا تنتقل من أخ إلى أخ بعد أن انتقلت من الحسن الى الحسين . ولكن هذه الطائفة انقسمت بعد وفاة جعفر الصادق سنة ١٤٨ هـ/ ٧٦٥ م الى طائفتين هما : الموسوية ،والاسماعيلية التي ينتسب اليها الفاطميون. وقد انتقلت امامة الاسماعيلية بعد وفاة إسماعيل بن جعفر الصادق إلى ابنه محمد وفي إمامته اتخذت الدعوة الاسماعيلية شكلاً سرياً وذلك خوفاً من اضطهاد العباسيين لهم ، واتخذت من مدينة سلمية دار الهجرة التي أصبحت مركزاً لهذه الدعوة .[1]

وكان من أشهر دعاتهم في بلاد اليمن ابن حوشب الذي استطاع ان يسيطر على أجزاء كبيرة من اليمن ، وأرسل دعاته إلى اليمامة والبحرين والهند والسند ومصر والمغرب .[2]

---

(١) سرور : الدولة الفاطمية في مصر دار الفكر العربي ١٩٦٥/١٩٦٦ ؛ ص ١٥ ، ١٧ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٦٥ .

وكان ابن حوشب داعي الاسماعيلية في اليمن قد بعث إلى المغرب الداعيين ابا سفيان والحلواني في سنة ١٤٥ ﻫ ، وقال لهما إنكما تدخلان ارضاً بوراً لم تحرث قط ، فاحرثاها وذللاها حتى يأتي صاحب البذر فيضع فيها حبه.[١] أي أنهما يذهبان إلى بلاد المغرب فانها أرض صالحة لانتشار المذهب الشيعي ويمهدانها لهذا المذهب ، حتى يأتي من يقوم بنشره وتوطيده .

وعندما وصل الداعيان إلى أرض المغرب ، نزل ابو سفيان في مدينة مرمجانة [٢] . ونزل الحلواني بموضع يقال له سوق حماد [٣] . وأخذا يدعوان إلى مذهب الشيعة . وقد تمكنا بالفعل من استمالة كثير من كتامة وغيرها إلى محبتهم . [٤]

غير أن الفضل في نجاح الدعوة الاسماعيلية في بلاد المغرب انما يرجع إلى الداعية عبد الله الشيعي المؤسس الحقيقي للدولة الفاطمية في بلاد المغرب [٥] اذ يذكر ان ابا عبد الله الشيعي ، قد سار إلى ابن حوشب الكوفي القائم ببلاد اليمن ، وأصبح من كبار أصحابه . وفي أثناء اقامته ببلاد اليمن ، ورد على ابن حوشب خبر موت الحلواني وابي سفيان ، فأمر ابن حوشب أبا عبد الله

---

(١) سرور : المرجع السابق ، ص ١٨ .

(٢) قرية بإفريقية لهوارة قبيلة من البربر عن أبي الحسن الخزامي ، وقال المهلبي بين مرمجانة والاربس مرحلة، ياقوت ٥/١٠٩ ... وبدلا من مرمجانة يذكر ابن خلدون – مراغة ويذكر بأنها من أرض كتامة بالمغرب . العبر المجلد الرابع ص ٦٥ .

(٣) يختلف المؤرخون في اسم هذه المنطقة ، فالقاضي النعمان، يذكر بأن اسمها سوجمار وأنها من أرض سماتة ... افتتاح الدعوة ص ٧٠ ... بينما ابن خلدون يذكر بأن اسمها سوق جمار وأنها من أرض كتامة ... العبر المجلد الرابع ص ٦٥ بينما يذكرها المقريزي بأنها سوق حماد .

(٤) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، هامش ٢ ، ص ٥٤ .

(٥) أحمد مختار العبادي : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، مجلد ٥ سنة ١٩٥٧ ، ص ١٩٣ .

الشيعي ، بالرحيل إلى بلاد المغرب ، حيث قال له : إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وابو سفيان ، وقد ماتا وليس لها غيرك ، فبادر فإنها موطأة ممهدة لك . [1]

فما كان من أبي عبد الله الشيعي الا ان خرج في موسم الحج من اليمن إلى مكة ، وهناك تقابل مع بعض الحجاج الكتاميين ، فاختلط بهم ، ووجد لديهم إلماما ومعرفة بالمذهب الاسماعيلي . [2] وتمكن بدهائه ان يكتسب صداقتهم عندما رأوا ما هو عليه من العبادة والزهد . [3] ثم سألوه عن مقصده ، فادعى انه يريد مصر . وعندما وصلوا إلى مصر ، أراد توديعهم ، متظاهراً انه سيفارقهم ولكنهم طلبوا منه الرحيل معهم ، حيث شرحوا له بأنه سيجد في المغرب ما يطلب ، وما زالوا به حتى سار معهم . [4]

وعندما وصل إلى بلاد المغرب ، وجد الأمور ممهدة له ، كما وجد التشيع لآل البيت قد استقر في عقول كثير من البربر . واعتنقه كثير من وزراء الأغالبة وكان التشيع لآل البيت ، قد انتشر في بلاد المغرب على يد الإمام إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب الذي فر من أيدي العباسيين بعد موقعة فخ في عهد الخليفة الهادي سنة ١٦٩ هـ /٧٨٥ م حيث استطاع الادارسة اقامة دولة علوية لهم سنة ١٧٢ هـ /٧٨٨ م في بلاد المغرب الاقصى والتف حولها البربر ، وبذلك أصبحت بلاد المغرب أرضاً صالحة للدعوة الاسماعيلية . [5]

---

(١) المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٧٤ ، ٧٥ ، الخطط المجلد الثاني ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٢) أحمد مختار العبادي : سياسة الفاطميين نحو المغرب ، ص ١٩٤.

(٣) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص ٧٥ ، الخطط ، المجلد الثاني ، ص ١٥٢ .
— ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٦٦ .

(٤) المقريزي : الخطط ، المجلد الثاني ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٥) سرور : المرجع السابق ، ص ١٩ ، ٢٠ .

وهكذا وجد أبو عبد الله الشيعي بلاد المغرب ، عند وصوله إليها ، فأخذ في بث دعوته ، ويمكننا ان نقسمها إلى مرحلتين : فالمرحلة الأولى ، كانت مجرد دعاية سلمية ، لجذب الانصار ، استغرقت ثلاث سنوات ٢٨٨ هـ/٢٩١ هـ اذ استخدم فيها الداعي قدرته على التنبؤ كوسيلة من وسائل الدعاية التي تلائم عقلية الناس في هذه الناحية من العالم الاسلامي ،اذ يروى انه حينما نزل أفريقية كادوا ان يتحاربوا من أجله في ايهم ينزل عنده . [١] غير أنه قال : اين فج الاخيار ؟ [٢] فعجبوا لذلك ، اذ إنهم لم يكونوا قد ذكروه له قبل ذلك،فدلوه عليه ، فسار اليه وقال : هذا فج الاخيار، وما سمي الا بكم ، ولقد جاء في الآثار ، أن للمهدي هجرة عن الاوطان ينصره فيها ، الاخيار من أهل الزمان ، قوم اسمهم مشتق من الكتمان أي كتامة وبخروجكم في هذا الفج سمي فج الاخيار [٣] . وهكذا بدأ أبو عبد الله في بث دعوته ، معتمداً في جذب البربر على التنبؤ ولكنه واجه صعوبات كثيرة ، اذ إن دعوته أحدثت اضطراباً شديداً بين البربر ، وحاول بعضهم قتله ، ولكنه نجا . كما حاول بعض رجال العلم مناقشته فقبل الداعي ذلك،ولكن قبيلة كتامة رفضت ذلك واعتبرته اهانة لمكانته، وقامت حروب بين كتامة ، وبعض القبائل البربرية ، مما اضطر الداعي إلى الاختفاء ولكن المحنة انتهت بانتصار الفريق الذي يحميه ، فكان هذا انتصاراً

---

(١) أحمد مختار العبادي : سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس ، ص ١٩٥ .

(٢) فج الاخيار : في جبل ايكجان في أرض كتامة، على مقربة من مدينة قسطنطينية تعرف بمناعتها وتسكنها قبائل من كتامة ، وكانت بها أسواق عظيمة وكانت كبيرة آهلة،وفيها أقام أبو عبد الله الشيعي وسماها دار الهجرة (حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية — هامش ١ ، ص ٤٨) .

(٣) المقريزي : الخطط ، المجلد الثاني ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ .
— ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ١٢٧ .
— ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٦٧ .

للدعوة الفاطمية وصار ابو عبد الله الشيعي ذا جند عظيم ، وسلاح كثير ، خلاف ما غنم من أموال . [١]

ولما شعر أبو عبد الله الشيعي بقوته العسكرية ، بدأ نشاطه الحربي ، ودخل بذلك في المرحلة الثانية ، من مراحل دعوته ، ٢٩١ هـ / ٢٩٧ هـ وكان المغرب ، في ذلك الوقت تسيطر عليه اربع دول : الاغالبـــة ، والرستمية والادارسة وبنو مدرار وقد بدأ جهاده الحربي ، بالنزول إلى الاغالبة ، ومهاجمة حدودهم الغربية ، وحاول زيادة الله الثالث أمير الاغالبة ، مقاومة الهجوم ، فأرسل ثلاثة جيوش متوالية ، ولكنها هزمت امام قوات الشيعة ، وذلك نتيجة لضعف الاغالبة وانهماك الامير الاغلبي في اللهو والملذات ، ومساعدة كتامة لابي عبد الله الشيعي وقد أدى ذلك كله إلى استيلاء ابي عبد الله الشيعي على عدة مدن بالمغرب . [٢]

وفي ذلك الوقت كان ابو عبد الله الشيعي قد بعث وفداً من كتامة إلى ابي عبيد الله المهدي بسلمية ، لاخباره ، بما تم له من فتح ونصر في إفريقية على بني الاغلب وطلبوا منه الرحيل معهم إلى بلاد المغرب ، فوافقهم على ذلك . [٣]

ولما علم الخليفة العباسي المكتفي ، بأمره ، أرسل في طلبه ، غير أن عبيد الله المهدي ، فر من سلمية متجهاً نحو المغرب ،وبصحبته ابنه القاسم ، وأسرته ، ونجح في الهرب من الشام إلى مصر متخفياً في زيّ التجار . [٤] وفي اثناء مرور عبيد الله المهدي بمصر ، وردت على محمد بن سليمان الكاتب ، أمير مصر ،

---

(١) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص ٧٦ ، ٧٨ .
– ابن الاثير : الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٦٩ ، ٧٠ .
– ابن الأثير : الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٣٠ ، ١٣١ .
(٣) ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٦٠ .
(٤) ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٧٠ .

الكتب من بغداد تطلب منه القبض عليه غير أن محمد بن سليمان الكاتب تهاون في القبض عليه فعزل من ولاية مصر وولى العباسيون بدلاً منه عيسى النوشري ، ويقال انه عندما علم عبيد الله المهدي بذلك هرب إلى برقة ، ويقال أيضاً أن عيسى النوشري ، ظفر به ، غير أن عبيد الله المهدي ناشده الله في أمره فتخلى عنه . (١)

وكيفما كان الامر فقد تمكن عبيد الله المهدي ، من مغادرة مصر إلى برقة ، وعلى الحدود الليبية في موضع يقال له الطاحونة . (٢) هوجم من قبل جماعة من قطاع الطرق ، حيث فقد جزءاً كبيراً من امتعته وكتبه وإن كانت قد أعيدت فيما بعد في أول حملة وجهها عبيد الله المهدي إلى فتح مصر سنة ٣٠١ هـ . (٣) وكان أسفه على كتبه أشد من أسفه على غيرها مما ضاع له . ويدلنا على ذلك أن ابا القاسم « القائم » حين استردها في غزوته الأولى على مصر سنة ٣٠١ هـ ، قال المهدي : « لو لم تكن هذه الغزوة الا لرد هذه الكتب ، لكان ذلك فتحاً عظيماً » وسر باسترجاعها سروراً عجيباً ، ولم يقف رفاق المهدي مكتوفي الأيدي ، أمام هجوم البربر على المهدي ، فقد قاوموهم مقاومة شديدة جرح فيها أبو العباس أخو ابي عبد الله الشيعي ، وسنرى كيف يكون انتقام حباسة قائد المهدي على مصر من هؤلاء البربر بعد ذلك . (٤)

---

(١) المقريزي : الخطط ، المجلد الثاني ، ص ١٥٣ .

(٢) ويذكر قدامة بن جعفر في كتابه الخراج ، ص ٢٢١ ، ان من ذات الحمام إلى حنية الروم أربعة وثلاثون ميلا ومن حنية الروم إلى قصر العجوز وهي قرية يقال لها الطاحونة ثلاثون ميلا . ومن الطاحونة إلى كنائس الجون في عران أربعة وعشرون ميلا ... » .

(٣) Abass. Hamdani; some aspects of the history of Libya during the fatimid period. Libyain history 1968, p. 324.

– ايفانوف : مذكرات في حركة المهدي الفاطمي ، مجلة الأدب ، القاهرة ١٩٣٦ ص ١١٥ .

(٤) حسن ابراهيم حسن : عبيد الله المهدي : النهضة المصرية ١٩٤٧ ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

ومن الطاحونة ، واصل عبيد الله المهدي ، سيره إلى طرابلس ، وكانت الصعاب ، التي لقيها عبيد الله المهدي في طرابلس ، تفوق تلك التي عاناها في برقة ، لأنها قلبت برنامجه رأساً على عقب ، ذلك انه لما وصل إلى طرابلس بعث إلى داعيه ابي عبد الله الشيعي ، يبشره بقرب ظهوره ، ويخبره بأنه في طريقه اليه ومن هؤلاء الرسل ، الذين حملوا بشرى وصول المهدي إلى المغرب ، ابو العباسي اخو ابي عبد الله الشيعي ، وجماعة من الكتاميين الذين اعتمد عليهم أبو عبيد الله في نشر الدعوة الاسماعيلية ، وتأسيس الدولة الفاطمية في المغرب .[1]

غير ان الكتب كانت قد وصلت إلى زيادة الله ، من العباسيين بطلبه وصفته ، وأنه أفلت منهم لمصر .[2]

ولهذا فإنه بمجرد وصول هؤلاء الدعاة إلى القيروان ، كان خبر قدومهم قد وصل إلى زيادة الله ، فما كان منه الا ان قبض على ابي العباس ، وطلب منه ان يعترف بحقيقة أمره ، ولكنه أنكر وقال انما انا رجل تاجر صحبت رجلاً في القفل أي أنه تاجر قدم من المشرق مع قافلة من التجار ، وأنه ليس من أصحاب عبيد الله المهدي ، فأمر بوضعه في السجن .[3] وذلك لان بعض من كان معه في القافلة أخبر زيادة الله بأنه من أصحاب عبيد الله المهدي ، وأن عبيد الله المهدي تخلف في طرابلس .[4]

وبهذا اصبح عبيد الله المهدي ، معروفاً للخاص والعام في طرابلس

---

(١) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .
(٢) ايفانوف : مذكرات في حركة المهدي الفاطمي ، ص ١١٦ .
– القاضي النعمان : رسالة افتتاح الدعوة ، ص ١٥١ ، ١٥٢ .
(٣) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص ١٨٣ .
(٤) ايفانوف : مذكرات في حركة المهدي الفاطمي ، ص ١١٦ .
– القاضي النعمان : رسالة افتتاح الدعوة ، ص ١٥١ ، ١٥٢

والقيروان ، وأنه الشخص المطلوب من العباسيين وأنه ان بقي في طرابلس فسوف يقبض عليه ، وان ذهب إلى القيروان تحقق الاغالبة انه صاحب ابي عبيد الله وقبضوا عليه وقتلوه، وازاء هذه الصعاب قرر عبيد الله ان يفلت بحاشيته والا يتجه إلى كتامة من طرابلس حتى لا يثير شكوك الاغالبة ، ومن حسن حظه انه كان قد أرسل وهو بمصر جعفر الحاجب إلى سلمية ، فأحضر له مالاً وفيراً كان قد تركه فيها ، واستطاع هذا الداعي المخلص ان يصل بالمال إلى طرابلس فشجع المهدي ، وقرر عدم المسير إلى القيروان ، وقصد قسطيلية [1] رأساً [2] وذلك بعد ان ورد كتاب زيادة الله إلى عامله على طرابلس ، يطلب فيه أخذ عبيد الله المهدي . ويقال ان عبيد الله ، قد اجتمع بعامل طرابلس وأهدى اليه فكتب العامل إلى زيادة الله يخبره بأنه قد سار ولم يدركه . [3]

كما ان عبيد الله المهدي، لما وصل إلى قسطيلية، لم يتوجه حيث كان أبوعبد الله الشيعي ، خوفاً من ان يشك في أمره ، ولا سيما ان اخا ابي عبد الله الشيعي ، ورفيق عبيد الله المهدي كان قد قبض عليه . ومن قسطيلية اتجه عبيد الله المهدي إلى سجلماسة ، [4] حتى وصلها . وفي سجلماسة قبض عاملها اليسع بن ميمون

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ، طبعة بيروت ، ج ٤ ص ٣٤٨ « في بلاد الجريد من أرض الزاب الكبير ، وهي مدينة كبيرة ، عليها سور حصين وبها تمر كثير ، يجلب إلى افريقية ، ولكن ماءها غير طيب وسعرها غال ، وأهلها ثراه وهيبة وأباضية ... وان من مدنها توزر ، الحمة ونفطة .. »

(٢) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٣) القاضي النعمان : رسالة افتتاح الدعوة ، ص ١٥٢ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان : طبعة بيروت ، ج ٣ ، ص ١٩٢ « مدينة في جنوبي المغرب ، في طرف بلاد السودان بينهما وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب،وهي في منقطع جبل درن في وسط رمال ... »

المدراري على عبيد الله المهدي ، وابنه ابي القاسم بعد أن اكتشف أمرهما ، ولكن أمر ابي عبد الله الشيعي كان يزداد قوة ، وجيوشه توالي انتصاراتها على زيادة الله الأغلبي الذي لم يستطع مواجهة قوات ابي عبد الله الشيعي فهزمت جيوشه ، وفر الأمير الاغلبي متجهاً إلى طرابلس مع وجوه قومه وعبيده حتى حل بها . [1] وكان عبد الله الصائغ ، المعروف بصاحب البريد يتولى جميع أمور زيادة الله ، فلما رأى أن دولته مدبرة تنكر له ، وركب البحر يريد صقلية فاضطرته العواصف البحرية إلى الالتجاء إلى طرابلس ، والنزول في مينائها ، حيث شهدت تلك المدينة التقاء الغريمين ، وقد حصل عتاب بين الطرفين ، انتهى بقتل ابن الصائغ سنة ٢٩٦هـ [2] ويذكر أن سبب قتله كان نتيجة لوشاية بعض أتباع زيادة الله به وذلك لأنه ساءهم تقريب زيادة الله له . [3]

هذا كما أن أبا العباس أخو أبي عبد الله الشيعي ، كان قد تمكن من الهروب ، من السجن ، وخاف إن خرج إلى ناحية أخيه أبي عبد الله الشيعي

---

(١) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص ٨٤ ، وبعد ان أخذت البيعة لأبي عبيد الله المهدي ، خلع على اتباعه الذين حضروا بخلع وسيوف كان قد حملها معه من سلمية ، وأخذ أبو عبد الله الشيعي يقدم إلى المهدي اتباعه وأنصاره ثلاثة أيام كاملة ... حسن ابراهيم حسن : عبد الله المهدي ص ١٤٢ . ثم رحل من سجلماسة إلى رقادة سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م وخطبت له على منابر بلاد المغرب ، وبذلك قدر للدعوة الشيعية النجاح بالمغرب وقيام الدولة الفاطمية — المقريزي: الخطط ، مجلد ٢ ، ص ١٥٤ — ابن خلدون ، العبر ، المجلد الرابع ، ص ٧٥ ، ... هذا وقد اختلف العلماء ، في نسب عبيد الله المهدي اختلافاً كثيراً فهناك جماعة يرون صحة نسبه إلى اسماعيل بن جعفر ، وجماعة ينكرون صحة هذا النسب ، فيرون ان عبيد الله المهدي من سلالة ميمون القداح أو من سلالة موسى الكاظم . حسن ابراهيم حسن : عبيد الله المهدي ، ص ١٤٣ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٤٩ .
— ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ١٨٩ .

(٣) القاضي النعمان : رسالة افتتاح الدعوة ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٥ .

أن يظفر به زيادة الله ، فما كان منه إلا أن تسلل إلى أن وصل إلى طرابلس ، ويبدو أن بعض أصحاب زيادة الله قد قبضوا عليه ، وأخبروا زيادة الله بوصوله . فأتوا به اليه فقال له : « قد أمكننا الله منك ، وقرره هل هو أخو أبي عبد الله ، فأنكر ذلك ، وقال : أصلح الله الأمير إنما أنا رجل تاجر قدمت من المشرق ببضاعة ـــ فبغيت عندك فأخذت واعتقلت ، وحيل بيني وبين نعمتي ولو كنت من الرجل الذي نسبت اليه بسبيل لكنت قصدت اليه ، وسرت نحوه ، ولكن لما تخلصت من السجن قصدت إلى بلدي ، قال له : فإذا كان هذا هكذا ، فسر معنا حتى نوصلك إلى بلدك ، ونعرف صدق ما قلت وما قيل منك من كذبه ، قال : أعز الله الأمير إنك قد وسمتني بهذه السمة ، ونسبت عندك إلى ما نسبت اليه ، وأنت تصل إلى موضع يحكم فيه غيرك ، فأخاف أن أؤخذ فأحبس ، فأهلك دون أن يتبين أمري ، وأمر المشرق بعيد ، وبلدي منقطع ، فاتق الله فيّ ولا تعرض بي إلى الهلاك ، فقال له : لا يخلو أمرك من أن يكون كما قيل فيك ، أو كما قلت ونحن نبقيك ، فان كان الأمر على ما فيك ، وكنت للصنيعة موضعاً فستحفظنا فيمن خلفناه ، وإن كنت كما قلت لم نعترض لإثمك وخلي سبيله .[1]

ثم خرج زيادة الله إلى المشرق ، بعد أن خرج معه شيوخ طرابلس ووجوهها ، ولما خرج من باب المدينة صرفهم وقال لهم : أغلقوا باب مدينتكم علــى أنفسكم ، ولا تفتحوها لأحد إن رجع من ورائي اليكم ثم سار متجهاً إلى المشرق . وفي الطريق بدا لزيادة الله في أمر أبي العباس فأراد قتله ، فأمر ابن قرهب ، بأن يرجع في طلبه ، فأتى ابن قرهب مدينة طرابلس ــ وكان عاملها ــ غير أن أهل مدينة طرابلس ، رفضوا السماح له بالدخول إلى المدينة ، وقالوا له قد أمرنا الأمير أن لا نفتح لأحد . فطلب منهم أن يخرجوا له أبا العباس ،غير أنهم قالوا : بأنهم لا يعرفون أين هو ، ولما يئس منهم مضى فلحق بزيادة الله ،

---

(١) القاضي النعمان : رسالة افتتاح الدعوة ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

فأخبره الخبر فأعرض عنه وسار إلى مصر [1] ، ثم إن أبا عبد الله الشيعي بعث إلى طرابلس بعد ذلك فأتى منها بأخيه أبي العباس ، وأبي جعفر الخزري ، وبأم عبيد الله المهدي . [2]

وهم من أكابر الدعاة للمذهب الشيعي ، ولا شك أنهم قاموا بمحاولة نشر هذا المذهب أثناء وجودهم في مدينة طرابلس .

وبعد أن تم النصر لأبي عبد الله الشيعي سارع من فوره إلى سجلماسة حيث كان أبو عبيد الله المهدي وأخرجه من سجنه وأخذت له البيعة ، ثم رحل إلى رقادة سنة ٢٩٧ هـ ، وخطب له على منابر افريقية وبذلك قامت الدولـــة الفاطميـــة . [3]

ويرجع نجاح الدعوة الفاطمية في الشمال الافريقي إلى عدة عوامل ، منها أن ضعف الدولة العباسية جعلها لا تستطيع السيطرة على ولاياتها ، وخاصة ولاية إفريقية ، وذلك لبعدها عن مركز الخلافة ، وعن أنظار العباسيين ، ولم تكن علاقة العباسيين بأهلها طيبة ، فقد كره السكان الولاة من جراء الضرائب الفادحة التي أثقلوهم بها . هذا بالاضافة إلى أن الامارة الأغلبية ، كانت في الواقع في دور الاحتضار ، لضعفها الشديد ، ولسيطرة الفساد والجشع على آخر أمرائها . ثم إن بلاد المغرب تؤمها قبائل بدوية يناقس بعضها البعض في سبيل توفير الخير والرزق لأفرادها ، فكان أن عاضدت بعض قبائل المغرب بعض الأمراء والزعماء السياسيين في اقامة دول لهم ، ذلك أن قيام الدولة على أكتاف قبيلة كان يتيح لها البروز بين القبائل الأخرى ، واحتكار الوظائف الرئيسية فيها ويتيح لها امتيازات لا تتوفر لغيرها ، وهذا يتمثل في قيام الدولة الفاطمية على أكتاف قبيلتي كتامة وصنهاجة ، الأمر الذي أدى إلى اعتماد الفاطميين عليهما ،

---

(١) القاضي النعمان : رسالة افتتاح الدعوة ، ص ٢٢٧ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٥٠ ، ١٥١ .

(٣) حسن ابراهيم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

والى استئثارهما بالصدارة في الدولة الفاطمية . [1] بينما لا يتضح لنا ما قامت به ليبيا في انتشار المذهب الشيعي في افريقية ، اللهم إلا أنها كانت عبارة عن منطقة عبور لأبي عبد الله الشيعي أثناء مروره إلى بلاد المغرب ، عبر الطريق الصحراوي [2] ولا سيما أنه كان لا يزال في الدور الأول من نشاطه وهو دور التستر . هذا كما كانت منطقة عبور لعبيد الله المهدي من بعده ، والذي كان متخفياً في زي التجار ، وقد وجد بها كثيراً من المصاعب وخاصة في الطاحونة ، وعند وصوله إلى طرابلس يبدو أنه أراد أن يقوم بنشر مذهبه ، غير أن المقام لم يطل به ، وذلك لاكتشاف أمره هناك ، مما اضطره إلى التوجه إلى قسطيلية ، بدلاً من التوجه إلى داعيه عبد الله الشيعي في كتامة . [3]

وعلى الرغم من أن عامل طرابلس قد سهل له الهروب ، إلا أن ذلك لا يعني بأن طرابلس قد أصبحت شيعية أو أنها ساهمت مساهمة فعالة في نشر المذهب الشيعي ، وذلك لأن مناطق برقة والساحل الليبي بأسره كانت سنية ، وأن دواخل طرابلس كانت أباضية .

ومن المرجح أيضاً أن أبا العباس وجعفر الخزري ، قد قاما أثناء وجودهما في طرابلس بنشر هذا المذهب ، ولا سيما أنهما من كبار الدعاة له ، ولكن أنصار مالك من السنيين كانوا ينظرون إلى هذه الدعوة على أنها بدعة ، وجاهروا بإنكارها ، كما وقفت الأباضية ، من هذه الدعوة موقف المتحفز للثورة عليها. [4]

---

(١) مراجع عقيلة الغناى — علاقات الامارة الصنهاجية بجيرانها وأثرها في ليبيا — طبعة بيروت ، ص ١٩ .
— محمود مصطفى النجار — أحمد مصباح مجاهد — فتوحات الاسلام في افريقية والأندلس والمغرب ، الطبعة الاولى ١٩٦٧ — ص ٦٥ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٦٦ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٧١ .

(٤) حسن سليمان محمود : ليبيا بين الماضي والحاضر ، ص ١٣٧ ، ١٣٩ .

ولهذا نستطيع أن نتصور مدى المقاومة العقائدية التي لقيها الفاطميون في ليبيا وبخاصة بعد استيلائهم عليها ، غير أن ذلك لا يمنع من اعتناق بعض الأشخاص للمذهب الشيعي من أمثال محمد بن سلام بن سيار البرقي المتفقه على مذهب الشيعة ، [1] وخليل بن اسحاق بن ورد الذي انحاز إلى جانب الدعوة الفاطمية ، وتولى تعذيب أهل طرابلس لاستخراج الأموال المطلوبة منهم أثناء قيامهم بثورتهم . [2]

ومن الواضح أنه بقيام الدولة الفاطمية ، قضي على الدولتين الأغلبية والرستمية ، المجاورتين لليبيا من الغرب ، وأصبحت طرابلس تابعة للفاطميين من الناحية السياسية ، بينما لم تخضع برقة للفاطميين ، إلا بعد أن توجه اليها حباسة القائد الفاطمي سنة ٣٠١ هـ والذي استطاع أن يدخل سرت ، وأجدابية بأمان وأن يدخل برقة بعد أن أعمل فيها السلب والنهب ، [3] ولو تتبعنا الأحداث التي وقعت في ليبيا بعد نشأة الدولة الفاطمية ، فسوف تتضح لنا صورة المقاومة الليبية (سنية واباضية) للدولة الفاطمية الشيعية الاسماعيلية .

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٨٨ .
(٢) ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٣٠٢ .
– التيجاني : رحلة التيجاني ، ص ٢٤١ .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٧٠ ، ١٧١ .

موقف برقة وطرابلس من أحداث فتح مصر وأهم الثورات بهما في هذه الفترة

وهكذا قدر للدعوة الفاطمية النجاح في بلاد المغرب على يد داعيها أبي عبد الله الشيعي ، وبعد أن بويع عبيد الله المهدي بالبيعة العامة من قبل أهل القيروان سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م واستقامت أموره ، بعث العمال على البلاد ، فأرسل ماكنون بن ضبارة اللحياني والياً على طرابلس ، (١) غير أن البربر انتهزوا فرصة ابتداء العهد الجديد ، فثارت هوارة على ماكنون بزعامة أبي هارون الهواري ، وفي نفس الوقت زحف جماعة من زناتة ، ولماية وغيرهم من القبائل وضربوا الحصار حول مدينة طرابلس غير أن ماكنون تحصن بداخل أسوار المدينة حتى أرسل له عبيد الله المهدي جيشاً بقيادة أبي زاكي تمام بن معارك الاجابي الذي استطاع أن يفرق جموعهم وأن يقتل كثيراً منهم ، وبعث برؤوسهم إلى عبيد الله المهدي برقادة . (٢)

غير أن أبا زاكي يبدو أنه بدأ في التآمر مع أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي

---

(١) ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٧٦ .
– أحمد النائب : المنهل العذب ، ج ١ ، ص ٨٤ .

(٢) حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٤ ، ص ٨٤ ، ٨٥ .
– الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ص ١٨٤ .

العباس ، على قتل عبيد الله المهدي وذلك أثناء اجتماعاتهم المتكررة مع كتامة وتحريضهم على محاربة عبيد الله المهدي . ولما علم عبيد الله المهدي بما يجري من مؤامرات على قتله ، أراد التخلص منهم جميعاً .

فبعث تمام بن معارك على طرابلس، وبعث إلى عاملها ماكنون بقتله، وعندما وصل أبو زاكي إلى ماكنون عامل طرابلس — وكان عمه — أطلعه على ما أمره به عبيد الله المهدي ، فقال له أبو زاكي: يا عم نفذ ما أمرت به ، فضرب عنقه . [1] كما أن عبيد الله المهدي أمر جماعة من أنصاره أن يترصدوا لأبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس ، ويقتلوهما . ويختلف المؤرخون في سبب قتلهما ، فهناك من يرمي عبيد الله المهدي بالاسراف في العبث بالشريعة الإسلامية ، وخروجه على الدين الإسلامي ، وبأن أبا عبد الله الشيعي لم يرض عن هذه السياسة واحتج على المهدي . بينما يذكر البعض أن المهدي باشر الأمور بنفسه وكف يد أبي عبد الله الشيعي ويد أخيه أبي العباس، فداخل العباس الحسد، فأقبل يزري على المهدي في مجلس أخيه ، ويجمع مؤلفو الاسماعيلية على أن أبا عبد الله الشيعي كان يميل إلى الزعامة والتسلط ، وأن المهدي وجد في هذا الأمر افتئاتاً على زعامته ونفوذه ، وذلك لما تعارضت هاتان النزعتان ، دبر المهدي قتل صاحبه ، وداعيه أبي عبد الله الشيعي . أما ما ذهب اليه بعض آخر من أن أبا العباس وأبا عبد الله الشيعي قد أثارا شكوك الناس في شخصية المهدي فيبدو بعيد التصديق لأنهما إذا كانا قد شكا في المهدي فكيف رضيا عنه سنين [2] .

ومهما كانت الأسباب فان عبيد الله المهدي ، أراد أن يتخلص منهما ، فأمر جماعة من أنصاره أن يترصدوا لهما ويقتلوهما . فأخذوا يترصدونهما

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٦٤ .
— المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص ٩٥ ، ٩٦ .
— ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٧٧ .

(٢) حسن ابراهيم حسن : عبيد الله المهدي : ٢٦٤ ، ٢٦٦ .

حتى تم لهم ذلك يوم الاثنين في النصف من جمادى الآخرة سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م ، وذلك في نفس اليوم الذي قتل فيه أبو زاكي . [١]

وقد أثار مقتل أبي عبد الله الشيعي أهالي بلاد المغرب ، فثارت طرابلس [٢] على عامل عبيد الله المهدي ماكنون ، وذلك لأنهم استاءوا من سياسته فيهم إذ أتاح لكتامة التسلط على الناس والتطاول إلى الحرم ، ولهذا ثارت طرابلس عليه سنة ٢٩٩ هـ / ٩٠٠ م وفتكوا برجال كتامة وهرب ماكنون ، وولى الثائرون عليهم محمد بن اسحاق القرشي المعروف بابن القرلين . فأخرج اليهم عبيد الله المهدي جيشاً حاربهم شهوراً ، ولكن دون جدوى [٣] فأرسل لهم ابنه القاسم في جيش قوي يرافقه في البحر خمسة عشر مركباً حربياً . فخرج اليه أهل طرابلس بأسطولهم ، فأحرقوا مراكب عبيد الله المهدي ، وقتلوا من فيها ، أما الجيش البري فقد مضى نحو المدينة ، وتمكن في طريقه من الايقاع بهوارة ، ثم ضرب الحصار على مدينة طرابلس . وعندما شدد أبو القاسم الحصار عليها ، انعدمت الأقوات حتى أكل أهلها الميتة ، واضطروا إلى طلب الأمان ، فأمنهم على أن يسلموه الأشخاص الذين كان لهم ضلع في تحريك الثورة ، وهم محمد بن إسحاق القرشي ومحمد بن نصر ، ورجل يعرف ، بالحوحجة . [٤]

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .
– ابن خلدون : العبر المجلد الرابع ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) سرور : الدولة الفاطمية ، في مصر ص ٢٥ ، وكان من أثر مقتل أبي عبد الله الشيعي أن دب النزاع في بلاد المغرب فثارت طرابلس على المهدي وهب أهالي القيروان في وجهه ، وخالفه أهل صقلية وأهالي بعض مدن افريقية وكان أشدها خطرا تلك الثورة التي أشعل نارها اتباع أبي عبد الله المخلصون له من الكتاميين ، فقد هبوا في وجههم وادعوا ان أبا عبد الله حي لم يمت . ولم يكتفوا بذلك بل أقاموا طفلا ادعوا انه المهدي (حسن ابراهم حسن : عبيد الله المهدي : ٢٦٨ .) .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٦٨ .

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .
– أحمد بن الضياف : اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس في عهد الامان ، تونس ، ١٩٦٣ ، ص ١٢٣ .

وفرض على أهل مدينة طرابلس أموالاً عظيمة ، وغرم أهل البلد جميع ما أنفقه على تلك الحملة ، وتقدر الغرامة التي فرضها على الذين أثاروا الخلاف ما بين ٣٠٠,٠٠٠ إلى ٤٠٠,٠٠٠ دينار . [١]

ولا شك أن قضية اقرار الأمور في طرابلس وتحصيل الغرامة المفروضة على أهلها حملت أبا القاسم على التريث بعض الوقت فيها [٢] حيث انحاز خليل بن اسحاق بن ورد إلى جانب الدعوة الفاطمية وتولى تعذيب أهل طرابلس لاستخراج الأموال المطلوبة منهم . [٣]

وفي أثناء وجود أبي القاسم في طرابلس استطاع أن يحمي البلاد من أسطول أحمد بن قرهب والي صقلية الذي ثار على الفاطميين ، إذ إنه هاجم ساحل افريقية ، فوجد هناك أسطول عبيد الله المهدي وعلى مقدمته الحسن بن أبي الخنزير ، فأحرقوا الأسطول ، وقتلوا الحسن ، وبعثوا برأسه إلى ابن قرهب ثم سار الأسطول إلى مدينة سفاقس فخربوها ، ومنها سار إلى طرابلس فوجدوا بها أبا القاسم الذي تمكن من هزيمته ، [٤] وبعد أن استتب الأمر لأبي القاسم في طرابلس وذلك بالقضاء على من تبقى من بني الأغلب استعمل عليها عاملاً من قبله ، ورجع إلى والده ، ومعه وجوه البلد الذين أخذهم رهائن عنده [٥] . وفي سنة ٣٠١ هـ كانت حملة حباسة بن يوسف الكتامي والتي كانت عبارة عن

---

(١) ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٧٨ .
– التيجاني : رحلة التيجاني ، ص ٢٤١ .
(٢) عبد اللطيف البرغوثي : تاريخ ليبيا الاسلامي ، ص ٢٢١ .
(٣) ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٣٠٢ .
– التيجاني : رحلة التيجاني ، ص ٢٤١ .
(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ١٤٢ .
(٥) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٦٩ .
– ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ١٤٠ .

الخطوة التوسعية الأولى في مخطط الفاطميين للاستيلاء على برقة ومصر كجزء من خطتهم العامة للاطاحة بالدولة العباسية والسيطرة على الدولة الإسلامية بأسرها . ومثل هذا المخطط كان يفضي دون شك إلى ارسال الجيوش تباعاً ليشد الواحد منها أزر سابقه . ولهذا سار أبو القاسم بن عبيد الله المهدي على رأس الجيش الثاني من هذه الجيوش سنة ٣٠١ هـ فخرج من رقادة ومر بطرابلس ووصل إلى برقة ، في ذي الحجة من نفس السنة . (١)

وكان على أبي منصور تكين بن عبد الله والي مصر من قبل الخليفة العباسي المقتدر أن ينشط في سبيل وضع حد لخطر الدولة الفاطمية ، ولا سيما أن المقتدر كان قد تقدم إلى تكين في الجد في أمر المغرب ، والاحتراس منه ، فعقد تكين لأبي النمر أحمد بن صالح من أبناء الجند العرب على برقة وبعث معه جيشاً كثير العدد فسار اليها أبو النمر ، فدخلها واشتد سلطانه بها ، وفرض بها على البربر وغيرهم . ثم خرج منها إلى مدينة سرت حيث تمكن من تحسين أمره في ولايته . فبعث اليه عبيد الله المهدي حباسة بن يوسف وهو من بربر كتامة وتقابل الجيشان ، ولكن امتنع كل واحد منهما من صاحبه ، فعزم تكين على صرف أحمد بن صالح عما يتولاه ببرقة ، وعقد عليها لخيري المنصوري . فبلغ حباسة خبر عزم تكين على عزم أحمد بن صالح ، فأراد أن يفت في عضده ويهبط من عزيمته ، فقال له : ما الذي يحملك على حربنا وأنت معزول ؟ وبعث إليه حباسة بالكتاب الذي كان قد ورد عليه من مصر يخبره بعزله من قبل تكين وتولية خيري المنصوري على برقة . وبالفعل خرج خيري المنصوري إلى برقة ، ومعه عبد العزيز بن كليب الجرشي ، ويبدو أنه حصل بين القائدين العباسيين تنافس على ولاية برقة ، فتجافيا فاستغل حباسة ذلك التجافي وهزمهما جميعاً حيث انصرفا إلى مصر منهزمين . (٢)

---

(١) عبد اللطيف البرغوثي : نفس المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

وهكذا تمكن حباسة من الدخول إلى مدينتي سرت وأجدابية بالأمان ، حيث هرب من فيها من بني العباس ، ثم دخل حباسة إلى مدينة برقة . وكان عبيد الله المهدي يمده بالجيوش ، وكلما دخل مدينة قتل أهلها وأخذ أموالهم وعاث فيهم ، وتعلل على أهل العاقبة منهم حتى انه يقال لقد أخذ ببرقة جماعة كانوا يلعبون بالحمام فأضرم لهم ناراً ، وأجلسهم حولها ، وأمر بأن تقطع لحومهم وتشوى ، ثم يطعمونها ، وقذف بهم بعد ذلك في النار ، وقال : ان هذا الحمام كان يأتيهم بالأخبار من قبل بني العباس . [1]

ثم نادى ببرقة من أراد العطاء والرزق الواسع فليأت . فاكتتب عنده جماعة ، فأمر العرفاء من كتامة ، بأن يعرفوهم بأعيانهم ، ويرقب كل منهم رجلاً من أولئك المكتتبين عنده ، ثم أمرهم أن يحضروا في اليوم الثاني لأخذ الأرزاق ، فلما حضروا قتلهم جميعاً وكانوا نحواً من ألف رجل ؛ ثم أمر بجمع جثثهم ، ووضع عليها كرسياً وجلس فوقه ، ثم أدخل وجوه أهل البلد ، فنظروا إلى ما هالهم من كثرة القتلى ، ويذكر أنه مات منهم ثلاثة من الخوف والرعب ، ولما مثل أهل البلد بين يديه سبهم وقال لهم : ان لم تحضروني غداً مائة ألف مثقال أقتلكم جميعاً فأحضروها إياه . ووردت على حباسة عساكر عظيمة من مصر لمحاربته ، فدارت بينهم حرب عظيمة ، وتمكن حباسة من هزيمة هذه الجيوش إلى مصر ، ثم اتبعهم وقتل كثيراً منهم . هذا كما أن حباسة لم يقف عند هذا الحد في برقة ، بل انه قتل فيها حارثاً ونزال ابني جمال المزاتي ، وفي نفر من أبنائهم وبني عمهم ، وباع نساءهم ، وأخذ جميع أموالهم ، فادعى أنهم سرقوا حمل مال ومتاع من عبيد الله المهدي أثناء مروره بهم إلى بلاد المغرب ولما طالب بذلك عندهم قام اليه رجل منهم فشتمه ولطمه ، فكان ذلك سبب قتل حباسة لهم ، على ما أمره به عبيد الله المهدي . [2]

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٧٠ .
(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٧٠ .

غير أن أهل برقة كتبوا إلى عبيد الله المهدي ، بما دار عليهم من حباسة ، وقتله رجالهم ، وتشتيته نساءهم وأخذ أموالهم ، فجاوبهم يعتذر اليهم ويحلف أنه ما أمر بشيء مما ذكره إلا النفر الثلاثة ، وكتب إلى حباسة يأمره بالرحيل عنهـــم . (١)

وهكذا يتضح لنا أن برقة لم تخضع للدولة الفاطمية إلا بعد حملة حباسة ابن يوسف الكتامي ، ولكن هذه التبعية السياسية لم تكن تعني أن ليبيا قد أصبحت شيعية ، لأنه كما قلنا أن مناطق برقة والساحل الليبي بأسره كانت سنية ، وأن دواخل طرابلس كانت أباضية . والواقع أن جعل ليبيا منطقة موالية للدعوة الفاطمية كان أمراً حيوياً في المخطط الكبير الذي يهدف الفاطميون فيه إلى الاستيلاء على مصر وكان تسليم سرت وأجدابية بالأمـــان يمثل مفارقة واضحة ، ولما تم في برقة التي منيت بضروب العسف والتنكيل ، وما ذلك إلا لأن برقة كانت مركزاً للجند العباسي غير أن العنف الذي مارسه حباسة لا يدل على ميل إلى تألف واصطناع ، وهو ما كانت الدعوة بحاجة إليه في طريقها إلى مصر ، فبرقة إذن تمثل المقاومة الآتية ضد سيادة غير السيادة العباسية . ونتيجة لهذه المقاومة من جهة وقلة الأشخاص الذين عطفوا على الدعوة الفاطمية أمثال محمد بن سلام بن سيار البرقي وخليل بن إسحاق ــ تؤكد أن الإخضاع السياسي هو الشيء الوحيد الذي فاز به الفاطميون في ليبيا . (٢)

ولما كتب عبيد الله المهدي إلى حباسة يأمره بالرحيل عن أهل برقة توجه بالعساكر إلى مصر ، فنزل بجبل مقة . (٣) وحارب الحصون التي تجاوره حتى

(١) نفس المصدر ، ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٢) احسان عباس : نفس المرجع السابق ، ص ٧٦ .

ــ عبد اللطيف البرغوثي : نفس المرجع السابق ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٣) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٥ ، وهي قرية ببرقة فوق جبل وعر لا يرقى اليها فارس على حال . وبها يعمل القطران الذي يحمل إلى مصر .

أخذها وقتل أهلها ، وأخذ أموالهم ، وأولادهم ، ثم واصل مسيرته إلى مصر [1] حتى دخل الإسكندرية واستولى عليها ، ومن ثم سار إلى الوجه البحري . [2]

وكانت الأخبار قد وردت إلى مصر بدخول صاحب إفريقية الإسكندرية « عبيد الله المهدي » ، وتغلبه على برقة ، فكتب تكين والي مصر يطلب المدد ويستصرخ الخليفة ، فعظم ذلك على المقتدر ورجاله ، فبعث مؤنساً الخادم على رأس جيش كبير قيل انه أربعون الفاً . وفي مدينة مشتول [3] التحم الفريقان في القتال ، فحلت الهزيمة بجيش حباسة ، فأرغم على العودة إلى بلاد المغرب ، حيث قتله الخليفة الفاطمي على أثر رجوعه . [4]

أما ابنه أبو القاسم ، فإنه عندما وصل إلى الفيوم عاد من حملته هذه إلى مدينة برقة ، فهنأه أهلها بالسلامة ، وزعم أنه رجع في طلب حباسة ، ليعاقبه على ما فعله بهم ، وأمرهم ببنيان سور مدينتهم واستخلف عليهم رجلاً من كتامة . ولما ولى عنهم أبو القاسم ، وعلموا الحالة التي انصرف عليها من مصر وهي هزيمته أمام الجيوش العباسية ، رجعوا إلى الثورة ، وقتلوا من كان عندهم من كتامة .

وأما أبو القاسم فقد واصل سيره إلى مدينة رقادة حتى وصلها

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٢٦٩ .

(٣) قريتان : مشتول الطواحين ، ومشتول القاضي وكلتاهما من كورة الشرقية . قال المهلبي : « مر بينهما طريقان فالايمن منهما إلى مشتول الطواحين وهي مدينة حسنة العمارة جليلة الارتفاع بها عدة طواحين تطحن الدقيق الحواري وتجهز إلى مصر ، واليها ينسب أبو علي الحسن بن علي ابن موسى المشتولي من مشائخ الصوفية ، تخرج من القاهرة إلى عين شمس إلى الكوم الاحمر إلى مشتول ثمانية عشر ميلا . » (ياقوت : معجم البلدان ، طبعة بيروت ، ج ٥ ، ص ١٣٢) .

(٤) حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، الطبعة الثانية ١٩٦٤ ، ص ١١٤ .

في ٢٠ ذي القعدة .[١]

ولما بلغت أنباء انتفاض أهل برقة إلى عبيد الله المهدي ، أرسل جيشاً بقيادة أبي مدين بن فروخ اللبيص فحاربهم مدة ثمانية عشر شهراً ، وحاصرهم حتى سقطت المدينة في يده سنة ٣٠٤هـ بعد أن أفنت الحرب أكثر أهلها ، ودخل أبو مدين فأحرق قوماً من أهلها بالنار ، واستصفى أموالهم ، وبعث بجماعة آخرين إلى عبيد الله المهدي فأمر بقتلهم ، أما أبو مدين قائد الشيعة ببرقة فقد ظل بها إلى أن مات سنة ٣٠٦هـ .[٢]

وقد كشفت الحملة الأولى رغم ما أصابها من الفشل ، عن ميل كثير من المصريين إلى الدعوة الفاطمية ، بفضل دعاة الاسماعيلية كأبي علي الداعي ، الذي بذل مجهوداً كبيراً في دعوة أهالي مصر إلى الدخول في المذهب الإسماعيلي.[٣]

ولهذا نجد ذكا والي مصر الجديد ٣٠٣ – ٣٠٧هـ الذي دخل هذه البلاد في ١٢ صفر سنة ٣٠٣هـ يعمل على أن يضع حداً للأعمال التي قام بها الموالون للفاطميين فتتبع كل من رمى منهم بمراسلة الفاطميين ، فسجن منهم كثيرين وقطع أيدي بعضهم وأرجلهم في الوقت الذي هرب فيه أهل لوبية ومراقية[٤] إلى الإسكندرية خوفاً من غزو الفاطميين وتتبعهم لهم .[٥]

وهكذا نلاحظ ما لقيته مدينة برقة من عنت وعنف في مرتين متتاليتين على أيدي الفاطميين قبل أن يتم خضوعها لهم سياسياً ، وما ذلك إلا لأنها كانت

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٨١ .

(٣) سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٦١ .

(٤) لوبية ومراقية : وهما قريتان بين برقة والاسكندرية واذا قصد القاصد من الاسكندرية إلى افريقية فأول بلد يلقاه مراقية ثم لوبية (ياقوت : معجم البلدان ، طبعة بيروت ، جـ ٥ ، ص ٢٥ ، ٩٤) .

(٥) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٢٧٤ .

مركزاً سنياً للعباسيين في إقليم برقة ، فأراد الشيعة الفاطميون أن يجعلوا منها عبرة لغيرها حتّى تسهل عليهم السيطرة على الإقليم كله . [١]

وفي سنة ٣٠٦هـ بدأ الغزو الثاني لمصر واستمر حتّى سنة ٣٠٨هـ وتلك هي السنوات التي اتخذ فيها الفاطميون المهدية كعاصمة لهم ، وبعد أن أكمل عبيد الله المهدي بناءها قال : « أمنت على الفاطميات » [٢] . أي أنه ببناء هذه المدينة قد أمن على الفاطميين في بلاد المغرب . وكان والي طرابلس في ذلك الوقت ، هو عيسى بن مسكين والذي قبض عليه من قبل أحد المناوئين للفاطميين وهو موسى بن قطان . [٣]

وعلى أية حال فقد قاد أبو القاسم ، الغزو مرة أخرى محاولاً أن يصل إلى مصر والأشمونين بأسرع ما يمكن . وقد سلك كثيراً من مدن الصعيد ، وفي هذه الأثناء وردت الأخبار إلى المقتدر ، فبعث مؤنساً الخادم ، في شعبان ، فجد هذا في السير حتّى وصل إلى مصر ، ووقعت بينه وبين جند أبي القاسم عدة معارك فما كان من عبيد الله المهدي في هذه الأثناء إلا أن أرسل أسطولاً من إفريقية لنجدة أبي القاسم وكان مكوناً من ثمانين مركباً ، فأرست إلى الإسكندرية ، وعليها سليمان الخادم ، ويعقوب الكتامي ، مما دفع المقتدر بالله إلى إرسال أسطول لمقابلة الأسطول الفاطمي ، وعند لقاء الأسطولين ، تمكن الأسطول العباسي من تحطيم الأسطول الفاطمي المكون من ثمانين سفينة ، وأسر منهم عدداً كبيراً . وأما أبو القاسم فقد نجح مع بقية قليلة من جيشه في العبور إلى ليبيا مخترقها إلى المهدية . [٤]

وفي سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م قامت ثورة جديدة في مدينة طرابلس أثارت

---

(١) عبد اللطيف البرغوثي : نفس المرجع السابق ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ٦ ، ص ١٥١ .

(٣) Abass. Hamdani; op. cit., p. 326.

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ٦ ، ص ١٦١ .

الاضطرابات في جبل نفوسة . وكانت هذه الثورة بقيادة شخص يدعى أبا بطة فأرسل إليهم عبيد الله المهدي جيشاً بقيادة أحد دعاته ، وهو علي بن سليمان ، غير أنه عندما اقترب هذا الداعي من الثوار هاجموه ، وقتلوا كثيراً من أصحابه وانهزم الباقون وتفرقوا عنه ، مما اضطر علي بن سليمان أن يلجأ هو وبقية أصحابه إلى طرابلس ، حيث كتب إلى عبيد الله المهدي يخبره بهزيمته ، أمام جيش أبي بطة ، فكتب عبيد الله المهدي إلى علي بن لقمان عامله على قابس يأمره أن يقتل كل من مر به من المنهزمين ففعل ما أمر به ، وذلك نتيجة لانشقاقهم عن قائدهم علي بن سليمان . [1]

وفي نفس الوقت أمد عبيد الله المهدي ، علي بن سليمان بالجيوش ، فاتجه بها إلى نفوسة ، وحاصرها حتى تمكن من الإيقاع بهم ، والدخول في حصنهم حيث أمر بهدمه ، وقتل كثيراً من رجالهم وذلك في شعبان من نفس السنة . [2]

وفي سنة ٣١٦هـ كان أبو يزيد الزناتي صاحب الحمار ، لاجئاً في مدينة طرابلس وذلك في أول ابتداء أمره حيث كان يعلم الصبيان بتقيوس [3] وينوي الخروج على الخليفة الفاطمي . وعندما خرج أبو يزيد من تقيوس يريد الحج مر في طريقه بطرابلس ، وما إن وصل هذه المدينة ، حتى وصلت في أعقابه كتب عبيد الله المهدي في طلب جماعة من البربر ممن حامت حولهم الشبهات ، فقرر أبو يزيد الهرب ، وعاد هو وصاحبه أبو عمار الأعمى إلى تقيوس ، حيث بدأ عمال عبيد الله المهدي بالبحث عنه . [4]

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٩٣ .

(٣) بالفتح ثم السكون ، وياء مضمومة ، وواوساكنة وسين مهملة : مدينة بإفريقية قريبة من توزر ، التي تقع في أقصى افريقية من نواحي الزاب الكبير من أعمال الجريد (ياقوت : معجم البلدان ، طبعة بيروت ، جـ ٢ ، ص ٣٧ ، ٥٧) .

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٩٣ .

وظلت طرابلس آمنة تقبل عمال الشيعة من الجباة ، والقضاة ، ولا تذكر المصادر أي اضطراب في منطقتها إلا سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م . ففي هذه السنة توفي عبيد الله المهدي . وكانت حالة بلاد المغرب بعد وفاته ، تتطلب كل جهود ابنه أبي القاسم الذي آلت إليه الخلافة ولقب بالقائم بأمر الله فكثرت عليه الثورات .[1] وكانت أول هذه الثورات ثورة رجل عربي يعرف بابن طالوت القرشي ، فقد ثار هذا الرجل بنواحي طرابلس وادعى أنه ابن المهدي ، واستطاع اجتذاب الناس حوله ، فاتبعه البربر ، والتفوا حوله ، ثم زحف ابن طالوت الثائر إلى مدينة طرابلس ، وحاصرها ، غير أن حامية طرابلس بمساعدة الأهالي لها تمكنت من التصدي لهجوم هذا الثائر ، ثم اتضح لأتباعه كذبه ، فانقلبوا ضده ، وقتلوه وبعثوا برأسه إلى القائم بأمر الله .[2]

وفي هذه الأثناء كان محمد بن طغج قد دخل في سنة ٣٢٣ هـ ، دار الإمارة في الفسطاط دخول الظافرين ، وخالفه حبشي بن أحمد قائد المغاربة في مصر ، وغادر الفسطاط . هذا كما خالفه علي بن بدر قائد أسطول ابن كيغلغ وغيرهما من القواد الذين كرهوا المقام مع ابن طغج ، فهربوا إلى الشرقية ، ثم عادوا فيمموا شطر الفيوم . فأراد محمد بن طغج أن يقضي على حركتهم في مهدها ، فأرسل اليهم قائده صاعد بن كلملم ، غير أنهم تمكنوا من أسره وقتله والاستيلاء على مراكبه ، ومن ثم أبحروا إلى الجزيرة ، وأحرقوا ما كان فيها من سفن لابن طغج ، ثم واصلوا السير إلى الاسكندرية حيث لحقوا بحبشي وجنوده المغاربة الذين كانوا قد غادروا الفسطاط ، وعزم الجميع على الذهاب إلى برقة ، وكتبوا إلى القائم بأمر الله الفاطمي ، يهونون عليه فتح مصر ويسألونه

---

(١) سرور : نفس المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٠٩ .

– ابن خلدون : العبر ، المجلد الثالث ، ص ٨٣ .

– أحمد النائب : المنهل العذب ، جـ ١ ، ص ٨٦ .

أن يبعث اليهم جيشاً يتعاونون معه في الاستيلاء عليها ، ولكن لم تطل حياة قائد الجند المغاربة اذ توفي في صفر سنة ٣٢٤ هـ ، في الرمادة . (١)

وبالفعل أراد الخليفة القائم أن يستغل هذه الفرصة ، فلبى دعوتهم ، وأنفذ إليهم جيشاً أمره بالمسير معهم إلى الاسكندرية فبلغوها في شهر ربيع الآخر سنة ٣٢٤ هـ ، وبعث اليهم الأخشيد جيشاً على رأسه أخوه الحسن بن طغج وقائده صالح بن نافع ، والتقى الجيشان في قرية من قرى البحيرة ، وحلت الهزيمة بالمغاربة وفرت فلولهم إلى برقة ، (٢) ولا يذكر الكتاب شيئاً عن برقة وطرابلس ، بعد هذه الحادثة إلى نهاية عهد القائم سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م وكذلك خلال عهد المنصور ٣٣٤ – ٣٤١ هـ لأن حالة بلاد المغرب الداخلية قد تطلبت جهود هذين الخليفتين ، كما تطلبت كل موارد البلاد المالية . هذا إلى جانب ما أحدثه الخوارج من ثورات كان أجلها وأشدها بلاء هذه الثورة التي أضرم نارها أبو يزيد . (٣) ورغم أن اقليم طرابلس كان يتردد فيه صدى الثورة المندلعة من الجنوب التونسي المتاخمة ، إلا أن أهله لم يحركوا ساكناً ضد الفاطميين ، ولكن لما كانت الحرب الطويلة بين أبي يزيد والفاطميين ، قد نشرت الخراب والدمار في افريقية ، فقد لجأ الكثيرون من الفارين وخاصة من اهل المهدية الى ليبيا . (٤)

وهكذا غلب الهدوء النسبي على أرجاء ليبيا أيام الخليفة المنصور ٣٣٤ – ٣٤١ وأيام المعز قبل رحيله إلى مصر ٣٤١ – ٣٦١ هـ ، واستكانت لولاة الفاطميين .

---

(١) سيدة اسماعيل كاشف : مصر في عصر الاخشيديين ، مطبعة جامعة فؤاد الاول ، ١٩٥٠ ، ص ٧٤ ، ٧٥ .
(٢) نفس المرجع ، ص ٣٦٠ .
(٣) حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ١١٧ .
(٤) سعد زغلول عبد الحميد : فترة حاسمة من تاريخ المغرب ، ص ١٥ ، ١٦ .

ولكن ليس معنى ذلك الهدوء والخضوع أن ليبيا أصبحت شيعية ، فقد ظلت برقة سنية في معظمها ، كما أن طرابلس ظلت أباضية في معظمها ، ولعل هذا الانقسام العقائدي ، كان من حسن حظ الفاطميين لأنه أتاح لهم أن يخضعوا كل فريق على حدة . ولعل هذا الانقسام أيضاً هو الذي حال دون استفادة الليبيين من الفرصة الممتازة التي أتاحتها لهم الثورة الشاملة ، التي قام بها في افريقية أبو يزيد بن مخلد بن كيداد صاحب الحمار ٣١٦ هـ/ ٣٣٦ هـ ، والتي كادت أن تقضي على الدولة الفاطمية . فهذه الثورة لم تلق أي تأييد من ليبيا نظراً للخلاف العقائدي الذي أشرنا اليه . فلا السنيون ، ولا الأباضيون كانت عواطفهم مع هذه الثورة ، لأن زعيمها كان قاسياً في معاملة أهالي المدن التي كان يستولي عليها من الفاطميين ، وكانت أخبار قسوته ، وعنفه تصل تباعاً إلى ليبيا ولا سيما عند استيلائه على المهدية . [1]

وعلى الرغم من عدم خضوع ليبيا من الناحية العقائدية للفاطميين ، إلا أنها استكانت من الناحية السياسية لولاتهم . إذ ولى الخليفة المنصور زيان الصقلي على طرابلس فقدم اليها ، وكانت سيرته حسنة . [2] وقد ظل على ولاية طرابلس حتى عهد المعز ، حيث قام هذا الوالي بزيادة ارتفاع سور المدينة من جميع جهاتها في عهد المعز وذلك سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٧ م ، [3] وكبرت المدينة بفضل المهاجرين اليها من افريقية والمهدية وظهر من الطرابلسيين بحريون مهرة ، وشغلوا مناصب كبيرة في البحرية الفاطمية ، أو امتلكوا سفن الشحن الكبيرة ، حتى كان بعضهم ينافس كبار القواد في المهدية نفسها ، ويستطيع الاتصال بالخليفة

---

(١) عبد اللطيف البرغوثي : نفس المرجع السابق ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٢) أحمد النائب : المنهل العذب ، جـ ١ ، ص ٨٦ .

— الطاهر الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ص ١٩١ .

(٣) التيجاني : رحلة التيجاني ، ص ٢٤٠ .

المعز مباشرة [1] وقد حفظ لنا صاحب سيرة جوذر نص توقيع للمعز بشأن متولي البحرية المهدية من أحد أرباب البحر والمراكب الطرابلسية وهو ابن وسيم الاطرابلسي الذي اتهمه المعز بالخيانة في شعير ، كانت الأوامر قد صدرت بحمله إلى صقلية في مراكب بعض التجار معونة للغزاة . [2]

ثم خلفه على طرابلس نصير الخازن فكانت المراكب تأتيه مع بني الحسن ولاة صقلية بأموال الجزيرة وغنائم الروم ، فينفق منها على صيانة الأسطول ، ويدفع مرتبات رجاله ، ويرسل للخليفة بياناً بذلك وبما تبقى لديه من الأموال ، كما يصف له استقامة أحوال البلد . وقد بلغت الجباية التي كانت تصل إلى طرابلس مبلغاً كبيراً حتى إنه بعد رحيل جوهر إلى مصر أعرب المعز عن أمله في أن يعوض مال طرابلس بعض ما أنفقه جوهر من الأموال التي بلغت أربعاً وعشرين ألف دينار . [3]

هذا كما اهتم الفاطميون بحكم الولايات اذ نجد أنهم قد وضعوا لحكم هذه الولايات نظاماً يقوم على الاعتماد على أنصارهم والموالين لهم . وكان اهتمام المعز بحكم هذه الولايات أكثر من اهتمامه بالحكم المركزي لأنه كان يدرك أن رفاهية دولته وعظمتها ، انما تقوم على استتباب الأمن والنظام في الأقاليم ، وكان من أهم مظاهر الحكم في هذه الولايات في عهد المعز ، أنه استعان بأبناء أنصاره الأوائل ، وأخذهم بالشدة اذا أهملوا ، أو أساءوا ، وشجع المحسن منهم بترقيته والادرار له . وكان من أهم هذه الولايات في عهده ولاية برقة ، وكان عليها غلام المعز أفلح .

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد ، نفس المرجع السابق ، ص ١٦ .

(٢) الجوذري – أبي علي منصور العزيز : سيرة الأستاذ جوذر ، دار الفكر العربي ص ٨٧ ، ٨٨ .

– سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع السابق ، ص ١٦ .

(٣) الجوذري : سيرة الأستاذ جوذر ، ص ١١٨ .

– سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع السابق ، ص ١٧ .

وكانت هذه الولاية عامل اتصال بين مصر والمغرب كما كان المعز يستخدمها في حروبه ، وذلك بدليل ما فعله في استرداد جزيرة اقريطش ، [1] فعندما عجزت الخلافة العباسية ومصر عن حماية مسلمي الجزيرة طلب هؤلاء المساعدة من المعز ، ورأى المعز أن يستفيد من ذلك الموقف إلى أقصى حد ، فيتخذ من تدخله في شؤون اقريطش ، ذريعة للتدخل في شئون مصر ، ودبر خطة للعمل المشترك بينه وبين الأخشيد ، وكانت هذه الخطة موضع خطاب رسمي بعث به المعز إلى الأخشيد ، حيث قال له « ... فإن وثقت بذلك ، ورأيت ايثار الجهاد فاعمل على أن تنفذ مراكبك إلى مرسى (طبرقة) [2] من أرض برقة لقرب هذا المرسى من جزيرة أقريطش ويكون اجتماعهم مع أساطيلنا بهذا المرسى ، في مستهل ربيع الآخر سنة ٣٥٠ . [3]

وهذا يبين لنا ما تمتعت به ليبيا من الاستقرار والرخاء ، كما احتلت مكاناً مرموقاً في السنوات الأخيرة من عهد الفواطم في افريقية ، وأن ذلك كان نتيجة طبيعية لتوجيه سياسة الخلفاء الفواطم ، وجهة مشرقية ولا سيما على عهد المعز الذي تم فيه فتح مصر . [4]

---

(١) حسن ابراهيم حسن : المعز لدين الله الفاطمي ، الطبعة الثانية من ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٢) هذه المدينة موجودة في النص ، في شكل طبنة (وهذا غير صحيح فطبنة من مدن الزاب ، ولهذا وضعنا بدلا منها « طبرقة » أي ميناء برقة الشرقي فهذا أقرب إلى الصواب (سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع السابق هامش ٣ ص ١٨) .

(٣) حسن ابراهيم حسن : المعز لدين الله الفاطمي ، ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ .
— محمود مصطفى النجار : أحمد مصباح مجاهد : فتوحات الاسلام في افريقية والأندلس والمغرب ص ٧٥ ، ٧٦ .

(٤) سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع السابق ص ١٨ ، ١٩ .

انتقال المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر

عندما نجح الفاطميون في تأسيس دولتهم ، وخلافتهم بالمغرب ٢٩٦هـ/ ٩٠٨ م أدركوا أن بلاد المغرب لا تصلح لأن تكون مركزاً لدولتهم ، [١] وذلك لقلة مواردها ولبعدها عن الولايات الإسلامية التي كان الفاطميون يتطلعون إلى الاستيلاء عليها كالحجاز والشام والمشرق . ولما كانت مصر واسطة الأمم الإسلامية فضلاً عما اشتهرت به من الخصب ونماء الثروة ، فقد فكر عبيد الله المهدي في غزوها وجعلها حاضرة للدولة الفاطمية ، بعد أن وطد سلطانه في بلاد المغرب . [٢] وقد عبر عن ذلك حينما سأله القائم ، بقوله « ... نعم ! هذا المغرب في قبضتي هذه ، وبسط اليمنى وقال : ولكن كفي هذه من المشرق صفر ، إن ثقل عليك ما أمرتك به خرجت له بنفسي » . [٣] وبالاضافة إلى كل ما سبق كانت الدولة الأموية بالأندلس تعتبر المغرب الأقصى خط دفاعها الأمامي ، وكانت تعلم عن يقين أنه كان دائماً المعبر إلى الأندلس وأن استقرار الدولة الفاطمية الناشئة الفتية في المغرب ، معناه أن الأندلس ، أصبحت على أبواب

---

(١) سرور : نفس المرجع السابق ، ص ٦١ .

(٢) علي ابراهيم حسن : جوهر الصقلي ، الطبعة الاولى ١٩٣٣ ، ص ٩٣ .

(٣) حسن ابراهيم حسن : عبيد الله المهدي ، ص ٣٢٩ .

خطر كبير ، لذلك كان من الطبيعي جداً أن تهتم الدولة الأموية في الأندلس كثيراً بالمغرب ، وعلى وجه التخصيص بالمغرب الأقصى ، وأن تعمل أكثر من ذي قبل على بسط نفوذها المادي والمعنوي عليه . وهكذا كان المغرب في هذه الفترة من التاريخ منطقة تنازع نفوذ بين الخلافة الأموية في قرطبة بالأندلس وبين الخلافة الفاطمية بتونس . (١)

ولهذا اتجهت أنظار الخلفاء الفاطميين إلى مصر ، ووضعوها نصب أعينهم وقرروا غزوها لما يحققه امتلاكها من سيطرة على الحجاز والشام ، ومن ثم السيطرة على العالم الإسلامي (٢) فبادر الخليفة عبيد الله المهدي إلى إرسال حملته الأولى سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م وكان مصيرها الفشل ، ثم أعاد المحاولة مرة ثانية سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م ، وكان مصيرها كمصير سابقتها ، ثم أرسل حملة أخرى سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م واتجهت حملة أخرى لى مصر سنة ٣٢٣ — ٣٢٤ هـ ، في عهد الخليفة القائم ، وعلى الرغم من تكرار الحملات فلم يحالف الفاطميين الحظ (٣) إلا عندما تولى المعز لدين الله الفاطمي ، حيث أخذ يمهد للاستيلاء على مصر . وقد بدأ باستدعاء شيوخ من رجال كتامه ، واجتمع بهم حيث قال لهم في نهاية الاجتماع : رجوت أن يقرب الله علينا المشرق كما قرب أمر المغرب بكم » . (٤) وكان استعداد المعز لغزو مصر قد بدأ منذ عام ٣٥٥ —

---

(١) Hassan, Ibrahim; Relations between the Fatimids in North Africa and Egypt and the Umayyads in Spain, during the 4th. Century A.HK, Bulletin of the Faculty of Art — Cairo University Vol. X Part-II Cairo 1948, p. 18-19.

— عبد القادر الصحراوي : جولات في تاريخ المغرب الاقصى ، الطبعة الاولى الدار البيضاء ١٩٦١ ، ص ٢٤ .

(٢) عبد المنعم ماجد : الحاكم بأمر الله ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٢٨ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٧٨/٨٠ .

(٤) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٨ .

٣٥٦ هـ اذ انه في هذه السنين أمر بحفر الآبار في طريق مصر . وأن يبنى له في كل منزلة قصر ، وقد تم له ذلك [١] . وعلى الرغم من أن المصادر لا تذكر لنا ما هي المنازل أي المراحل التي بنيت فيها القصور ، ولا من هي الشخصية اللامعة التي كلفها المعز بالاضطلاع بتلك المهمة الدقيقة والشاقة ، إلا أن الآثار تأتي فتخبرنا بوضوح وبما لا يحتمل شكاً أنها شخصية تميم بن المعز الشاعر ، فقد نقش اسمه بجلاء فوق الأحجار التأسيسية التي عثر عليها ، وحفظت بمتاحف ليبيا ، ولا سيما المرج ومتحف شحات ، فقد وردت فيها باتفاق شامل ... ، ومما أمر به الأمير تميم بن المعز ... فتميم هو صاحب الأشغال والمكلف بهذه التأسيسات التي تبلغ العشرات ، ومع ذلك فالنصوص تصوره لنا شاعراً خليعاً مخلداً للذات ليس إلا . حتى اضطر المعز إلى ابعاده عن الخلافة وتولية أخيه . [٢]

ولا يزال قصر المعز الذي بناه له ولده تميم بمدينة أجدابية موجوداً في حالة خراب ، ونقلت زخارفه الرائعة إلى متحف شحات قرب البيضاء . وهي عبارة عن أسود مختلفة كانت تزخرف أروقة القصر . [٣] وبعد أن أتم المعز هـذه الاستعدادات ، اختار جوهراً ، [٤] كقائد عام لحملته إلى مصر ، كمحاولة رابعة وأخيرة من غزوات الفاطميين إلى مصر ، ووضع تحت تصرفه ، كل الثروات والتسهيلات ، وأخضع له كل الأمراء والحكام وادارتهم ، وأمرهم

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٣٨ .

(٢) عثمان الكعاك : مسالك القاهرة ، ألفية القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٣٤ .

(٣) عثمان الكعاك : نفس المرجع السابق ، ص ٣٣ .

(٤) عبد القادر الصحراوي : نفس المرجع السابق ، ص ٢٣ كان جوهر قد وصل في حملة عسكرية قوية إلى المحيط الاطلسي في الجهة الغربية من بلاد المغرب ، وحاول أن يؤكد امتداد نفوذ الدولة الفاطمية إلى حدود المحيط نفسه ، بطريقة رمزية وذلك أنه اصطاد من المحيط سمكا وبعثه في أوان مملوءة ماء إلى الخليفة المعز لدين الله بعاصمته المهدية بتونس ، وكان ذلك قبل انتقاله إلى مصر . » .

بأن يمدوه بكل ما يحتاج اليه [1] وأن يمشوا في خدمته وهو راكب حيث كتب إلى سائر عماله يأمرهم ، إذا قدم عليهم جوهر أن يترجلوا مشاة في خدمته ، فهذه الحالة التي أضفاها المعز على قائده تعتبر من أهم العوامل التي ساعدت المعز على فتح مصر . [2] وبالاضافة إلى ذلك كان لضعف الدولة الأخشيدية في الداخل والخارج أثره في تشجيع المعز على فتح مصر ، إذ إن الضعف كان قد بدأ يتطرق إلى الدولة الأخشيدية ، بعد وفاة الأخشيد في سنة ٣٣٤ هـ . فقد استبد كافور [3] بالأمور دون ولدي الأخشيد أبي القاسم أنوجور ٣٣٤ هـ — ٣٤٩ هـ ، وأبي الحسن علي ٣٤٩ — ٣٥٥ هـ ومع ذلك استطاع أن يقضي على الثورات التي قامت في ذلك العهد ، ٣٣٤ — ٣٥٥ هـ كما تمكن من الانتصار على الحمدانيين في الشام ، ولم يكد كافور يستقل بحكم مصر ، وما يليها من البلاد في سنة ٣٥٥ هـ ، حتى أخذ المعز لدين الله يعد العدة لفتح مصر ، وساعده على ذلك ما ساد هذه البلاد من اضطراب بين بيت الأخشيد وفريق الكافورية . [4]

وقد واتت المعز الفرصة ، وذلك بعد أن وردت عليه الأخبار ، بوفاة كافور الأخشيدي ، وأنه قد اشتد الغلاء في مصر ، وحلت بالبلاد الطواعين ، وضربت الفوضى أطنابها في البلاد بعد موت كافور . [5]

---

(١) Abass. Hamdani; op. cit., p. 330.

(٢) حسن ابراهيم حسن : المعز لدين الله الفاطمي ، ص ٨٣ .

(٣) كافور : وهو المكنى بأبي المسك ، كان عبدا حبشيا أسود اشتراه محمد الاخشيد المتغلب على مصر : زمن الراضي العباسي ، اذ انه تملكها قهرا ثم وصل له التقليد من الراضي عن كره ، وكان كافور قد تولى ملك مصر بعد وفاة ابني سيده (ابن غلبون — التذكار فيمن ملك طرابلس — ص ١٦ ، ١٧) .

(٤) حسن ابراهيم حسن : نفس المرجع السابق ص ٧٩ .

— علي ابراهيم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ٣١ .

(٥) ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ١٩٩ .

ولذلك لم يكد المعز لدين الله يعلم بما آلت اليه الأحوال في مصر ، حتى سارع بارسال قائده جوهر إلى مصر سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م ، على رأس جيش كبير ، وكان ببرقة غلام للمعز اسمه أفلح فكتب اليه المعز أن يترجل لجوهر إذا عبر اليه ، وأن يقبل يديه ، غير أن افلح قدم خمسين ألف دينار ذهباً ، على أن يعفى من ترجله لجوهر ، وتقبيل يديه ، غير أن المعز رفض منه . (١)

ولما وصل جوهر الصقلي إلى برقة مشى صاحبها مترجلاً لجوهر . وكان لعمل المعز هذا أثره في احترام الجند وقوادهم لجوهر الصقلي ، وأدى ذلك إلى انتصاره بعد ذلك على مصر . (٢)

وبعد أن استراح جوهر الصقلي في برقة اتجه نحو الاسكندرية ، حيث تمكن من احتلالها دون مقاومة ثم أخضع مصر إلى سيادة الفاطميين ، وقام ببناء مدينة القاهرة ، والجامع الأزهر ، كما أنه أرسل نائبه القائد جعفر بن أفلح لغزو سوريا ونشر السلام والأمن في ربوع البلاد . هذا كما بنى القصر الشرقي الكبير في القاهرة ليدعو المعز فيه وليتخذه مقراً له . (٣)

وبعد أن تم لجوهر كل ذلك استدعى المعز لدين الله الفاطمي ، وكان على المعز قبل أن يتوجه إلى مصر أن يختار حاكماً لبلاد المغرب ، وذلك بعد أن تم اخضاعه . وقد وقع اختياره في أول الأمر على رجل يدعى جعفر بن علي بن حمدون ولكن الأخير لم يوافق على اقتراح المعز بالرقابة المباشرة للمغرب من قبل القاهرة ، ولهذا الاعتبار اختار بولكين بن زيري بن مناد الصنهاجي ، واتفقا على أن يكون الاقليم الليبي أي الأراضي التي خلف طرابلس تحت الرقابة

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص ١٤٨ .

– مؤلف مجهول : شرح لمة من أخبار المعز لدين الله وتسييره عساكره إلى مصر ورقة ٤ « يجعلان المبلغ الذي أراد صاحب برقة ان يفتدي به نفسه مائة ألف دينار » .

(٢) حسن ابراهيم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ٨٣ ، ٨٤ .

(٣) Abass. Hamdani; op. cit., p. 331.

المباشرة للقاهرة ، وكان السبب في إقصائه عن طرابلس وبرقة هو ألا يكون بيده طريق مصر والمشرق [١] . وقد أثبت التاريخ المتأخر لهذه المنطقة أن قرار الفاطميين هذا غير عملي وصعب التنفيذ . [٢]

وقد رحل المعز من المنصورية ، واستقر لمدة أربعة شهور في سردينيا حيث لمّ شمل أسرته وجمع كنوزه ووحدات جيشه الذي كان عليهم أن يرافقوه ، ونظم أمور ادارة شمال أفريقيا وأعطى تعليماته إلى بولكين . [٣]

وكانت نصيحة الخليفة إلى بولكين ، إن نسيت ما وصيتك به ، فلا تنس ثلاثة أشياء ، اياك أن ترفع الجباية على أهل البادية ، ولا ترفع السيف عن البربر ، ولا تولي أحداً من إخوتك وبني عمك فانهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك . [٤]

ثم رحل المعز من قابس يوم الأربعاء ربيع الأول سنة ٣٦٢ هـ ، حتى وصل إلى طرابلس يوم الأربعاء الرابع والعشرين من الشهر ، ورحل عنها يوم السبت لثلاث عشرة بقين من ربيع الثاني ، فوصل إلى سرت في الرابع من جمادى الأولى ثم رحل عنها ونزل بقصره الذي بني له بمدينة أجدابية . [٥] وفي أثناء مسيرته من طرابلس إلى برقة ، هربت مجموعة من جيشه واعتصموا بجبل نفوسة ، وطاردهم المعز ولكنه لم يتمكن منهم . [٦]

ولا بد أن يكون المعز قد استراح بقصره بأجدابية ، الذي بناه ولده تميم وزخرفه بالنقوش والأسود المنحوتة ، مما نقلت آثاره إلى متحف شحات ، ولا

---

(١) عثمان الكعاك : نفس المرجع السابق ، ص ١٣ .
(٢) Ibid, p. 331-332.
(٣) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ، ص ٦٥ .
(٤) حسن ابراهيم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ .
(٥) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، ص ٦٥ .
(٦) ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ١٠٣ .

زال القصر موجوداً يشهد بعظمة الفاطميين.[1] هذا ويبدو أن المعز قد استقبل في مدينة أجدابية، استقبالاً رائعاً، حتى إنه وصل درجة الاسراف والتبذير حتى ان المعز خشي أن يقال عنه أنه هو سبب هذا التبذير، فكتب إلى عبد الله ابن يخلف فيما بعد يقول له .. وصعب على الأمير فما كان من فعل مولانا عليه السلام بأجدابية وأخشى أني متى وصلت يقول من يحسدنا على فضل مولانا عليه السلام اني انما تعرضت بوصولي، هذا ما كان من فعله ونحو هذا القول والكلام، فرد عليه الأمير عبد الله بن يخلف يقول له « لا تأخذ على نفسك في هذا الباب في أمر العمارية شيئاً فليس فيه شيء نأخذه ولا يؤخذ عليك، كما قلت، فخروجنا في أجدابية ليس ان كلفتناه، فتأخذ فيه على نفسك أمراً بل نحن فعلناه من ذات أنفسنا رغبة في افتقادك ومشاهدة حالك ».[2]

ثم ارتحل ركب المعز حتى وصل إلى مليتية[3] بالقرب من برقة فقال لهم المعز نحن ندخل برقة، والواجب علينا أن نجمل عسكرنا بالعدة والسلاح الشاكي والزي الحسن، حتى يكون دخولنا تاماً بهياً، فكتب إلى الأمير عبد الله بن يخلف بانفاذ شيء من السلاح والعدة، زيادة على ما عنده، فاستجاب عبد الله ابن يخلف إلى ذلك وكتب اليه يقول « ... ان أمري نفذ إلى نصير الخازن ببعثه الجمال وصدرا كثيراً من السلاح لا حد له وهو يصل اليك انشاء الله، فاعمل على الوصول إلى الحضرة المباركة، أي يوم يهيأ لك الوصول فيه. ويكون وصولك إلى باب القصر المبارك في عماريتك على رسم ما فعلته في أجدابية بأحسن زي وأهيأه.[4]

---

(١) عثمان الكعاك: نفس المرجع السابق، ص ٣٣.

(٢) الجوذري: سيرة جوذر، ص ١٤٥، ١٤٦.

(٣) ويرجح الدكتور مراجع الغناى أن مليتية هي قرية المليطانية، حاليا فكلمة المليطانية أقرب الكلمات إلى مليتية، وانما حرفت الكلمة وقلبت التاء طاء على عادة العرب (مدينة برقة، ص١٢).

(٤) الجوذري: سيرة جوذر، ص ١٤٦.

وبالفعل وصل نصير بالعدة ، إليه إلى الموضع المذكور ، وفرق ذلك السلاح على الرجال .

وفي أول رجب ٣٦٢ كدّ جوهر الناس للقاء المعز فتأهبوا لذلك ، وخرج أبو طاهر القاضي وسائر الشهود والفقهاء المبرزين إلى الجيزة – للقاء المعز ، فأقاموا بها أربعين يوماً حتى ورد الكتاب بوصول المعز إلى برقة .[١] حيث نزل بقصره المعد له ،وفي برقة حيث اشتد المرض بجوذر كاتب المعز ، فحزن المعز لذلك وقال : راح هنا ميسور الكبير ، أقول وأستغفر الله : انه ما كان للقائم بأمر الله ذنب عند الله إلا فعل ميسور : كان أخذ كل سفينة غصباً ويسفك الدماء ، ولما مات أصيبت له ثمانية آلاف دينار . وهذا جوذر المسكين ، والله انا لنحصي ما وصل منه إلى آبائنا الطاهرين من قبل والينا من بعدهم تقرباً وعملاً لوجه الله فيكون ذلك فوق المائة ألف دينار بلا إقطاع ولا ضياع كثيرة . وعندما توفي حمل في الليل من مدينة برقة إلى القصر الذي كان به المعز ، ويعرف بمياسر .[٢]

هذا كما فقد المعز في مدينة برقة شاعره ابن هانىء الأندلسي وقد غضب عليه كثيراً وقد عبر عن ذلك بقوله ، هذا الرجل كنا نرجو ان نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك[٣] ، ثم واصل المعز سيره إلى مصر . وذلك بعد أن

---

(١) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص ١٨٥ .

(٢) الجوذري : سيرة جوذر ، ص ١٤٧ .

(٣) ويذكر ابن خلكان : في كتابه وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٥ :

« ان المعز توجه إلى الديار المصرية فشيعه ابن هانىء ورجع إلى المغرب لأخذ عياله ، والالتحاق به ، فتجهز وتبعه فلما وصل إلى برقة ، أضافه شخص من أهلها فأقام عنده أياما في مجلس الانس ، فيقال أنهم عربدوا عليه فقتلوه . وقيل خرج من تلك الدار وهو سكران فنام في الطريق وأصبح ميتاً ولم يعرف سبب موته . وقيل أنه وجد في سانية (مزرعة) من سواني برقة مخنوقاً بتكة سراويله ، وكان ذلك في بكرة يوم الاربعاء لسبع ليال بقين من رجب =

كان قد عين بولكين بن زيري على إفريقية ، وعبد الله بن يخلف الكتامي على طرابلس وسرت وبرقة [1] .

سنة ٣٦٢ هـ ، وعمره ست وثلاثون سنة ، وقيل اثنتان وأربعون ، وهكذا قيده صاحب كتاب أخبار القيروان وأشار إلى أنه كان في صحبة المعز ، وهو مخالف لما ذكرته ، أولا من تشيعه للمعز ورجوعه لأخذ عياله ، ولما بلغ المعز وفاته وهو بمصر تأسف عليه كثيراً وقال : هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك .

(١) ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ١٠٣ .

الباب الرابع

أهم المظاهر الحضارية في برقة وطرابلس من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر

* عناصر السكان .
* الحياة الاقتصادية .
* الدراسات الإسلامية واللغوية والأدبية .

أهم المظاهر الحضارية في برقة وطرابلس من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر

عناصر السكان

لقد تعاقبت على هذا الاقليم من الشمال الافريقي شعوب مختلفة ودول كثيرة وأقدم هذه الأمم البربر السكان الأصليون في المناطق الداخلية والساحلية ، وقد ظل البربر ولا زالوا يؤلفون عنصراً أساسياً من سكان هذا الاقليم أمسا الفينيقيون والوندال والروم وغيرهم من الشعوب التي وفدت على شمال افريقية فلم يبق منهم أثناء الفتح العربي الإسلامي إلا أعداد قليلة ، جلت بعد استقرار العرب الفاتحين في هذه المناطق .

وإلى جانب العناصر السابقة كانت توجد أقلية ضئيلة من اليهود ، ينتشرون في المدن الساحلية ، وبعض المدن في الداخل ، وقد سبق أن اتضح لنا من خلال دراستنا للباب الأول ، موقف كل من البربر والروم من الفتح العربي الإسلامي ، وقد آن لنا أن نتناول كل عنصر من هذه العناصر على حدة :

البربر وعاداتهم وتقاليدهم

وهم سكان المغرب الأصليون ، الذين اختلف المؤرخون في اثبات وطنهم

الأصلي ، فمنهم من يرى أنهم وفدوا من أوربا ، ومنهم من يرى أنهم قدموا من آسيا في عصر ما قبل التاريخ .[1]

غير أن أقدم المصادر التاريخية تشير إلى أنهم كانوا يسكنون فلسطين وأن الذي أخرجهم من فلسطين بعض ملوك الفرس .[2] وأن هجرتهم إلى الشمال الافريقي تمت على مرحلتين ، وذلك أن بني حام تنازعوا مع بني سام ، فانهزم بنو حام أمامهم إلى المغرب ، وتناسلوا به ، واتصلت شعوبهم من أرض مصر إلى آخر المغرب إلى تخوم السودان ، وبقي أكثر أولاد حام في بلاد فلسطين من أرض الشام إلى زمن داود عليه السلام ، وكان ملكهم جالوت ، فلما قتله داود وأتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما شاء أمر بإجلائهم من بلاد كنعان وفلسطين إلى أرض المغرب فاتجهوا إلى لوبية ومراقية وهما كورتان من كور مصر الغربية فتفرقوا هناك[3] ويؤكد ابن خلدون هذا الرأي فيما يختص بأصل البربر فيذكر بأن الحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام ابن نوح ، وان اسم أبيهم مازيغ .[4]

غير أن بعض علماء الأنثروبولوجيا – علم دراسة الانسان – أمثال سيرجي وسليجمان ، يعتقدون في وجود ثمة قرابة جنسية بين البربر والساميين ، معتمدين في ذلك على تقارب لغة البربر الدارجة مع اللغات السامية ، وعلى وجود التشابه في الصفات الجسمانية .[5]

غير أن ذلك التقارب والتشابه بين البربرية وبعض اللغات السامية ، مرجعه التشابه بين المجموعتين الحامية والسامية ، فقد ثبت بالمقارنة وجود تقارب بينهما

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٢) عبد المنعم السيد عبد العال : لهجة شمال المغرب ، طبعة ، ١٣٨٨ ، جـ ٢ ، ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١١٦ .
– السلاوي : الاستقصا ، جـ ١ ، ص ٥٣ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، المجلد السادس ، ص ١٩١ ، ١٩٢ .

(٥) السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٣٤ .

في بعض الخصائص الصوتية ، وفي خاصية الأصل الثنائي أو الثلاثي وفي نظام الضمائر وفي بعض طرق الاشتقاق . [1] بل ان البربرية تشابه من حيث التركيب لغة قدماء المصريين ، والنوبة والحبشة والصومال والهوصا . [2]

ولهذا فان الليبيين من الناحية اللغوية ينتمون إلى الحاميين ، كما أنهم من الناحية السلالية يشبهون جيرانهم المصريين ، وغيرهم من الشعوب التابعة للفرع الشرقي من الحاميين . [3] ونحن نعرف أن اسم الحاميين يشمل قدماء المصريين وما قبل العرب والليبيين والبربر في شمال إفريقية وبعض القبائل الحبشية والصومالية [4] ولهذا فنحن نرجح رأي ابن خلدون الذي سبق لنا ذكره .

وينقسم البربر من الوجهة الاجتماعية إلى مجموعتين مختلفتين : البربر الحضر ويسكنون السهول الخصبة والمدن أو الهضاب المزروعة ، والبربر الرحل ويعيشون على الرعي . وعندما فتح العرب بلاد المغرب قسموا البربر إلى جذمين عظيمين : برنس وهو الذي ينتسب إليـه البربر البرانس أي البربر الحضر ، ومادغينس الابتر ، وهو الذي ينتسب إليه البربر البتّر أي البربر الرحل . [5]

أما بالنسبة للبربر البرانس فيجمعها سبعة أجذام : هي ازداجة ، ومصمودة ، وأورية ، وعجيسة ، وكتامة وصنهاجة وأوريغة ، ويضيف البعض اليهم لمطه وهكسورة وكزولة ، أما البربر البتّر وهم بنو مادغيس الأبتّر فيجمعهم أربعة أجذام : أوداسة ، ونفوسة ، وضرية ، وبنولو الأكبر . [6]

وقد انتشر البربر في المنطقة الممتدة من مصر — وفي برقة وطرابلس — حتى

---

(١) عبد المنعم عبد العال : لهجة شمال المغرب ، ص ٣٥ .

(٢) مبارك الميلي : تاريخ الجزائر القديم والحديث المطبعة الجزائرية ، قسنطينة ، ج ١ ، ص ٥١ .

(٣) يسرى الجوهري : السلالات البشرية ، ص ٣٢٩ . الطبعة الاولى المعارف ١٩٦٦ .

(٤) عبد المنعم سيد عبد العال : نفس المرجع السابق ص ٣٥ .

(٥) السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٥ .

(٦) ابن خلدون : العبر ، المجلد السادس ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ .

المغرب الأقصى . ويذكر أن الرمادة [1] هي أول منازل البربر ، وأنه يسكنها قوم من مزاتة وغيرهم من العجم القدم ، وأخلاط من الناس كما أن قبيلة ماصلة من لواتة كانت تسكن المنطقة الواقعة بين عقبة السلوم وجب الرمل ، وهي القصر الأبيض [2] ومغاير رقيم . وجب الرمل . [3] وإلى جانب البربر كان يوجد بها أخلاط من الناس . وبعد جب الرمل إلى الغرب يقع وادي مخيل [4] وسكانه أخلاط من الناس وأكثرهم من البربر من ماصلة وزنارة ومصعوبة ومراوة وفسطيطة [5] .

أما المنطقة الممتدة من وادي مخيل إلى مدينة برقة — وهي المرج الحالية —

---

(١) الرمادة وهي بلدة لطيفة بين برقة والاسكندرية ، قريبة من البحر ، لها سور ومسجد جامع . وبساتين منها أنواع الثمار وهي قريبة من برقة (ياقوت معجم البلدان مجلد ٢ ، ص ٨١٣) .

(٢) قال البكري : قصرخرب ، وهو أدنى المراحل إلى خرائب أبي حليمة على ظهر العقبة ، ويقربه جب خرب قال : والقصر الابيض آخر حد لواتة وهو في الناحية الشرقية من برقة قبيل السلوم بقليل إلى الجهة الغربية (الزاوي : معجم البلدان الليبية ، هامش ، ١ ، ص ٢٦٧) .

(٣) وهي من ديار البربر من ماصلة بن لواتة ، وتقع إلى الغرب من العقبة ، بين القصر الأبيض ووادي مخيل (اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٢) .

(٤) وادي مخيل — بالفتح ثم بالكسر — وهو حصن قرب برقة بالمغرب .. بينه وبين أجدابية خمس مراحل وكذلك بينه وبين انطابلس مدينة برقة (ياقوت معجم البلدان ، ٤/٤٤٤) ويذكر الزاوي : في معجم البلدان الليبية ص ٣٠٢ ، أنه قصر قديم في الجنوب بين الجبل الأخضر وشرقي بنغازي بنحو ٢٣٢ ك . م وهو من أكبر القصور التي تهدمت وبقيت آثارها ، وبرقة مسجد تهدم وبقيت مغارته ... مر به العباسي سنة ١٠٧٢ هـ وهو على هذه الصفة ثم قال : ووجدنا به مواجل كثيرة يتجمع فيها الماء وجابيتين متلاصقتين طول كل واحدة منهما نحو ذراع في مثلها ، وقد تعرضنا لأفواه الشعاب وجمعنا من الماء الكثير .

(٥) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٢ .

فمسافة ثلاث مراحل ، وهي أيضاً من ديار البربر من مرادة ، ومفرطة ومصعوبة وزكودة وغيرهم من بطون لواتة . [1] وكانت لواتة قد سارعت بالخضوع للعرب ، فصالحهم عمرو بن العاص على الجزية ومقدارها ثلاثة عشر ألف دينار ، وكانوا يحملونها بأنفسهم . [2]

أما مدينة برقة وأرباضها فكان يسكنها أخلاط من الناس أكثرهم من الجند القدم ، أي الجند العرب الفاتحين الذين استقروا في المغرب بعد الفتح ، وصار لهم أولاد وأعقاب [3] ، ومعنى ذلك أن العنصر العربي كان غالباً عليها . [4] وكانت تسكن قرى الجبل الأخضر الواقع إلى الغرب من برقة بطون زكودة ومفرطة وزنارة من بربر لواتة .

ولبرقة أقاليم كثيرة تسكنها هذه البطون من البربر ، ومن أهم مدن أقليم برقة برنيق ، وكان أهلها من أبناء الروم القدم الذين كانوا أهلها قديماً ، وقوم من البربر من تحلالة وسوة ، ومغاغة ووجدانة وواهلة [5] ، التي قدمت إلى البلاد في أواخر القرن السابع قبل الميلاد وتركوا بها أعقابهم الى زمن اليعقوبي [6]

---

(١) نفس المصدر ، ص ٣٤٣ .

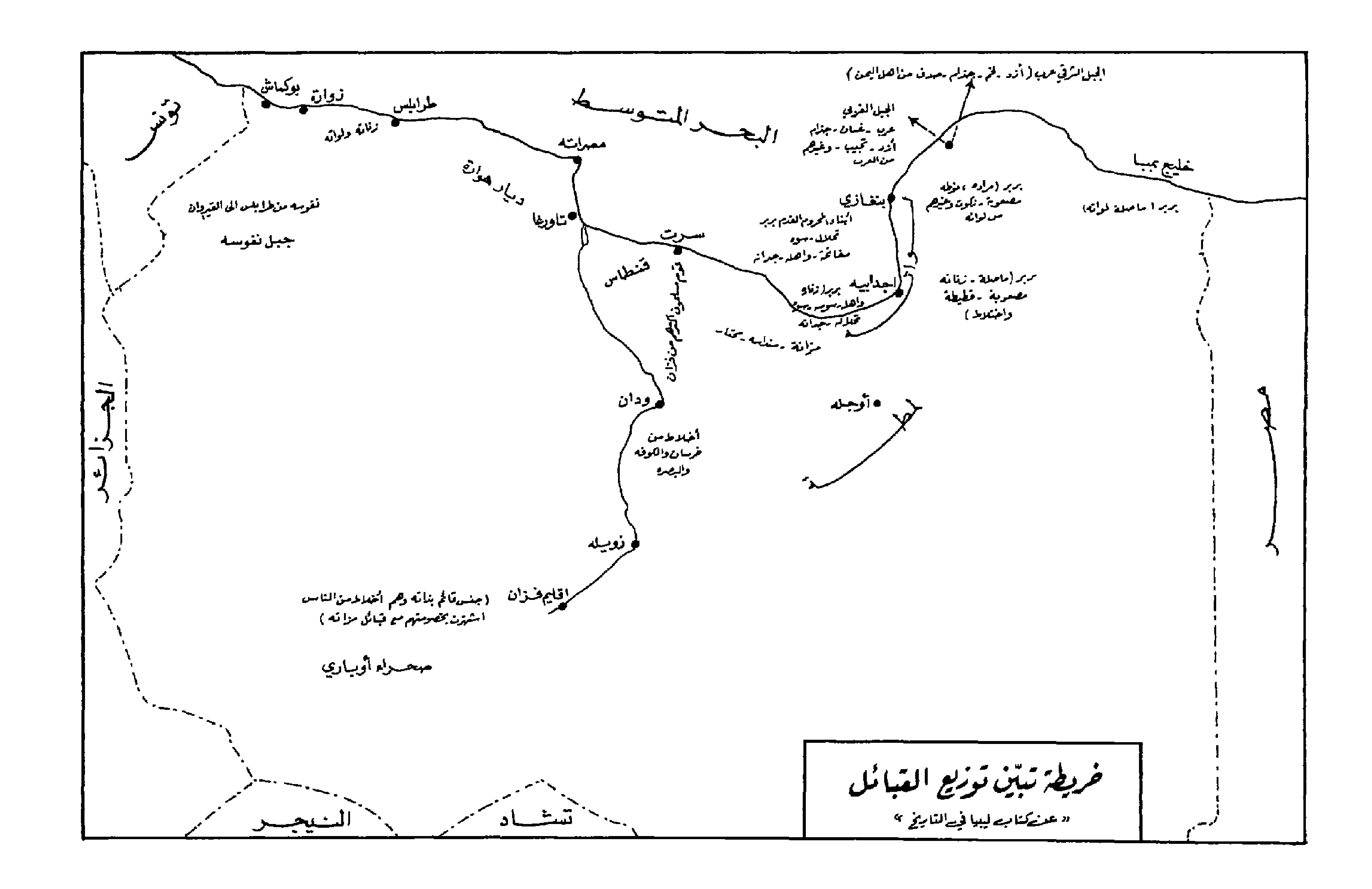
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١١٦ .
– البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٢٦ .

(٣) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٣ .

(٤) البرغوثي : نفس المرجع السابق ، ص ٢٦٧ ، ويرجح عبد القادر طليمات سكان ليبيا عند اليعقوبي ، ص ٢٢٩ أن الجند القدم هم الفرق البيزنطية التي استقرت في البلاد وتوارثوا الجندية ابنا عن أب ، ولكننا نرى أن الجند القدم هم الجند العرب الفاتحين الذين استقروا في المغرب بعد الفتح .

(٥) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٣ .

(٦) عبد القادر طليمات : سكان ليبيا عند اليعقوبي ، المؤتمر التاريخي مارس ٦٨ ليبيا في التاريخ ، ص ٢٣٩ .



خريطة تبيّن توزيع القبائل
« عن كتاب ليبيا في التاريخ »
البحر المتوسط
تونس
الجزائر
النيجر
تشاد
مصر
خليج بمبا
بوكماش
زوارة
طرابلس
زناتة ولواته
مصراته
ديار هوارة
تاورغا
نفوسه من طرابلس الى القيروان
جبل نفوسه
سرت
قنطاس
بنغازي
اجدابيه
أوجله
ودان
أخلاط من
خراسان والكوفه
والبصره
زويله
اقليم فزان
صحراء أوباري
الجبل الغربي
الجبل الشرقي عرب

ومدينة أجدابية وهي آخر حد لواتة ، كان أهلها بربر زنارة وواهلة ومسوسة ، وسوة ، وتحلالة وغيرهم ويذكر أن قبيلة وجدانة ، هي القبيلة الغالبة على مدينة أجدابية . (١)

وعلى هذا ان منازل لواتة كانت تمتد على طول المنطقة الممتدة ما بين الرمادة وأجدابية ، وبين ديار لواتة كانت هناك جيوب من قبائل مزاتة التي تمتد ديارها بعد أجدابية الى تاورغة (٢) على الساحل وودان في الداخل مع وجود جيوب لقبائل لواتة كما كان الحال بالنسبة لتاورغة على سبيل المثال (٣) .

أما من مدينة أجدابية الى مدينة سرت عن طريق الساحل ، فخمس مراحل وهي من سرت إلى قصر العبادي ٣٤ ميلاً ، ومن قصر العبادي إلى اليهودية ٣٤ ميلاً الى قصر العطش ٣٤ ميلاً ، الى منهوشة ٣ مراحل الى بئر الغنم نحو من ١٣ ميلاً وهي آخر السبخة المنسوبة إلى منهوشة ... ومنها إلى الفاروج مرحلة وهي من الأميال ٣٠ ميلاً . (٤)

والمرحلة الأولى من هذه المراحل مما يلي أجدابية من ديار لواتة ومن ديار لواتة إلى الفاروج سكانها من مزاتة ، وهم الغالبون على هذه المنطقة ، أما سكان المراحل الأخرى ، وهي من الفاروج إلى سرت ، فانهم من البربر من منداسة ، ومحسنا ، وقنطاس ، وغيرهم ، وآخر منازلهم على مرحلتين من مدينة سرت بموضع يقال له تاورغة وهو آخر حد برقة . (٥)

---

(١) اليعقوبي : كتاب البلدان ٣٤٤ .

(٢) وهي بلد جنوبي مصراتة بنحو ٤٠ ك . م . وكانت قبل الفتح الإسلامي آخر ديار هوارة ، جنوبا من الناحية الشرقية ، ومنهما تبتدىء ديار مزاتة وتمتد إلى الجنوب (الزاوي : معجم البلدان الليبية ، الطبعة الاولى ، طرابلس ١٩٦٨ ، ص ٧٩ .

(٣) البرغوثي : نفس المرجع السابق ، ص ٢٦٨ .

(٤) الادريسي : وصف افريقية الشمالية ، الجزائر ١٩٥٧/١٢٧٦ ، ص ١٠١ .

(٥) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٤ .

ومن مدينة سرت إلى مدينة ودان فيما يلي القبلة ، أي الى الجنوب من سرت ، فخمس مراحل .[1] ويسكنها قوم مسلمون يدعون أنهم عرب من اليمن ، وأكثرهم من مزاتة وهم الغالبون على هذه المنطقة،وفي رأي اليعقوبي أنهم لا يفقهون ولا لهم دين .[2] وربما يكون اليعقوبي متحاملا عليهم نظراً لما عرف عنه من تشيع .[3] أما زويلة فأكثر سكانها من زواتة ، وكلهم يحجون البيت الحرام .

وكان يسكن المنطقة ما بين زويلة وطريق أوجلة وأجدابية ، قوم يقال لهم لطة ، وهم في رأي اليعقوبي أشبه شيء بالبربر .[4] وقد تفيد هذه العبارة أن لطة ليست من البربر الخلص أو الصرحاء ، والراجح انهم بربر اختلطوا بالعرب بعد الفتح والمعروف أن لطة نزلت فيما بعد ناحية قابس وشط الجريد وهم أصحاب الدرق اللمطية البيض .[5]

أما سكان فزان فهم أخلاط من الناس يعرفون بجنس فزان ، ولهم رئيس يطيعونه وبينهم وبين مزاتة حرب لاقح أبداً .[6]

وتنتهي ديار مزاتة في تاورغة ، حيث تبدأ ديار هوارة التي تزعم أنها من البربر القدم ، وأن مزاتة ولواتة كانوا منهم ثم انقطعوا عنهم وفارقوا ديارهم ، وصاروا إلى برقة . كما وتزعم هوارة أنها قوم من اليمن جهلوا انسابهم .

---

(١) يذكر الادريسي ان من مدينة سرت إلى ودان ٥ مراحل (وصف افريقية الشمالية ص ٩٩) وكذلك (اليعقوبي . كتاب البلدان ، ص ٣٤٤). الا انهما لا يذكران ما هي هذه المراحل الخمس .

(٢) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٤ .

(٣) عبد القادر طليمات ، نفس المرجع السابق ، ص ٢٣٠ .

(٤) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٥ .

(٥) عبد القادر طليمات ، نفس المرجع السابق ، ص ٢٣٠ .

(٦) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

وبطون هوارة يتناسبون كما تتناسب العرب فمنهم بنو اللهان ، وميلة وورسطفة ، فبطون اللهان بنو درمنا وبنو مزبان ، وبنو ورفلة وبنو مزاتة ، وتمتد ديار هوارة من سرت في الشرق إلى طرابلس في الغرب ومسلاتة في الجنوب . (١)

ومما سبق نجد أن اليعقوبي يورد زعمين متناقضين لاصل هوارة ، ولعل سبب هذا التناقض هو صدى من أصداء الاندماج التام المبني على الحلف طبقاً للنظم القبلية ، بين هوارة والقبائل العربية الحميرية الداخلة إلى البلاد عند الفتح الإسلامي . (٢)

أما سكان طرابلس فكانوا عبارة عن أخلاط من الناس، وبالقرب منطرابلس جبل نفوسة ، وأهله قوم أعجم الالسن ، أباضية كلهم ، لهم رئيس في زمن اليعقوبي يقال له الياس لا يخرجون عن أمره وديارهم متصلة من حد أطرابلس مما يلي القبلة إلى قريب من القيروان . (٣)

ويسكن المنطقة ما بين طرابلس وقابس قوم من البربر من زناتة ، ولواتة والأفارق الأولى . (٤) وهؤلاء الأفارقة يذكرهم ابن خرداذبة المعاصر لليعقوبي بأنهم الأفارق الأعجام . (٥) والراجح أن يكون هؤلاء الأفارقة من الرومان الأول الذين نزلوا البلاد في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد واستوطنوها وتركوا سلالتهم بها . (٦)

ومما سبق نجد أن البربر خلال القرن الثالث الهجري ، منتشرون في المنطقة ما بين الرمادة في الشرق وقابس في الغرب ، على الترتيب الآتي :

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٣٤٦ .
(٢) طليمات : نفس المرجع السابق ، ص ٢٢١ .
(٣) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٦ .
(٤) نفس المصدر ، ص ٣٤١ .
(٥) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، طبعة ليدن ١٨٨٩ ، ص ٨٦ .
(٦) طليمات : نفس المرجع السابق ، ص ٢٢١ .

لواتة ، وكانت تسكن المنطقة الممتدة من الرمادة في الشرق وحتّى إلى ما بعد أجدابية بمرحلة واحدة ، وهذا يعني أن مدن برقة مثل طبرق ودرنة ، والمدن الأخرى ، كانت تسكنها هذه القبيلة بينما سكنت مزاتة المنطقة التي يحددها اليعقوبي فيما بين قصر العطش وسرت ، وتمتد منازلها حتّى تاورغة . أما هوارة فتبتدىء أرضها من منطقة سرت في الشرق وحتّى مدينة طرابلس في الغرب ومسلاتة في الجنوب بينما سكنت نفوسة المنطقة الواقعة إلى الجنوب من طرابلس وحتّى قريباً من القيروان وتقع منازل زناتة إلى الغرب من طرابلس وتمتد حتّى قابس إلى جانب بعض اناس من لواتة .

ولما كانت عادة القبائل عامة التنقل المستمر ، فإنه ابتداء من النصف الأول من القرن الرابع الهجري وحتّى أواخر القرن الخامس الهجري ، نجد أن منازل هذه القبائل تختلف قليلاً عن منازلها في القرن الثالث الهجري ، وذلك لحركة هذه القبائل المستمرة . ولهذا فإن الكرخي المتوفى في النصف الأول من القرن الرابع الهجري ، وابن حوقل المتوفى سنة ٣٨٠ هـ يذكران أن طوائف البربر كانت تسكن البادية المحيطة ببرقة من جميع الجهات . [1] وأنه كان يطيف بأجدابية من أحياء البربر خلق كثير ، وأن عدد البربر في سرت أوفر وأغزر منه في أي مكان مما جاورها ، كما كان للبربر حاضرة بنفس قصبة سرت وأنه بينهم خلاف على مر الأوقات وحروب ، وربما ثارت في بعض الاحايين[2] كما يذكر ابن حوقل ان البربر المقيمين في طرابلس من هوارة . [3] أما الجبل الغربي – جبل نفوسة – فيسكنه الخوارج . كما ان المدن الغربية من جبل نفوسة

---

(١) الاصطخري : المسالك والممالك ، طبعة مصر ١٣٨١/١٩٦١ ، ص ٣٣ .
– ابن حوقل : صورة الأرض ، طبعة دار الحياة ، بيروت ، ص ٦٩ .
(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٠ ، ٧١ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٧١ .

وهي نفزاوة ، ولاوجة ، وبادس ، وبسكرة ، فأهلها أيضاً من الخوارج ، والسلطان على أهل هذه المدن حكم وأمره فيهم نافذ وكذلك فيمن كان منهم . [١]

ويذكر البكرى المتوفى في القرن الخامس أنه غربي خرايب القوم .[٢] قصر ابي معد ، وبه قبائل من البربر تقدر بنحو ألف بيت من فاضلة وبني عقيدان . [٣] وتسكن تحت العقبة الكبرى [٤] إلى الشرق من مدينة برقة قبيلة مزاتة . [٥] هذا كما كانت تسكن قبائل من البربر تزيد عن عشرين الفاً بين راجل وفارس حول مدينة لبدة . [٦] وهم الغالبون عليها ، وكانوا في صراع دائم مع قوم من العرب يقدرون بنحو ألف فارس يسكنون هذه المدينة . وبالإضافة إلى ذلك كان يوجد بالقرب من نفوسة قبيلة بني زمور ولهم حصن يسمى بترقت . [٧] وبعده قبيلة بني تدرميت ولها ثلاثة حصون ، وفي وسط هذه القبائل مدينة كبيرة تسمى جادو لها أسواق ويسكنها يهود كثير . [٨] كما

---

(١) نفس المصدر ، ص ٩٣ .

(٢) وهي على بعد ٢٩٦ ميلا إلى الشرق من برقة (ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٨٤ ، ٨٥) .

(٣) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٤ .

(٤) وهي على ساحل البحر المالح صعبة المسلك حزنة خشنة مخوفة ، فاذا علاها صار إلى منزل يعرف بالقصر الأبيض (اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣٤٢) .. وهي على بعد ٢٧٦ ميلا إلى الشرق من برقة (ابن خرداذبة : المسالك ص ٨٤ ، ٨٥) .

(٥) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٨ .

(٦) تقع شرقي مدينة طرابلس بنحو ١٢٤ ك . م . وقد بنيت مدينة الخمس على جزء منها (الزاوي معجم البلدان الليبية ، ص ٢٩٥) .

(٧) حصن كان لبني زمور في جبل نفوسة بقرب جادو (الزاوي : نفس المرجع السابق ص ٨٤) .

(٨) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٩ ويذكر ياقوت أن عدد العرب الذين نحو لبدة حوالي مائة ألف ما بين فارس وراجل ، معجم البلدان . ج ٤ ، ص ٣٤٥ .

كان يسكن بنو قلدين ومزاتة في بلدة تدعى تامرما . [1]

أما مدينة زلهى « زلة » فكانت واسعة كبيرة وبها جامع وتسكنها قبائل مزاتة ، هذا وكانت ديار هوارة تمتد من طرابلس نحو الجنوب إلى ودان في قياطين وبيوت شعر . [2] أما أهل سنترية (سيوة) وهي على بعد عشر مراحل من أوجلة فكانوا من البربر ، هذا بالإضافة إلى بعض قبائل لواتة التي كانت تنتشر في بعض واحات منطقة الواح الداخل . [3]

وهكذا نجد أن البربر قد امتدوا وانتشروا من مصر حتى المغرب الاقصى وبخاصة في ليبيا ، وعندما انتشر الإسلام في هذه المنطقة انتشرت اللغة والعادات العربية وقد وجدت هذه العادات والتقاليد العربية قبولاً حسناً وإعجاباً لدى البربر إلى حد أن كثيراً من القبائل البربرية بدأت تراجع انسابها وتصلها بأصول عربية قديمة ، فقد انتسبت لواتة إلى قيس عيلان والى لخم ، وادعت هوارة وأهل ودان أنهم ينحدرون من أصول يمنية . [4]

ولقد أجمع المؤرخون على أن عادات البربر وتقاليدهم لم تتغير كثيراً طيلة القرون الماضية . [5] فكانت نواة المجتمع البربري هي العائلة الملتفة حول

---

(١) البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص ١٠ ، وبلده تقع في الجنوب من جادو على مسيرة عشرة أيام وتبعد عن مدينة سباب بمسيرة يومين .

(٢) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٢ ، وزلة واحة من واحات الجفرة : في الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس ، جاءت في كتاب (المغرب باسم زلهى حيث قال وبين زويلة ومدينة زلهى ثمانية أيام وكانت قبل الفتح الإسلامي تسكنها قبيلة مزاتة البربرية وأكثر حاصلاتها البلح ، ومزروعاتها قليلة وتأتيها القوافل من سرت وغيرها محملة بالشعير والقمح ليستبدلوا به البلح (الزاوي : معجم البلدان الليبية ، ص ١٦٩) .

(٣) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ١٤ ، ١٥ .

(٤) البرغوثي : نفس المرجع السابق ، ص ٣٧٣ .
– عبد القادر طليمات : نفس المرجع السابق ، ص ٢٣٣ .

(٥) أحمد صقر : مدنية المغرب ، تونس ١٩٥٩ ، ج ١ ، ص ٥٧ .

الرئيس وهو الاب ذو السلطة المطلقة . والنفوذ الواسع . والعائلة لم تكن تدل على الأسرة مثلما نفهمه ونتصوره اليوم، بل كانت العائلة البربرية تدل على الآل والعشيرة أي جملة الاشخاص الذين هم من نسل جد واحد ، ومن سلالة أصل واحد وكل من ينضم إلى العائلة سواء بالزواج والمصاهرة ، أو بالتبني ، جميعهم يخضعون لسلطة رئيس واحد . [1] وعند وفاة رب العائلة فإن السلطة لا تنتقل إلى أكبر ابنائه بل إلى الكبير في العائلة من الذكور . [2]

وهكذا نجد ان العائلة عند البربر هي النواة الأولى للمجتمع البربري ولكن نتيجة لمقتضيات وضروريات الحياة البدوية ، والشعور بالحاجة إلى السلام ، والأمن والطمأنينة عمد البربر إلى تكوين كتل بشرية أكبر وأوسع من العائلة لتكون هذه الجماعات في مأمن من كل شر ومن كل عدوان . وهذه الكتل البشرية هي القبائل ، والخلايا التي تتكون منها القبيلة هي العائلات ، ويكون على رأس هذه القبيلة الكبراء من المشائخ . [3]

أما مساكن البربر ، فكانت تختلف من مكان إلى آخر ، وذلك حسب نوع حياتهم فمنهم الحضر الذين يسكنون القرى ومنهم الرحل الذين يسكنون الخيام . [4] وكانت هذه المساكن في مجموعها عبارة عن بيوت من الحجارة

---

(١) محمد علي دبوز : نفس المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٥ .
ــ أحمد صقر ، نفس المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٦٤ .

(٢) محمد علي دبوز : المغرب الكبير ، ج ١ ، ص ٧٥ ، غير أن النظام الموجود عند الطوارق الملثمين ليس هو نظام الابوة ، مثلما كان ، وما زال موجودا عند البربر ، بل هو نظام الامومة فالام عندهم التي تعطي اسمها لأولادها ، وهي التي تعود اليها سلطة المنزل ، ولا يرث الاولاد من أبيهم ، بل يرثون من خالهم ولذلك تقول الأغنية المتعلقة بالطوارق « أنا الطارقي ابن الطارقية» ولم تقل ابن الطارقي.(أحمد صقر نفس المرجع السابق،ج١ ص ١٦٥)

(٣) نفس المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٤) محمد علي دبوز : نفس المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤١ .

والطين ومن الخصاص والشجر ومن الاشعار ، والاوبار .[1] وكانت ديارهم في قراهم بسيطة يبنونها على حسب الطبيعة فأهل الجبل حيث تتراكم الثلوج وتتجمع الامطار كانوا يبنونها بالطوب ويسقفونها بالطين بينما كان أهل الجنوب حيث الجفاف في الجو والقلة في المطر يبنون بيوتهم بالطوب ويسقفونها بالخشب والاشجار وغيرها من ضروب النبات ومنهم من كان يتخذ لسكناه خصا من فروع الاشجار . أما الرحل فكانت مساكنهم عبارة عن خيام من الشعر والوبر حيث كانوا ينتجعون بمواشيهم مواضع الكلأ .[2]

أما عن مأكلهم ، فإنهم كانوا يأكلون الحلزون – ويسمى باللغة البربرية « الببوش » غير أن الطعام المفضل لديهم هو « الكسكسي » ولبن النعاج ولحم الصيد ، والعسل .[3]

وكانت أكثر ملابسهم من الصوف ، حيث يلبسون الأكسية المعلمة أو الملونة والمميزة بعلامات معينة ، وكانوا يتزلون عليها البرانس الكحل .[4] ورؤوسهم في الغالب حاسرة وربما يتعاهدونها بالحلق .[5]

هذا كما كانوا يلبسون القشابة في الشتاء حيث تستر الجسم كله حتى الرأس ، وهي من الصوف مقفلة من أمام وبها كمان ولباس للرأس موصول بها من الخلف وتحت القشابة ، أو البرنس يلبس البربر القميص أو الجبة ، والسراويل والبناطيل

---

(١) ابن خلدون : العبر ، المجلد السادس ، ص ١٧٥ .

(٢) محمد علي دبوز : نفس المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤١ ، ٤٢ .

(٣) أحمد صقر : نفس المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٦٢ ، ٦٤ .

(٤) البرنس « وهو ثوب من الصوف يلبس فوق الثياب وينسج قطعة واحدة ويترك مفتوحا من أمام ، لا يخاط منه الا ما يقابل الصدر ليشده إلى الجسم ، والبربر يسلكونه في أعناقهم فيشتملون به ، والبرنس غطاء الرأس موصول به من الخلف (محمد علي دبوز– نفس المرجع السابق ج ١ ، ص ٤٢) .

(٥) ابن خلدون : العبر ، المجلد السادس ، ص ١٧٦ .

القصيرة التي تنتهي إلى أسفل الركبة ، وأحياناً الطويلة التي تصل إلى الكعبين ، وهذا الأخير هو الذي لايزال موجوداً إلى اليوم في طرابلس ، هكذا كما كان يلبس البربر الحائك ، وهو رداء من الصوف يشتملون به ، ولا يزال هذا اللباس إلى الان في ليبيا وجنوب تونس وهو لباسهم المحبب في كل الفصول ، وبالإضافة إلى ذلك يضعون على رؤوسهم « القنور» وهو قلنسوة من الصوف عالية ، ملبدة ومدورة توضع فوق الرأس ، ويلبس فوقها لحاف صغير من الصوف ، رهيف ينسج خصوصاً للرأس ، أو يلبس فوقها حائك رقيق ، ويشد من أعلى بعمامة سوداء تتخذ من خيوط الوبر . [1]

وكان البربر يشتغلون إما بحرفة الزراعة ، أو الرعي . وقد اشتهرت برقة بمراعيها التي تجود فيها الغنم المعروفة بلذة لحمها وشحمها . [2] أما الزراعة فكانوا يشتغلون بها في معظم المناطق ، فمنهم من يشتغل بزراعة التشجير ، وهم أهل استقرار بالضرورة لحاجة الشجر إلى العناية به طوال العام ، ولأنه لا يؤتي ثماره الطيبة إلا بعد فترة من الصبر ، والانتظار ، ومنهم سكان الواحات التي تمتد من الجنوب المراكشي إلى واحات برقة ومصر ، ومنهم من جمع بين زراعة الحبوب وتربية الاغنام والماشية في الاقاليم الصالحة للجمع بين الحرفتين كما في طرابلس وبرقة . [3]

هذا ويعتقد البربر في أرواح الشر ، سكانه البيوت المظلمة ، والكهوف ، والمياه ، والرياح ، هذا الاعتقاد في الارواح الشريرة ، كان يتطلب من البربر طقوساً ، وربما عبادات متفاوتة المدى مثلما يوجد في الشمال الافريقي في كل وقت من أوقات السنة الزراعية ، من مواسم قديمة غرضها في الغالب ان تطرد عن المسكن ، والحقل والمحصول الارواح المؤذية ، والشياطين التي تسكنها

---

(١) محمد علي دبوز : نفس المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٤٢ ، ٤٣ .
ـ أحمد صقر : نفس المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٦٤ .

(٢) مؤلف مجهول : الاستقصا ، ص ١٤٣ .

(٣) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب ، ص ٤٦ ، ٤٩ .

وتهددها أو ان تهدىء من غضبها وان تستجلب رضاها بالقرابين .[1] ولا تزال هذه الطقوس موجودة في الشمال الإفريقي إلى الآن .

وفي نفس المواسم وفي الوقت الذي تقام الطقوس ضد الجن ، أو بعد ذلك تقام الشعائر لاجتلاب القوة الخيرة من القوى الحامية ، وإلى جانب هذه الطقوس الخاصة بطرد الشر واجتلاب الخير ، وهي قديمة جداً بدليل أنها قاومت المسيحية والاسلام ، وتوجد طقوس أخرى ليست أقل في القدم ، وتمكننا من تصور كيف فسر البربر سر الانبات ، وإنتاج المحاصيل ؟ فعندهم ان الارض هي أم محاصيل الحبوب ، لا يمكنها ان تنبتها الا بالاخصاب ، مثل الانثى التي لا تستطيع الانتاج إلا بعد اخصاب الذكر لها ، فدور الإنسان دور الزراع بالنسبة إلى الحبوب ، ودور الراعي الذي يطلب العشب لقطيعه سيساعد اذاً في كل عام على هذا الافتراق بين الارض والمطر ، ومن هنا نشأت هذه المواسم التي لا تزال تجري في الشمال الإفريقي ، ومنها يسير موكب بعروسة أو عريس ، على هيئة تمثال لزيادة تمثيل الزفاف ، وهذه شعيرة قديمة تقوم على السحر العاطف فالشبيه يولد الشبيه ، ولهذا فإن هذا الطقس يحمل الارض على افتراق مع المطر ، وهذه المواكب ليست إلا بقايا لطقس كان الممثلون فيه قديماً هم الرجال والنساء .[2]

الروم

وهم الذين غلبوا على البلاد ، وحكموها ، وكان منهم من امتهن التجارة ومنهم من اقتطع الأرض وانصرف إلى استثمارها ، ومنهم من اصطنع الإدارة أو الحكم ، وأقام في المحارس أو في الأربطة على الموانىء والسواحل .

---

(١) الفرد بل : الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي ، بنغازي ١٩٦٩ ص ٦١ .

(٢) الفرد بل : نفس المرجع السابق ، ص ٦١ ، ٦٢ .

وعلى الجملة كان هؤلاء الناس هم الطبقة المسيطرة ، أو التي تتصل بالسعادة والحكم قبل الفتح العربي الإسلامي .[1]

ويذكر ابن خلدون أن الذين أطلق عليهم العرب اسم الروم ، لم يكونوا روماً بيزنطيين في الأصل ، وإنما كانوا من الفرنجة ، أي من سكان إيطاليا وفرنسا وأن الفرنجة هم الذين ولوا أمر إفريقية ، ولم يكن للروم شيء فيها من ولاية ، وإنما كان كل من كان منهم بها من جند الإفرنج ، ومن حشودهم ، وأن ما يسمع في كتب الفتح من ذكر الروم في فتح إفريقية فمن باب التغليب ، لأن العرب يومئذ لم يكونوا يعرفون الإفرنج وما قاتلوا في الشام إلا الروم ، فظنوا أنهم الغالبون على أمم النصرانية .[2]

ويبدو أن هذا التمييز الدقيق الذي يريد أن يرسمه ابن خلدون يستحق النظر ولكنه لا يستطيع أن ينفي به أن عناصر بيزنطية رومية يونانية نزلت سواحل ليبيا وإفريقية إلى جانب العناصر الفرنجية ، وأن العرب حين أطلقوا اسم الروم على هذه العناصر ، لم يكن ذلك من باب التغليب وحده ، بل لأنهم نظروا أيضاً إلى التبعية السياسية حين وجدوا أن بيزنطية هي التي كانت تسيطر على المنطقة من برقة حتى طرابلس ، ومن طرابلس إلى حدود طنجة ، ولذلك فلا خطأ في أن نطلق على هذا العنصر الآتي من جهات شتى من شمال البحر المتوسط اسم الروم وأن أكثر الذين يشملهم هذا الاسم إنما هم من العناصر التي كانت تسيطر على شئون الدولة والجيش، وكانت لديهم ملكية الإقطاعات الكبيرة .[3]

وقد استغل الرومان الخلاف بين البرانس والبتر ، ووسعوا شقة الخلاف بينهم بأن ضربوا فريقاً بفريق وتمكنوا بذلك من السيادة وتثبيت أقدامهم في البلاد وقد يكون تحالف البتر مع العرب ناتجاً من تشابههم معهم في البداوة ،

---

(١) شكري فيصل : حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري ، ص ١٨٠ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، المجلد السادس ، ص ٢١٤ .

(٣) احسان عباس : نفس المرجع السابق ، ص ٩ ، ١٠ .

في حين يختلف البرانس عن العرب ، في كونهم تأثروا بالحضارة اللاتينية كما اعتنقت أعداد منهم المسيحية بسبب استقرارهم في المدن الساحلية وتعايشهم مع الروم المسيحيين . [1]

والواقع أن الروم ، كانوا منتشرين في المدن الليبية ، الممتدة على الشريط الساحلي . ولكن بدخول العرب الفاتحين أخذوا يهاجرون إلى أوطانهم الأم وخاصة بعد أن استولى حسان بن النعمان على قرطاجة وأخذ البربر يتحولون إلى الإسلام ويشتركون مع العرب في إتمام فتح بقية المغرب .

الأفارقة

وكانوا من أصحاب البلاد ، ولكنهم لا يرجعون في هذه البلاد إلى أصول بعيدة [2] . فقد كانوا خدماً للروم . [3] وهم أخلاط مجتمعين من أمم شتى وهم بقايا أمم قديمة وعناصر ، بربرية فرنجية تجمعها صفة الخدمة ، أي العمل في المزارع والحرف ولذلك فهم يمثلون طبقة العامة في مختلف المرافق . [4] ورغم أن كثيراً من هؤلاء الأفارقة دخلوا الإسلام ، فان الكثيرين منهم ظلوا يتكلمون لغة خاصة بهم ، ربما كانت مزيجاً من اللاتينية ، والبربرية ، أو ربما كانت محلية خاصة بهم . [5]

وفي الوسع أن نقول أن انتشار هذه الطبقات الثلاث : البربر — الروم —

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .
— محمود شيت خطاب : قادة فتح العرب للمغرب ، ج ١ ، ص ١٩ .
(٢) شكري فيصل : نفس المرجع السابق ، ص ١٨٠ .
(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١١٦ .
(٤) احسان عباس : نفس المرجع السابق ، ص ١٠ .
(٥) محمود شيت خطاب : نفس المرجع السابق ، ص ٢٠ .

الأفارقة في أرض المغرب كلها كان ينسكب في علاقتين اثنتين : علاقة الامتداد من الشرق إلى الغرب ، وعلاقة الامتداد من الشمال إلى الجنوب ، فالروم ومعهم الأفارقة ينتشرون على امتداد الساحل وفي نفس الوقت كانت تقل أعدادهم كلما توغلنا نحو الصحراء بينما تستقر في الصحراء على امتدادها ، من الشرق إلى الغرب الغالبية الكبرى من القبائل البربرية اللهم إلا قبائل البربر البرانس التي كانت تسكن المنطقة الساحلية . [1]

العرب

ينقسم العرب إلى فريقين وهم أكثرية سكان المغرب من أعقاب العرب الفاتحين له واستوطنوا هذه البلاد ، وأصبحوا بمرور الزمن عرباً أفارقة أو عرباً بلديين ، ثم انضم إليهم جماعات العرب الذين وفدوا من المشرق في العصر الأموي واستقروا في إفريقية وأصبحوا من أهل البلاد . كذلك كانت هناك جماعات من العرب الشاميين الذين اشتركوا في الحملات التي كان يسيرها خلفاء بني العباس إلى إفريقية . [2]

ومن أهم القبائل العربية التي استوطنت ليبيا إلى جانب البربر ، قبيلة بلى القحطانية ، وكانت قد اشتركت مع جيش عمرو بن العاص في فتح مصر ، ووقفت على يمينه لأن أمه منهم . [3] وانتقل كثير من أفراد هذه القبيلة من مصر التي استقروا فيها منذ الفتح ، إلى الرمادة من لوبية ، واستقروا فيها مع غيرهم من قبائل بني مدلج وجهينة . [4]

---

(١) شكري فيصل : نفس المرجع السابق ، ص ١٨١ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٤١٥ ، ٤١٦ .
(٣) رضوان محمد الجفاني : القبائل العربية في مصر في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، ص ٤ .
(٤) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٢ .

أما قبيلة جهينة فهي إحدى بطون قضاعة القحطانية ، وقد شاركت في فتح مصر بأعداد قليلة ، ولهذا كانت من بين أهل الراية .[1] قدمت جماعات كثيرة منهم ، في أوائل القرن الثاني ، وأصبحت لهم دعوة منفردة في الديوان عند إعادة التدوين سنة ١٠٢هـ[2] وفي القرن الثالث الهجري كانت جهينة إحدى القبائل القوية في جنوب مصر ، فقد غزت بلاد البجة كما امتد نفوذها إلى النوبة .[3] كما انتقل بعض منهم وأقاموا مع بلى وجينة وبني مدلج في الرمادة من عمل لوبية .[4]

ومن القبائل العدنانية التي انتقلت من مصر إلى ليبيا قبيلة مدلج ، وهي إحدى فروع قبائل كنانة . العدنانية ، وقد نزلت هذه القبيلة مدينة الإسكندرية وكانت من أسبق القبائل استقراراً في مصر حيث أخذت من خربتا[5] موطناً لها مع من حالفها من أبناء قبيلة حمير .[6] ومن هناك انطلقوا نحو الغرب ،

---

(١) أهل الراية : يطلق على مجموعة من القبائل العربية التي اشتركت في الفتح ولم يكن لكل منها من العدد ما يسمح بأن تستقل بخطة خاصة ، فرأى عمرو بن العاص أن يجمعهم معا ، وجعل لهم راية هي رايته ، فعرفوا بأهل الراية وهم قبائل قريش والانصار ، وخزاعة ، وأسلم وغفار ومنبه ، وأشجع وجهينة وثقيف وعيسى ، وسجل عمرو بن العاص أمهم في الديوان على هذا الوضع (حورية عبده سلام ، علاقات مصر ببلاد المغرب ، هامش ٦ ، ص ٨٠) .

(٢) حورية عبده سلام : نفس المرجع ، هامش ٦ ، ص ٩٦ .

(٣) رضوان محمد الجفاني : نفس المرجع ، ص ٩ .

(٤) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٢ .

(٥) وهي تعد كوراً من كور مصر بالحوف الغربي حوالي الاسكندرية : وخربتا سألت عنه كتاب مصر فمنهم من قال بفتح الخاء ومنهم من قال بكسرها وله ذكر في حديث محمد بن أبي حذيفة بن عقبة بن ربيعة المتغلب على مصر المملوك لعثمان ومعاوية وجديح ، وهو الان خراب لا يعرف (ياقوت معجم البلدان — ج ٢ ، ص ٣٥٥) .

(٦) حورية عبده سلام : نفس المرجع السابق ، ص ٩٨ .
— رضوان محمد : نفس المرجع السابق ، ص ٢٤ .

حيث اشتركوا مع عمرو بن العاص في فتح طرابلس سنة ٢٣هـ / ٦٤٣م ، ولذلك كانت هذه القبيلة من القبائل التي تمركزت في المنطقة بين الإسكندرية وبرقة إلى جانب القبائل البربرية التي تقدر بنحو ألف بيت . [١] وتكاد مدلج تتشابه مع لخم ، في أنها منذ القرن الثالث الهجري أخذت قوتها في الضعف والانهيار في الدلتا والإسكندرية ، وحلت بها الهزائم الكثيرة ، بل إنها سلكت نفس طريق لخم ، حيث اتجهت جماعات منها نحو الصعيد ، إلا أن مدلج ظلت ، رغم كل هذا حتى منتصف القرن الثالث الهجري من القبائل القوية في الإسكندرية ، ولعل هذا هو الذي شجع جابر بن الوليد أحد أبنائها على الثورة . [٢] ولقد امتدت مضارب مدلج فيما بين الإسكندرية وبرقة ، ولذا لم يكن غريباً أن نجد أحد أبنائها منظماً إلى بغا الأصغر أحمد بن محمد بن عبد الله الذي ثار في تلك المنطقة سنة ٢٥٥ / ٨٦٨ ، مدعياً الانتساب إلى علي بن أبي طالب ، وانضمت إليه بطون قبيلة مدلج ، حيث انتشرت تلك الثورة بين الإسكندرية وبرقة . [٣]

ويذكر اليعقوبي أنه من أراد أن يسلك الطريق من مصر إلى برقة وأقاصي المغرب ... يصير في منازل بني مدلج في البرية على الساحل وبعضها بالغرب من الساحل ... ثم يصير في عمل لوبية وهي كورة تجري مجرى كورالإسكندرية فيها منزل يعرف بمعن ... ثم الرمادة وهي أول منازل البربر ، ويسكنها قوم من مزاتة وغيرهم من العجم القدم ، وبها قوم من العرب من بلى وجهينة وبني مدلج .[٤]

وقد استقرت قبيلة بني مدلج في هذه المنطقة حتى إننا نجد فيها في العصر

---

(١) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٤ .
(٢) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي : جـ ٢ ، ص ٥٠١ .
(٣) رضوان محمد : نفس المرجع السابق ، ص ٢٤ ، ٢٥ ، ١٦٧ .
(٤) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٢ .

الفاطمي ، بغربي خرائب القوم .[1] أحياء كثيرة من هذه القبيلة .[2]

هذا كما انتقلت من مصر إلى المنطقة ما بين برقة وزويلة قبائل غنث وميدعان وهما من القبائل القحطانية ، والتي كانت قد استقرت في مصر منذ الفتح .[3] وقد شاركت هذه القبائل في الحملة التي اتجهت لفتح إفريقية في عهد عبد الله ابن سعد ، إذ يقدر من اشترك في هذه الحملة من كل منهما سبعمائة رجل .[4] وقد استقر بهم المقام في الجبل الواقع إلى الشرق من مدينة برقة .[5]

وإلى جانب قبائل العرب من الأزد كانت تسكن في الجبل الواقع إلى الشرق من برقة قبيلة جذام .[6] وهي إحدى بطون عدي القحطانية التي استقرت في مصر منذ الفتح ، وقد حدث نزاع بينها وبين بعض القبائل الأخرى المجاورة لها في مصر ، حتى إنهم احتكموا لعبد الله بن سعد والي مصر فعهد إلى عثمان ابن قيس ليقضي بينهما ، وأعقب ذلك تحول بعض بطونهم نحو الغرب ، حيث استقروا بالجبل الواقع إلى الشرق من برقة ، وفي الجبل الواقع إلى الغرب ، منها .[7]

هذا كما هاجر بعض من قبيلة لخم — وهي من قبائل عدي القحطانية إلى برقة ، وكانت قد شاركت في فتح مصر واختلطت بها ، واستقر بعض بطونها في

---

(١) وهي على بعد ٢٩٦ ميلا إلى الشرق من برقة (ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٨٤ ، ٨٥) .

(٢) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب . ص ٤ .
— مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١٤٢ .

(٣) حورية عبده سلام : نفس المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٢٥ .

(٥) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٣ .

(٦) نفس المصدر السابق والصفحة .

(٧) حوريه عبده سلام : نفس المصدر السابق ، ص ٩٨ .

الإسكندرية .[1] وأصبحت منذ القرن الثالث أقوى قبائل الإسكندرية وأغزرها نفراً . ولكن الهزائم نزلت بلخم في الإسكندرية ، ففي سنة ٢٠٠هـ هزمت في حروبها مع الأندلسيين النازلين بالاسكندرية .[2] وفي سنة ٢١٦هـ / ٨٣١م قضى الافشين على ثورة قامت بها لخم ، في شرقيون وهي مدينة بحوف مصر[3] ثم هاجرت هذه القبائل من الإسكندرية غرباً إلى الجبل الواقع إلى الشرق من مدينة برقة .

وإلى جانب قبيلة لخم سكن الجبل الواقع إلى الشرق من برقة قبيلة صدف .[4] القحطانية والتي شاركت في فتح مصر ، واستقرت بها أعداد كبيرة ، ثم انتقلت إلى الجبل الشرقي من برقة ، ويبدو أنهم لميولهم العلوية التي اشتهروا بها قد استطابوا المقام في هذه المنطقة .[5]

---

(١) نفس المرجع ، ص ٩٥ .

(٢) لما ثار أهل ربض قرطبة ، وهدم ربضهم ، أمر الحكم بن هشام برفع القتل والامان ، على أن يخرج أهل الربض من قرطبة ، فذهب فريق منهم إلى بلاد المغرب ونزلوا بمدينة فاس التي كان قد أسسها إدريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن ، فأقاموا بالحي المعروف اليوم بحي الاندلسيين . أما الفريق الآخر ، فقد اتجه بحرا إلى الاسكندرية واستولى عليها . وقد وصل أهل الربض إلى الاسكندرية في الوقت الذي كانت الفوضى مستحكمة في البلاد والثورات مشتعلة في كل مكان ، وكانت الاسكندرية وقتئذ عرضة لهجمات العرب من قبيلتي لخم وجذام ، واستغل الربضيون هذه الفرصة واستولوا على الإسكندرية (السيد عبد العزيز سالم — تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس دار المعارف لبنان ١٩٦١ ، ص ٢٠٢٤) .

(٣) رضوان محمد : نفس المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(٤) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٣ .

(٥) حورية عبده سلام : علاقات مصر ببلاد المغرب ، ص ٩٦ ، ذلك أنه من المعروف ان عميد الصدف في مصر ربيعة بن جيش كان من خاصة علي وحضر قتل عثمان ثم وقف في صف ابن جحدم سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م وفيما بعد شجع خالد بن سعيد بن ربيعة دعوة الحسن سنة (١٤٤ — ١٤٥هـ) ٧٦١ — ٧٦٢م ، وضم اليه بقايا العناصر الاموية المعادية للعباسيين وقد =

وإلى جانب هؤلاء جميعاً كان يسكن الجبل الواقع إلى الشرق من برقة عرب من أهل اليمن . [1] بينما سكن الجبل الواقع إلى الغرب من مدينة برقة قوم من عرب غسان وجذام ، هذا بالإضافة إلى قبيلة تجيب . [2] وغيرهم من بطون العرب . [3] وقد ظهرت قبيلة تجيب في الاسكندرية منذ نهاية القرن الأول وحظيت بمكانة ممتازة وبخاصة أسرة معاوية بن حديج ، فقد تولى أكثر من واحد منهم ولاية مدينة الاسكندرية ، بينما عمل البعض الآخر في الشرطة . [4] ويبدو أن استقرار بطونها في غربي مصر — وفي الاسكندرية — قد سهل لها الهجرة والانتقال إلى برقة والإقامة فيها . [5]

وهكذا نجد أن القبائل العربية ، قد سكنت الجبلين ، الواقعين إلى الشرق والغرب ، من مدينة برقة . وهذا استثناء من القاعدة التي ذكرها ابن خلدون ورددها كل الدارسين المحدثين من أن العرب لا ينزلون في الجبل وإنما ينزلون في السهول . [6]

هذا كما استقر في افريقية من القبائل القحطانية أيضاً قبائل من الأوس والخزرج التي اشتركت في فتح مصر ، ثم في الحملات المتتالية لفتح افريقية ، فخرجوا في حملة عبد الله بن سعد بأعداد كبيرة ، كما شاركوا في حملة معاوية ابن حديج واستقرت بعض بطونها في افريقية عقب هذه الحملات [7] ، ويدلل

= مكنهم صاحب شرطة الفسطاط من الهرب فاتخذوا من موطنهم هذا في افريقية ملاذا .

(١) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣٤٣ .

(٢) وهي إحدى بطون السكون أحد بطون قبائل كندة القحطانية (حورية نفس المرجع السابق ص ٨٢) .

(٣) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٣ .

(٤) رضوان محمد : نفس المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(٥) حورية عبده سلام : نفس المرجع السابق ، ص ٩٥ .

(٦) عبد القادر طليمات : نفس المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .

(٧) حورية عبده سلام : نفس المرجع السابق . ص ١٩٣ .

ابن عبد الحكم على كثرة من نزل منهم في هذه الحملات بقوله : حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة ، وحدثنا يوسف بن عدي ، حدثنا عبد الله ابن المبارك نحوه عن ابن لهيعة عن بكير بن عبد الله ، عن سليمان سيار قال : غزونا افريقية مع ابن حديج ، ومعنا من المهاجرين والأنصار بشر كثير ، [1] ومن المرجح أن يكون قد استقر بعضهم في برقة وطرابلس ولو أن المصادر لا تشير إلى ذلك .

وبالاضافة إلى ما سبق ذكره كان يسكن مدينة زويلة أخلاط من أهل خراسان والبصرة والكوفة ، كما أن مدينة طرابلس يسكنها أخلاط من الناس . [2] ومن المحتمل أن يكون من بينهم عرب وفي مطلع القرن الرابع الهجري استقرت في مدينة برقة وحولها قبائل بني قرة العربية . [3] ويبدو أن سبب هجرتهم من مصر هو التقارب بين طيء والفاطميين ، وانتقالهم إلى البحيرة . [4] مما أدى إلى هجرة بني قرة العربية إلى برقة .

وكانت مدينة ودان عبارة عن مدينتين هما دلباك وبوصى ، وكان يسكن الأولى عرب سهميون [5] بينما سكن الثانية عرب حضرميون . [6]

وإذا نظرنا إلى توزيع العرب على المناطق الليبية بالنسبة إلى العنصر البربري ، لوجدنا أن العنصر الأخير يغلب على الأول ، حتى يمكننا أن نعتبر وجود العرب ، في وسط خضم كبير من قبائل البربر ، وأن أول البلاد استعراباً كان

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص ١٣١ .

(٢) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٥ .

(٣) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٩ .

(٤) رضوان محمد : نفس المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٥) نسبه إلى سهم بن هصيص بن كعب أحد بطون قريش (حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام ج ١ ، ص ١٩) .

(٦) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ١١ .

اقليم برقة، وهذا شيء طبيعي بحكم ظروف الفتح العربي لليبيا، فإن الفتح العربي للمغرب بدأ من برقة وطرابلس ، أي من حدودهما الشرقية المتاخمة لحدود مصر الغربية ، وكانت توجد فيهما قبائل عربية كثيرة ، ولكنها أقل عدداً من القبائل البربرية ، كما وأن الدم العربي اختلط بالدم البربري أولاً في اقليم برقة بشكل واضح، ثم كان الاختلاط في اقليم طرابلس، وأما في اقليم فزان فكان في حكم المنعدم تقريباً[1] كما وأن استقرار القبائل العربية في ليبيا كان في الدرجة الأولى من القبائل القحطانية، أما القبائل العربية الحضرية فكان الموجود منهم بها قلة[2].

وخلاصة القول ان منازل بني مدلج كانت في المنطقة المتاخمة لحدود مصر الغربية ، بعضها على الساحل وبعضها بالقرب من الساحل من الرمادة إلى السلوم ، وأن قبائل بلي، وجهينة ، وبني مدلج استقرت في الرمادة واستقرت عند الجبل الواقع إلى الشرق من مدينة برقة قبائل من الأزد ولخم وجذام ، وصدف من العرب القحطانية ، وغسان وقوم من جذام ، والأزد وتجيب عند الجبل الواقع إلى الغرب من مدينة برقة .[3]

وعلى الرغم من قلة انتشار العرب وكثرة البربر إلا أننا نجد أن بعض القبائل البربرية ، من مزاتة النازلين بين سرت وودان ، انتموا إلى العرب اليمنية وجعلوا أنفسهم في حكم العرب ، وهو ما يفسر أن العادات والتقاليد العربية قد لقيت قبولاً حسناً وإعجاباً لدى البربر ، وأن الإسلام قد تغلغل ليس في الواحات الليبية والمصرية فحسب ، بل انتقل عن طريقها بواسطة القوافل العابرة بها إلى افريقيا الوسطى ، ورافق انتشار الإسلام ، انتشار اللغة والعادات والتقاليد العربية .[4]

---

(١) عبد القادر طليمات : نفس المرجع السابق ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .
(٢) البرغوثي : نفس المرجع السابق ، ص ٢٧٣ .
(٣) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٣ .
(٤) البرغوثي : نفس المرجع السابق ، ص ٢٧٣ .

هذا وقد احتفظ العرب بنظامهم القبلي ، الذي درجوا عليه في بلادهم ونقلوه إلى الأمصار التي فتحوها ، وأهم سمات هذا النظام هو العصبية القبلية ففي إفريقية تم تحالف قبيلتي بلى ومدلج اللتين انتقلت بعض بطونهما من مصر إلى الرمادة ، في مطلع القرن الثاني . وكذلك تحالفت قبيلتا غنث وميدعان وهما قبيلتان من قبائل الأزد اللتان انتقلتا من مصر واستقرتا في المنطقة الواقعة ما بين برقة وزويلة . وكذلك تحالفت قبائل الصدف المعروفة بميولها العلوية مع بطون الأمويين حين استقروا معاً عند الجبل الواقع إلى الشرق من مدينة برقة .[1]

النصارى واليهود

ومع أن الإسلام كان قد انتشر في معظم أرجاء ليبيا عقب الفتح العربي قبل بدء هجرة القبائل العربية اليها إلا أنه كان هناك بعض الجيوب التي ظلت على المسيحية واليهودية ، وذلك لأن المسيحية كانت قد انتشرت بين القبائل (البرانسة) التي كانت تعيش قريباً من ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وفي المدن ، لأنهم كانوا يتعايشون مع الروم المسيحيين ، أما القبائل البربرية البدوية (البتر) التي كانت تعيش في الصحراء فقد كان انتشار المسيحية بينهم محدوداً .[2]

ومن أهم هذه الجيوب التي ظلت غير إسلامية في ليبيا جالية من النصارى في قرية تاكنست على بعد خمسين ميلاً شرقي مدينة برقة .[3] هذا بالاضافة إلى أكثرية من النصارى الأقباط بمدينة أجدابية وأقباط يتكلمون لغة غريبة في

---

(١) حورية عبده سلام : نفس المرجع السابق ، ص ١٠٩ ، ١١٠ .

(٢) محمود شيت خطاب : نفس المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٩ .

(٣) قدامة بن جعفر : كتاب الخراج وصنعة الكتاب ، ليدن ١٨٨٩ ، ص ٢٢٢ .

سرت وآخرون عبريون حول مدينة طرابلس . [1] وجالية من الأقباط في بهنس الواح والفرغون . [2]

هذا بالاضافة إلى جالية يهودية كبيرة في جادو . [3] كما كان يوجد بعض الجاليات اليهودية في طلميثة في القرن السابع الهجري ، إذ يذكر أنه كان بها قصر فيه اليهود الذين كانوا تحت خفارة العرب ، ومنها كانت تحمل المراكب الكبريت والعسل والقمح والشعير . [4] وقصر اليهود المذكور على هيئة برج كبير ، وعدد اليهود الذين كانوا به في القرن الثامن الهجري ، يزيد على مائتي يهودي ، وطلميثة عن الاسكندرية على نحو مسافة شهر ، والمراكب ترسو قبالة قصر اليهود وبالقرب منه ، وتحضر العرب ، وتبايعهم بالبضائع مقايضة . [5] وهذه الأقوال المتأخرة عن يهود طلميثة تدل من غير شك على وجودهم بها — وربما بأعداد أكثر — في الفترة موضوع دراستنا .

وكان اليهود منذ عدة أجيال قد هاجروا إلى منطقة برقة ، حيث عاشوا في

---

(١) البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص ٥ ، ٦ ، ٧ .

(٢) البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص ١٤ ، ١٥ ، ويذكر أن بهنس الواحات تبعد عن سترية بعشر مراحل وهي غير بهنس الصعيد مسورة فيها أسواق ومساجد ».
أما الفرغون ، فهي إحدى مدن الواح الداخلية وأهلها أخلاط من الناس من أهل مصر وغيرهم ..
(اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٣٢) .

(٣) البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص ٩ .
— مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١٤٤ .
— ياقوت : معجم البلدان ، طبعة بيروت ، جـ ٢ ، ص ٩٢ ويذكر أنها مدينة كبيرة في جبل نفوسة من ناحية إفريقية ولها أسواق وبها يهود كثيرة .

(٤) أبو الحسن علي بن سعيد : بسط الأرض في الطول والعرض ، تطوان ١٩٥٨ ، ص ٨٠ .

(٥) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٩ .
— ابن سعيد : بسط الأرض في الطول والعرض ، ص ٨٠ .

تجمعات متماسكة ، وكان قدوم الكثيرين منهم بعد خراب القدس سنة ٦٠ م . وتعتبر نهاية القرن الأول هي فترة القلاقل بين التجمعات اليهودية في كل مكان . وقد أحدث يهودي يدعى (جوناثان) متاعب كبيرة في منطقة برقة واعتقل ثم أعدم في روما ، وكانت المعاملة الرومانية لأتباعه ، ومن بينهم زعماء يهود سبباً في خلق شعور معاد للرومان . إذ بدأ يهود برقة عام ١١٥ م تمردا منظماً تنظيماً عسكرياً وسرعان ما امتد إلى الجاليات اليهودية الكبيرة في مصر والشرق الأدنى . [١]

ونتيجة لتلك الثورة ، فإن أعداداً كبيرة من الجاليات اليهودية فروا بحياتهم بعيداً عن عين السلطة الرومانية ويدها ، فالتجأوا الى دواخل ليبيا بينما التجأ بعضهم إلى طرابلس ، حيث كانت أعداد منهم قد استقرت بعد مجيئها طلباً للتجارة والعمل في ركب الفينيقيين ، بينما آثر آخرون أن يبتعدوا قدر المستطاع عن برقة فوصلوا إلى بحيرة تشاد وحوض النيجر والسنغال وغرب أفريقيا وفي مناطق أخرى متفرقة من دواخل القسم الشمالي من أفريقية والسودان . [٢]

وكانت أهم حرف اليهود هي التجارة ولا شك أن تلك الجاليات اليهودية التي وجدت في جادو كانت من الجاليات التي هاجرت من الشمال إلى الجنوب هرباً من السلطة الرومانية ولا شك أنها ظلت تشتغل بحرفة التجارة وذلك بنقل السلع الجنوبية من إفريقية إلى الشمال وبخاصة في العصر الفاطمي لما وجده اليهود من رعاية من قبل الفاطميين. [٣]

وبالاضافة إلى اليهود الذين وجدوا في جادو فقد وجدت جالية أخرى من اليهود في مدينة أجدابية وكانوا ممن اشتغلوا بالتجارة .[٤] ويذكر ابن سعيد أنه

---

(١) جون رايت : تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور ، ص ٤٩ .
(٢) عبد اللطيف البرغوثي : التاريخ الليبي القديم بيروت ١٩٧١ ، ص ٤١٦ .
(٣) ادم متز : الحضارة الإسلامية ، ج ١ ، ص ١١٢ ، ١١٣ .
(٤) الادريسي : وصف افريقية الشمالية ، ص ٩٩ .

كانت توجد جالية أخرى من اليهود في درنة وذلك بقوله « درنا وكانت من مدن برقة المذكورة .. فخربها العرب ، وهي الآن محسوبة من قصور العرب التي تأوي اليها اليهود وكلهم على جزيتهم . [1] وكان في سرت عدة قرى خاصة باليهود ومن ذلك المكان المعروف اليوم باسم (يهودية) والكائن بين مدينة السلطان ومختار ، والعلة في تسميته بهذا الاسم أنه مسكون باليهود منذ زمن قـــديم . [2]

ويدعي البعض أن قسماً كبيراً من هؤلاء اليهود، قد انحدر من نسل البربر الذين اعتنقوا الديانة اليهودية بعد أن هاجر كثير من يهود فلسطين إلى شمال إفريقية في القرن الأول الميلادي بعد هدم معبدهم وطردهم منها كما أن بعضهم وصل من اسبانيا في نفس الفترة . [3]

---

(١) ابن سعيد : بسط الأرض ، ص ٨٠ .

(٢) محمد ناجي : طرابلس الغرب ، ترجمة كمال الدين محمد حسان ، ص ١٢٩ .

(٣) عبد العزيز طريح : جغرافية ليبيا ، الاسكندرية ١٩٦٢ ، ص ٤٧ .

الحياة الاقتصادية

الزراعة

كانت السياسة الرومانية في ليبيا بصفة عامة ، وفي برقة بصفة خاصة ، تعتمد على تشجيع زراعة الحبوب فازدهرت تلك الزراعة لتضافر جهود الأهلين والحكومة على النهوض بها . ولم تقتصر جهود الدولة على تشجيع زراعة الحبوب فقط بل شملت مختلف المجالات الزراعية . ومما يؤكد ذلك ، تلك البرك الرومانية التي وجدت في برقة وبقية الشمال الافريقي لتجميع مياه الأمطار ، واستغلالها في الزراعة وسقاية المواشي وما وجد من آثار معاصر زيت الزيتون ، مثل معصرة الكويفية قرب بنغازي . [١]

ومما ساعد على انتشار الزراعة في العصر الروماني أيضاً أن الأرض الليبية كانت كما هو الحال في معظم إفريقية الشمالية تمتاز بتربتها الغنية بالمواد الأولية الصالحة للزراعة ، حتى ان المؤرخين كانوا يقولون بأن الحبة الواحدة كانت تنبت باقة من ٤٠٠ ساق . [٢] واذا كان في هذا القول نوع من المبالغة إلا أنه

---

(١) عبد اللطيف البرغوثي : نفس المرجع السابق ، ص ٤٩٢ .

(٢) أحمد صقر : نفس المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٢٥ .

يمكننا أن نقول أيضاً بأن الأرض كانت بكراً في معظمها وكان بامكانها أن تعطي المزارعين بما يفيض عن حاجتهم .

ومن المؤكد أن تلك السياسة التي تطلبتها تلك التوسعات الزراعية وبخاصة في طرابلس ، قد أوجدت ظهيراً قوياً لميناء طرابلس ، وأصبحت معظم تلك المنتجات الزراعية ، وأهمها القمح ، والشعير ، وزيت الزيتون وبعض الفواكه والخضروات ، تجد طريقها عبر المدينة ومن ثم تتجه بها السفن إلى روما وبقية أنحاء الأمبراطورية الرومانية .[1] غير أن هذا الازدهار الذي شهدته ليبيا وبخاصة برقة في القرن الأول الميلادي ، بدأ يتلاشى ، إذ ازداد عبء الضرائب الرومانية ، مما أدى إلى تلاشي صغار الملاك وظهور كبار الملاك ، الذين صاروا يكدسون الأراضي في أيديهم ويستولون على معظم انتاجها ، مما أدى مع نهاية القرن الرابع الميلادي إلى اختفاء الزراعة .[2] على الرغم من محاولة الأباطرة في وضع حد للفوضى التي ضربت أطنابها نتيجة لنظم احتلال الأراضي.[3] ولا شك أن البلاد الليبية قد فازت بعناية خاصة في العصر البيزنطي لما حل بها من دمار نتيجة الحروب الوندالية ، والثورات التي استمرت حتى عام ٥٤٨ م.[4] فحاول الأمبراطور جستنيان اصلاح الأمر غير أنه لم يفلح ، على الرغم من تلك الاصلاحات العمرانية والادارية التي قام بها،وذلك نظراً لما توالى على الدولة البيزنطية من أخطار ومن نكبات طبيعية فقد اجتاح الزلزال والوباء البلاد الشرقية كلها ، ولم تنج منه ليبيا أيضاً ، بالاضافة إلى ما قام بها من ثورات بربرية ضد

---

(١) نجم الدين غالب الكيب : مدينة طرابلس عبر التاريخ دار الجبل للطباعة الفجالة ١٩٧١، ص ٣٠ ، ٣١ .

(٢) عبد اللطيف البرغوثي : نفس المرجع السابق ، ص ٤٩٢ .

(٣) روستوفتزف : تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي الاقتصادي النهضة المصرية ١٩٥٧ ، ج ١ ، ص ٣٧٩ .

(٤) عبد القادر اليوسفي : الامبراطورية البيزنطية ، بيروت ١٩٦٦ ، ص٥٧.

الحكم البيزنطي .[1]

ولهذا أصبحت برقة في العصر البيزنطي ، عاجزة عن تقديم أية كميات من الحبوب للدولة ، بل هي على العكس من ذلك ، صارت دائماً مدينة للخزانة البيزنطية . ويصور بروكوبيوس القيصري ، حالة برقة في أيام جستنيان بقوله : « ويتفق أن يكون الجزء الأعظم من ليبيا هذه وبرقة لم يعتن به على وجه العموم ، غير أن أمبراطورنا — جستنيان — نظر إلى هذه البلاد كذلك بعين الاهتمام حتى لا تكون عاثرة الحظ فتقاسي من غارات المور ، الذين يسكنون البلاد المجاورة ، فأسس من أجل هذا حصنين بحاميتهما ، يدعى أحدهما باريثوتيوم ، بينما أطلق على الآخر الذي يقع بعيداً ، عن المدائن الخمس اسم انتيرغوم «طبرق» [2] وعندما يتعرض بروكوبيوس لطلميثة يقول : « انها كانت في الأزمنة الغابرة مزدهرة ، وآهلة بالسكان ولكنها أصبحت في عهده — أي عهد جستنيان — شبه مهجورة بسبب افتقارها الشديد للماء ، مما جعل سكانها ينزحون عنها ، وهذا ما دعا جستنيان إلى إعادة بناء قناطرها . والواقع أن جستنيان لم يدخر جهداً في سبيل تحصين برقة ، وضمانة أمنها الداخلي والخارجي ، كأساس لانعاشها الاقتصادي من جديد حتى تسهم بنصيب أوفر في ملء الخزينة البيزنطية ، لكن جهوده لم تحقق النتائج المرجوة منها .[3]

ونتيجة لانصراف جهود الحاكم العام إلى جمع الأموال بالقوة ، والضغط على السكان وامتصاص كل مواردهم دون التفرغ للاشراف على أعمال الاصلاح في البلاد اضطر المزارعون في نهاية الأمر إلى ترك مزارعهم والتجار إلى غلق متاجرهم وتصفية تجاراتهم ، وعمد الكثيرون إلى احتراف اللصوصية ،

---

(١) محمد مصطفى بازامه : ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين ، ص٢٨ .

(٢) طبرق : بلدة قديمة في برقة وموقعها شرقي بنغازي بنحو ٤٥٥ كم وشرقي درنة بنحو ١٧٦ كم وتقع على رأس الخليج المشهور بخليج طبرق (الزاوي : معجم البلدان الليبية ، ص ٢١٧) .

(٣) البرغوثي : نفس المرجع السابق ، ص ٤٩٤ ، ٤٩٥ .

والاعتماد على قوائم سيوفهم ، وكانت هذه المظالم عاملاً أساسياً فيما أصاب المغرب من اضمحلال كما كانت السبب في قيام الأهالي بالفتن والثورات المتواصلة .[1] ولذلك فان ليبيا بصفة عامة — كما يقول بروكوبيوس — قد نزل فيها الدمار والخراب إذ يسير الانسان فيها مسيرة طويلة ، ومن النادر أن يعثر على فرد واحد بعد أن كانت تضم ثمانين ألفاً من الوندال المسلحين وجموع الليبيين التي لا تحصى والمشتغلين بالزراعة والتجارة [2] وعلى الرغم من أن هذا العرض كان يقصد به افريقية بالمعنى الجغرافي القديم إلا أنه يتطابق مع الأوضاع في ليبيـــا .

وبالاضافة إلى ذلك فقد عانت البلاد وبخاصة الأجزاء الشرقية من الزحف الفارسي على برقة اذ داهمها الفرس بجيوشهم حينما امتد نفوذهم اليها فيما بين سنة ٦١٥/ ٦١٨ م ، وقد صحب هذا الاحتلال بعض الدمار بالمدن والقرى التي مروا بها وقاومتهم .[3]

ونتيجة لكل ما سبق من أسباب فإن الحياة الاقتصادية في ليبيا وبخاصة الزراعة ، قد بدأت تضمحل وتتدهور بسبب الغارات من ناحية وبسبب هجرة المزارعين لمزارعهم من ناحية أخرى، كما أن مرحلة الفتح العربي للمغرب ، لم تتمتع فيها البلاد باستقرار نظراً لانشغال العرب بعمليات الفتح وإخضاع البلاد ومما أضر بالحياة الاقتصادية في المغرب بصفة عامة وفي طرابلس بصفة خاصة تلك الحوادث التخريبية الدامية التي قامت بها الكاهنة ، حيث أرسلت بعمالها ليهدمـــوا المدن ، ويقطعوا الشجر ، ويحرقـــوا الغابات خلال ثورتها التي قامت بهـــا ضد تقدم الفتوحات العربيـــة في شمال افريقية ، إذ يذكر أن إفريقية من طرابلس إلى طنجـــة ، كانت ظلاً واحـــداً وقرى متصلة

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٨٠ .

(٢) عبد القادر اليوسفي : نفس المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٣) محمد مصطفى بازامه : نفس المرجع السابق ، ص ٣٦ ، ٣٨ .

عامرة فأخربت الكاهنة جميع ذلك. [1]

وبعد أن استقر العرب في ليبيا وانتشر الإسلام بين البربر ، مع نهاية القرن الهجري الأول ، استعادت البلاد أمنها وطمأنينتها ، واستقرارها وانصرف الناس إلى مزاولة أعمالهم ، فبدأت البلاد تنهض من جديد وبخاصة من الناحية الاقتصادية . [2]

وإذا كانت إفريقية في أواخر العصر الأموي وفي أوائل العصر العباسي قد تعرضت للاضطرابات والثورات فانه سرعان ما عاد الاستقرار إليها في ظل حكم الأغالبة بفضل إحكام سيطرتهم عليها عن طريق اقامة سلسلة من الحصون والأربطة الممتدة من قابس إلى الاسكندرية ، وقد أدى استقرار الأحوال إلى دفع الأغالبة إلى الاهتمام بتنشيط أحوال البلاد الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجـــارة . [3]

هذا كما اهتم الفاطميون من بعدهم بالمشاريع الزراعية ، وبخاصة حفر الآبار على طول الطريق المؤدي إلى مصر . [4] وقد أدى ذلك كله إلى انتعاش الحياة الاقتصادية وكثرة المزارع والبساتين في مختلف المناطق الليبية وأدى بالتالي إلى كثرة الانتاج . ونتيجة لهذا الاهتمام انتشرت المزارع والثمار الكثيرة

---

(١) ابن الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ، ص ٦١ .
– ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، ص ٢١ ، ٣٤ .

(٢) البرغوثي : تاريخ ليبيا الإسلامي ، ص ٢٨٣ .

(٣) ارشيبالد لد : القوى البحرية ، ص ٢٥٤ .
– ادم متز : الحضارة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٤٢٢ .
– البرغوثي : نفس المرجع السابق ، ص ٢٨٣ .

(٤) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٨ .
– ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٩٩ .

حول مدينة أجية . [1] كما كان يحيط بمدينة برقة جبلان أحدهما من الناحية الغربية ، والآخر من الناحية الشرقية وكان بها عيون جارية ، وأشجار وثمار وحصون للروم قديمة [2] . وكانت هذه العيون تستعمل لسقاية المزروعات والمـــواشي .

ويذكر ابن حوقل أن برقة بقعة فسيحة عامرة بصنوف الفواكه وأن أرضها حمراء خلوقية التربة، حتى ان أهلها يعرفون في الفسطاط من بين أهل المغرب لاحمرار ثيابهم [3] .وهكذا نجد أن برقة قد أعطتها تربتها الغنية ذات اللون الأحمر خصبها ، وأصبحت لذلك تشتهر بزراعتها ومراعيها، وتعتز بجبليها الدائمي الخضرة ، وما بهما من بساتين ومياه ، ولذلك اشتهرت برقة بانتاج الفواكه والتي من أهمها الجوز ، والأترج ، والسفرجل وأصناف الفواكه . [4] هذا كما اشتهر إقليم برقة بثروته الزراعية ، وبخاصة شجر الزيتون، الذي يوجد فيها بكثرة ، حتى انه بلغ مقدار الخراج الذي كان يجبى منها أيام هارون الرشيد أربعة وعشرين ألف دينار ، فاليعقوبي يذكر ، أن لخراج برقة قانوناً قائماً يرجع الى زمن الرشيد وكان الرشيد وجه بمولى له يقال له بشار فوزع خراج الأرض بأربعة وعشرين ألف دينار ، على كل ضيعة شيء معلوم، سوى الأعشار والصدقات والجوالي خمسة عشر ألف دينار ، ربما زاد، وربما نقص ، والاعشار للمواضع التي لا زيتون ولا قره ... » . [5]

---

(1) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٣ ، ويذكر انه بين مدينة برقة والساحل والبحر المالح ستة أميال ، وعلى ساحل البحر مدينة يقال لها أجية أسواق ومحارس ومسجد وجامع وأجنة ومزارع وثمار كثيرة » .

(2) نفس المصدر ، ص ٣٤٣ .

(3) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٩ .

(4) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٥ .

(5) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

وبالاضافة إلى ذلك انتشرت مزارع النخيل حول مدينة أجدابية ، غير أنه كان حسب كفايتهم ، وبمقدار حاجتهم ، ولم تكن في مدينة أجدابية مياه جارية ، بل كانت زراعتهم بالبخس ، وكان عاملها يقوم بما عليها من وجوه الأموال ، وصدقات بربرها ، وخراج زروعهم وتعشير خضرهم وبساتينهم . [1] ونتيجة لعدم وفرة التمور في أجدابية ، فإنها كانت تحضر ما تحتاج إليه من أوجلة . [2] وذلك لما اشتهرت به أوجلة من نخل يغل بكميات جسيمة من التمر . [3]

ولم تقتصر مزارع النخيل على أجدابية وأوجلة بل كانت تنتشر حول مدينة ودان ، وكانت تقارب أوجلة في إنتاجها وجودتها من التمور ، علاوة على رخص الأسعار بها ، غير أن أوجلة كانت تمتاز عن ودان بكثرة التمور اليابسة . [4]

كما كانت تنتشر المزارع القليلة من النخيل حول مدينة سرت ، وكانت معظم أراضيها عبارة عن مراع للحيوانات ومن أهم المحصولات التي كانت تنتجها بالاضافة إلى النخيل الأعناب والفواكه . [5] وقد انتشرت كذلك في مناطق البادية حول مدينة طرابلس وبخاصة في لبدة ، إذ كان بها من الفواكه الطيبة اللذيذة الجيدة ، القليلة الشبه بالمغرب كالخوخ ، والكمثرى اللذين لا شبه

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٠ .

(٢) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٦ وأوجلة اسم واحة تقع في الجنوب الغربي من أجدابية بنحو ٦٠ ك . م وهي من أعمال برقة ... الزاوي – معجم البلدان الليبية. ص ٤٢ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٠ .

(٤) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٥ .
– ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٠ .

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٠ .

لهما بمكان [1]. والتفاح والألبان والعسل. [2] بالاضافة إلى ما كان يحيط بمدينة شروس من كروم وأعناب وتين. [3]

هذا كما انتشرت مزارع الشعير بجبل نفوسة، حتى يقال انه إذا خبز كان أطيب طعماً من خبز الحنطة. [4] هذا كما انتشرت مزارع القمح والشعير حول مدينة طرابلس وخاصة في وادي سبجين «سوفجين» الذي يعد الآن من أكبر أودية طرابلس وهو يأتي من الجنوب، ويصب في تاورغة فكان يصاب فيه في بعض السنين [5] للحبة مائة حبة، وأحياناً يقدر ما يصيبه سوفجين في السنة بمقدار ما يصاب في سنتين ولا تزال أرضه خصبة، تخصب فيهـــا زراعة القمح والشعير بمقادير هائلة قد تجاوز فيه الحبة مائة حبة. [6] ولعل تذبذب الانتاج بين سنة وأخرى راجع إلى اعتمادهم على الأمطار، التي تغزر سنة وتقل في سنة أخرى. وبالاضافة إلى هذه المزارع كانت تنتشر مزارع الزيتون حول مدينة لبدة حتى يقال أنه كان يستخرج زيتها في وقته [7].

وقد ازدادت زراعة الحبوب وبخاصة الشعير في العصر الفاطمي في ليبيا، حتى انه كان يرسل معونة للغزاة في صقلية مما يدل على وفرة الانتاج والفائض منه. [8]

---

(1) نفس المصدر، ص ٧١.

(2) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم الطبعة الثانية ليدن ١٩٠٩. ص ٢٢٤.

(3) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٩٢.

(4) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٩٣.

(5) البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص ٩، ويذكر الادريسي ان أرض طرابلس عديمة المثال في اصابة الزراع، ولا يدرى أن على معمور الأرض مثلها في ذلك – وهذا مشهور معلوم بنزهة المشتاق، ص ٩٠.

(6) الزاوي: معجم البلدان، ص ٣٤٤.

(7) الادريسي: وصف افريقية الشمالية، ص ٩٧.

(8) سعد زغلول عبد الحميد: فترة حاسمة من تاريخ المغرب، ص ٢٣٤.

هذا ويمكننا أن نجمل القول بأن المنطقة الليبية كانت تنتج من السلع الزراعية . زيت الزيتون ومن الفواكه المختلفة الخوخ ، والتين . والكمثرى ، والتمور والأعناب ، والتفاح. [1] ومن الحبوب الشعير والقمح والذرة والحنطة. [2]

وكانت معظم الزراعة القائمة في ليبيا . تعتمد على الأمطار ، لعدم وجود أنهار بها . ونتيجة لاعتماد الأهالي على الأمطار . فان العرب بعد استقرارهم في ليبيا . بدأوا بالاهتمام بطرق الري الرومانية القديمة والتي كانت تعتمد على مياه الأمطار ، والتي كانت موجودة في البلاد . ولا زالت آثارها باقية إلى الآن . [3]

فالزراع في ليبيا يعيشون عامهم يترقبون نزول الغيث من السماء ، وبعد أن تسقي مياه الأمطار الأرض إما أن تصب في البحر . وإما أن تختفي في الرمال ولذلك قدر الرومان هذه الظروف حق قدرها . ونحن إذا أجلنا النظر اليوم ، وجدنا آثار السدود المختلفة ، ولا شك أنها كانت توفي بأغراضها ، فلقد أقام الرومان السدود على طول الأودية بمنطقة طرابلس حسب أصول هندسية جيدة لحجز مياه الفيضان الغزيرة ، وتمريرها إلى أحواض التخزين . وكان الطمي الذي تجره المياه ، يجمع ويستغل كطبقة غنية فوق الحقول . [4] ومن أمثلة السدود الرومانية ، سد وادي لبدة ، والسدود الأخرى ، التي كانت تكوّن خزانات مائية في أجزاء وادي كعام السفلي ، كما كان هناك سدان آخران بأحجام متشابهة مبنيان من الاسمنت في وادي المجنين ، وعلى بعد أربعة وخمسين

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧١ .
– المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ٢٢٤ .
(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٢ .
– البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٩ .
– الادريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢ ، ٩٠ ، ٩٩ .
(٣) محمود أبو زهره : الجزائر الموسم الثقافي الثالث ، الجزائر ، ١٩٦٣/١٩٦٤ ص ١٤ .
(٤) جون رايت : نفس المرجع السابق ، ص ٤٧ .

كيلو متراً جنوبي طرابلس . ومعظم السدود الباقية الكثيرة، التي نجد آثارها في أودية طرابلس كانت صغيرة ، وكان الغرض منها الري وحماية التربة من الانجراف . (١)

وبالاضافة إلى هذه السدود ، كانت هناك البرك الرومانية ، والتي من أمثلتها ، البركة الموجودة في الصفصاف ، (٢) وهي بركة مسقوفة يبلغ طولها حوالي ثلاثمائة متر ، كانت تتجمع فيها الأمطار الساقطة على الأرض الصخرية المجاورة ، والتي كانت مهدت بشكل أولي ، بحيث تسيل الأمطار الساقطة عليها إلى مصارف متعددة في جنبات البركة . (٣) كما استخرجت المياه الجوفية من آبار واسعة . (٤) وقد ظلت هذه الآبار حتى العصر الإسلامي .

وكانت طرابلس قبل الفتح الإسلامي ، عامرة بصهاريج المياه والسدود التي في مجاري الأودية لحبس المياه ، والانتفاع بها صيفاً ، والآبار المحفورة في الأرض ، والمواجل ، وما زالت آثار هذا العمران موجودة حتى الآن . (٥)

ولما استقر العرب في ليبيا بدأوا بالاهتمام بطرق الري الرومانية القديمة وقد ظهر هذا الاهتمام في عهد الأغالبة إذ إنهم لم يدخروا وسعاً في انعاش ما يلزم كل بلد غني خصب من التجارة والصناعة والزراعة فسهلوا المواصلات بين سكان الصحراء ، وسكان الساحل ، بما أوجدوه من المستودعات وإنشاء الطرق والسهر على سلامتها وأمنها . (٦)

---

(١) البرغوثي : التاريخ الليبي القديم ، ص ٦٠٦ ، ٦٠٧ .
(٢) وهو اسم مكان بين شحات ودرنة (الزاوي : معجم البلدان الليبية ، ص ٢١٣) .
(٣) البرغوثي : نفس المرجع السابق ، ص ٥٢٨ ، ٥٢٩ .
(٤) جوان رايت : نفس المرجع السابق ، ص ٤٧ .
(٥) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٤٥٨ ، ٤٥٩ .
– الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ص ٢٩ .
(٦) حسن سليمان محمود : نفس المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

ولم يهمل الفاطميون من بعدهم طرق الري في ليبيا ، بل اهتموا بحفر الآبار على طول الطريق الواصل من إفريقية إلى الاسكندرية . فقد أمر المعز لدين الله ولاته سنة ٣٥٥ هـ ، بحفر الآبار في الطريق الواصل إلى مصر .[1] وإذا طالعنا كتب الجغرافيين المسلمين ، وجدنا ما توافر في ليبيا من آبار ومواجل، وبرك واتضح لنا مدى اعتمادهم على مياه الأمطار وتخزينها . وذلك لاستغلالها في سقاية المزروعات والمواشي .

فيذكر أن مدينة برقة تتجمع فيها مياه الأمطار الساقطة بها في برك عظام ، عملها الخلفاء والأمراء لشرب أهل المدينة ، وفي الجبل إلى الشرق والغرب من هذه المدينة ، عيون جارية وآبار للروم قديمة .[2]

كما كانت توجد عدة آبار في خرايب أبي حليمة[3] يبلغ عددها خمسة آبار وجباب .[4] إلى جانب ما كان يوجد من برك ماء حول وادي مخيل والآبار العذبة والجباب الكثيرة حول مدينة سرت .[5] وكان شرب أهلها من ماء المطر المختزن في المواجل .[6] بخلاف مدينة شروس التي كانت توجد فيها المياه الجارية .[7] هذا كما كانت تنتشر الآبار حول مدينة طرابلس وغدامس .[8]

---

(١) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٨ ، ابن خلدون ، العبر المجلد الرابع ، ص ٩٩ .

(٢) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٣ .

(٣) وهي تبعد عن خربة القوم بخمسة وثلاثين ميلا وعن العقبة بعشرين ميلا .
(ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٨٤) .

(٤) مفردها جب : وهي البئر التي لم تطو (ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ١٠٠) .

(٥) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٤ ، ٦ .

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧١ .

(٧) نفس المصدر ، ص ٩٢ .

(٨) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٠ ، وغدامس ، في وسطها عين أزلية عليها أثر بنيان عجيب رومي يفيض الماء بها،ويقسمه أهل البلدة بأقساط معلومة لا يقدر أحد أن يأخذ أكثر=

وبالإضافة إلى كل ما ذكر ، فلا شك أن كل الأراضي شبه الزراعية كانت تستغل كمراعٍ تربى فيها الحيوانات المختلفة مثل الضأن ، والماعز والإبل والبقر والخيل والحمير ... وكانت أرض برقة كثيرة الخصب، مما جعلها مراعي ذات أهمية تصلح السائمة على مراعيها ، كما أكسبتها مراعيها الغنية ثروة حيوانية ممتازة، حتى ان مصر والإسكندرية أصبحتا تعتمدان في لحومهما على الأغنام الواردة إليها من برقة . وقد فضلت هذه اللحوم على غيرها لعظم خلقها وكثرة شحمها ولذة لحمها . [1] وقد عادت عليها هذه الثروة الحيوانية بأموال طائلة ، بما عرض في الأسواق من منتجاتها ، وقد أعطت هذه المنتجات الشهرة لأسواق برقة ، وبخاصة ما يعرض فيها من أنواع الأكسية والثياب الصوفية . [2] وكانت برقة تصدر الفائض من هذه الثياب الصوفية، والأكسية إلى بلاد المغرب ، [3] والأصواف الخام إلى مصر . [4]

وبالإضافة إلى هذه الثروة الحيوانية ، من الماعز والضأن ، فقد كثرت الإبل في برقة ، وعادت عليها ثرواتها بفترة ازدهار ورخاء سمح لواليها أفاح الناشب ، أن يظهر كثيراً من البذل والعطاء . فعندما سأله جوذر الصقلي مولى المعز أن يهديه عشرة جمال ، بعث اليه بعشرين بعيراً . [5]

= من حقه وعليه يزرعون (ياقوت: معجم البلدان ٧٧٦/٣) أبو الفدا تقويم البلدان ، ص ١٤٧. أما طرابلس فيذكر أن بداخلها بئراً يعرف ببئر ابي الكنود يعيرون به، ويحمق من شرب منه ، فيقال الرجل إذا أتى بما يلام : لا يعتب عليك لانك شربت من بئر الكنود ، وأعذب آبارها بئر القبة » .

(١) مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١٤٣ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٩ .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٩ .

(٤) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٥ .

(٥) الجوذري : سيرة جوذر ، ص ٩٥ .

هذا كما كثرت الإبل حول جبل نفوسة ، حتى أصبح يعرف عن أهل هذا الجبل أنهم ينتجعون الإبل ويركبون أمضاها وأسرعها خطى . [1]

كما انتشرت الجمال بمنطقة طرابلس ويبدو أن أول من ساعد على تربية وانتشار الجمل في إفريقية ، هو الامبراطور سبتميوس سفيروس – وهو إفريقي من مدينة لبدة ، ولا يجهل أحد فائدة الجمال (سفائن الصحراء) لازدهار الاقتصاد بطرابلس ، فإن مسألة توطين الجمال مسألة حيوية لتلك الجهة التي كان يحيطها الامبراطور بعطفه ورعايته ، ويشملها بضروب عنايته ، والتي كان يرتكز اقتصادها على قوافل الصحراء ، والاتصال المستمر بغدامس ، والجهات الممتدة إلى وراء الصحراء . [2]

كما انتشرت مراعي الضأن والماعز حول مدينة سرت ، وعرضت أصوافها في الأسواق المجاورة وأصبح الناس يفضلون لحومها من الماعز على الضأن . وقد ذكر ابن حوقل ذلك بقوله (وكان لحم المعز أغذى من الضأن وأنفع ، وتقوم لحوم الضأن فيها مقام لحم المعز بغيرها ، لأنها غير ملائمة لأهلها وللسافرة المجتازين من أجل مراعيها ، وشرب أهلها من ماء المطر المختزن في المواجل [3] وكنتيجة لوفرة الأغنام في سرت ، فقد قامت على منتوجاتها صناعة الأكسية إلى جانب البسط الصوفية .

هذا كما اشتهرت مدينة أجدابية أيضاً بثرواتها الحيوانية ، وأصبحت تسوق إنتاجها في الأسواق المحلية والخارجية ، وقد أدى ذلك إلى ازدهار

---

(١) الادريسي : وصف أفريقيه الشمالية ، ص ٩١ .
(٢) أحمد صقر : نفس المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٨٨ ، ٣٨٩ .
(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧١ .
– البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٦ .

تجارتها حتى انه كان أكثر ما يخرج منها الأكسية المقاربة وشقة الصوف .[1]

كما اشتهرت زويلة وغدامس بوفرة ثروانهما الحيوانية ، وغزارتها مما أدى إلى تصنيع دباغة الجلود التي تعد من أهم الصناعات القائمة على الثروة الحيوانية [2] وأصبحت دباغة الجلود في غدامس من أجود الدباغ ولا يفوقها شيء في الجودة حتى يقال كأنها ثياب الخز في النعمة والإشراق .[3]

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره ، كانت الأبقار ، تنتشر حول مدينة أوجلة وأصبحت جلودها تصل إلى برقة وذلك لغرض دبغها .[4] هذا ولم يهمل أهل برقة النحل ، بل اعتنوا بتربيته حتى أصبحت أسواقها تزخر ببيع العسل .[5] كما اعتنى أهل قصر بني لخم [6] بتربية النحل حتى يقال عنهم أنهم كلهم عسالة .[7] ونتيجة لهذا الاهتمام من قبل سكان برقة ، بتربية النحل ، فقد كثر العسل في الأسواق حتى انه يقال أن تربة وادي مسوس ، وهو بين برقة وإفريقية يغلي منها العسل .[8]

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٠ .

(٢) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٥ .

(٣) مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١٤٥ .
– ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٧٧٦ .

(٤) الادريسي : وصف افريقية الشمالية ، ص ٩٨ .

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٩ .
– المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٤ .
– البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٥ .

(٦) ويذكر الادريسي أنه من مسرى طبرقة إلى مسرى رأس تيني مجرى ونصف ومن رأس تيني إلى البندرية مجريان .... وبعد البندرية على نحو ١٠ أميال قصر كبير يسكنه قوم من لخم ، ويسمى القصر بهم ، وأهله كلهم عسالة يتخذون النحل ويشتارون عسلها ، ص ١٠٣ .

(٧) نفس المصدر ، ص ١٠٣ .

(٨) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٥ .

الصناعة

إن الصناعة في ليبيا كانت ذات أثر محدود ، وكانت عبارة عن صناعات بسيطة تعتمد كل الاعتماد على الثروة الزراعية والحيوانية وتنصب على إنتاج السلعة الاستهلاكية التي لم يكن بد من صنعها محلياً . وكانت الصناعات منصبة على تصنيع بعض المنتجات الزراعية والحيوانية ، مثل العسل والتين المجفف والتمور ، والمواد الغذائية المختلفة مثل صناعة عصر الزيتون واستخراج الزيت .

وقد اشتهرت منطقة لبدة بكثرة أشجار الزيتون، إذ يذكر أن زيتون مدينة لبدة ، كان يستخرج زيته في وقته . [١] هذا بالإضافة إلى ما اشتهر به إقليم برقة بكثرة أشجار الزيتون التي كانت تزرع فيه حتى انه بلغ مقدار الخراج الذي كان يجبى منها أيام هارون الرشيد أربعة وعشرين ألف دينار . [٢]

هذا إلى جانب صناعة طحن الحبوب ، حيث اشتهرت بعض الأقاليم بكثرة إنتاجها للحبوب ، وبخاصة القمح والشعير ، في أرض طرابلس التي كانت عديمة المثال في إصابة الزرع . [٣] وحول جبل نفوسة ، وقد أشير إلى دقيق الشعير في هذا الجبل ، بأنه إذا خبز كان أطيب طعماً ، من خبز الحنطة إلا ما كان من سميد أو حواري قد تأنق صانعه فيه . [٤]

ولا شك أن كثرة النخيل في ليبيا أدت بالضرورة إلى صناعة الأوعية من سعف النخيل لاستخدامها في نقل التمور التي كان يجمعها أصحاب هذه المزارع . [٥]

---

(١) الادريسي : وصف افريقيا الشمالية ، ص ٩٧ .
(٢) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ .
(٣) الادريسي : وصف إفريقية الشمالية ، ص ٩٠ .
(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٣ .
(٥) عبد اللطيف البرغوثي : تاريخ ليبيا الإسلامي ، ص ٢٨٩ .

كما كانت تقوم في أجدابية وسرت . وطرابلس صناعة الأكسية الزرق ، والكحل النفوسية والسود والبيض الثمينة . [1] وقامت إلى جانب ذلك ، صناعة الأصبغة اللازمة لذلك . ولقد اشتهرت مدينة سباب بزراعة النبات الذي يكون منه الصبغ المعروف بالنيل . [2] كما اشتهرت مدينة برقة ، بتصنيع الأكسية والثياب الصوفية حيث كانت تباع في أسواقها بشكل واسع . [3] وكان الفائض من هذه المصنوعات وبخاصة الثياب الصوفية والأكسية يصدر إلى المغرب [4]

هذا كما انتفعت مدينة زويلة بثروتها الحيوانية في دباغة الجلود ، التي تعد من أهم الصناعات القائمة على الثروة الحيوانية ، كما يذكر أن مدينة برقة كانت تنفرد بالجلود المجلوبة للدباغ في مصر . [5]

غير أنه يبدو أن إقليم برقة بدأ بعد ذلك يعتمد على نفسه في دباغة الجلود، إذ يذكر الإدريسي أن مدينة برقة كان بها والى الآن ديار لدباغ الجلود البقرية والنمور الواصلة إليها من أوجلة [6] . هذا كما كانت تدبغ الجلود الغدامسية ، لما امتازت به من دباغ ولا يفوقها شيء في الجودة حتى يقال كأنها ثياب الخز في النعمة والإشراق . [7] ومن المرجح أن تكون قد قامت على هذه

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ .

(٢) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ١٠ سباب وهو بلد كثير النخل ... وتسير من سباب في صحراء مستوية لا شيء فيها غير رمل رقيق لا يشوبه فجر ولا مدر .... ومن هذه الصحراء الى زويلة يوم .

(٣) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٦٩ .

(٤) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٩ .

(٥) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٦٩ .

(٦) الادريسي : وصف افريقية الشمالية ص ٩٨ .

(٧) مؤلف مجهول : الاستبصار ص ١٤٥ .

– ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧٧٦ .

الجلود ، صناعة الأحذية وبعض الأدوات الجلدية وصناعة السروج المستخدمة في ركوب الخيل والجمال وبقية الحيوانات الأخرى . [1] هذا كما يشيد البعض بلحوم سرت وبرقة ، ونحن نعرف شهرة الإقليمين في تربية الحيوانات وأن لحومها من النوع اللذيذ ولكننا لا نعرف الطريقة التي كانت تتبع في حفظ هذه اللحوم . [2]

ولا شك أن سكان أهل برقة ، وقصر بني لحم ، قد اهتموا بصناعة خلايا النحل واستخراج الشمع ، [3] لما اشتهروا به من تربية النحل والاهتمام به . [4]

وإلى جانب ذلك قامت صناعة القطران في إقليم برقة ، والذي كان يستخرج في قرية من قرى برقة . [5] ولا شك أن طريقة تصنيعه في هذه القرية كانت تشبه طريقة تصنيعه في قصر بني لحم ، إذ إن أكثرهم يستعملون قطع العرعر ، ثم يستخرجون منه القطران ، ويسافرون إلى الديار المصرية . [6] هذا كما كان يستخرج الشب السرتي من الأراضي المجاورة لمدينة سرت . [7]

---

(١) عبد اللطيف البرغوثي : تاريخ ليبيا الإسلامي ، ص ٢٧٩ .

(٢) مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١٤٣ .
– ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧١ .
– البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٦ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٩ .

(٤) الادريسي : نزهة المشتاق ص ١٠٣ .

(٥) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٥ ، والقطران وهو يعمل بها (أي برقة) بقرية من قراها يقال لها ،قه فوق جبل وعر لا يرقى اليها فارس على حال . وهي كثيرة الثمار من الجوز والاترج والسفرجل ، وأصناف الفاكهة ، ويتصل بها شعراء عريضة من شجر العرعر » .

(٦) الادريسي : وصف أفريقية الشمالية ، ص ١٠٣ .

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧١ .

ولا شك أنه كانت توجد بعض الصناعات البسيطة الأخرى التي تستعمل في الحياة اليومية، كالدلاء التي يستعملونها في رفع المياه من الآبار ، وكانت تسمى ببلاد المغرب بالخطارة . [1] وبالإضافة إلى ذلك كان يستخرج ملح الطعام الكثير من سبخة كبيرة إلى الشرق من طرابلس،[2] ومن المحتمل أن طرابلس كانت تصدر الفائض عن حاجتها من الملح إلى المدن المجاورة أو إلى إفريقية الغربية عن طريق القوافل البرية . [3] وهكذا نجد أن معظم الصناعات في ليبيا كانت عبارة عن صناعة بسيطة وأن كل ما هو قائم منها إنما هو قائم على الثروة الزراعية والحيوانية وبقصد سد حاجيات الأهالي المحلية .

التجارة

لقد ازدهرت الحركة التجارية في ليبيا بعد أن أتم العرب فتح المغرب وبدأت القبائل العربية هجرتها إليه ، فاستأنفت المدن الساحلية نشاطها التجاري كهمزة وصل بين أقاليم ليبيا وإفريقية ، وعالم ما وراء البحر المتوسط بحوضيه الشرقي والغربي ،وزادت أهمية التجارة في الداخل نتيجة لتوفر السلع المعروضة في الأسواق . ونتيجة لوقوع هذه الأسواق على الطرق التجارية التي تربطها بالمشرق والمغرب الإسلاميين ونتيجة لذلك ازدهرت الأسواق التجارية في ليبيا ، فبرقة كانت لها أسواق كثيرة من بينها سوق أجية الحافل بأنواع الثمار والحاصلات الزراعية . [4] هذا كما اشتهرت أسواق برقة بما يعرض فيها من الأكسية والثياب الصوفية ، وذلك لوفرة ثروة هذا الإقليم الحيوانية . وازدهرت هذه الأسواق ازدهارا كبيراً نتيجة لما يرد إليها من تجار بأعداد كبيرة في جميع

---

(١) الادريسي ، وصف أفريقية الشمالية ، ص ٢٢ .
(٢) البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ٨ .
(٣) عبد اللطيف البرغوثي : نفس المرجع السابق ، ص ٢٩٣ .
(٤) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٣ .

الأوقات . وقد جذب تردد التجار على أسواق برقة انتباه ابن حوقل ، فعبر عن ذلك بقوله « إن برقة هي أول منبر ينزله القادم من مصر إلى القيروان ، وبها من التجار وكثرة الغرباء في كل وقت ما لا ينقطع طلاباً لما فيها من التجارة ، وعابرين عليها مغربين ، ومشرقين ، وذلك أنها تنفرد في التجارة بالقطران ، الذي ليس في كثير من النواحي مثله والجلود المجلوبة للدباغ بمصر ، والتمور الواصلة إليها من جزيرة أوجلة ..... » [1]

بالإضافة إلى ذلك كان يعرض بأسواق مدينة برقة بيوع الصوف ، والفلفل والعسل والشمع والزيت وضروب المتاجر الصادرة من المشرق ، والواردة من المغرب . [2] وكانت تصدر برقة الفائض من منتجاتها من الثياب الصوفية والأكسية إلى بلاد المغرب [3] والأصواف الخام إلى مصر [4] مقابل ما يصل إليها من تجارات هاتين المنطقتين ، هذا فضلاً عما كان يعرض في أسواق مدينة برقة من حاصلات زراعية وبخاصة الزيتون . [5]

كما كانت برقة تبعث إلى مصر والاسكندرية الأغنام ، حتى أصبحتا تعتمدان في لحومهما على الأغنام الواردة إليهما من برقة ، التي كانت تفضل على غيرها من اللحوم ، لعظم خلقها وكثرة شحمها ولذة لحمها . [6] هذا الى جانب ما تصدره إلى مصر من الجلود البقرية والتمور الواردة إليها من أوجلة. [7] كما كان يعرض في أسواق مدينة أجدابية الأكسية الصوفية التي انتشرت بها

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٩ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٦٩ .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٩ .

(٤) البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ٥ .

(٥) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

(٦) مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١٤٣ .

(٧) الادريسي ، وصف إفريقية الشمالية ، ص ٩٨ .

لما بها من ثروة حيوانية إلى جانب منتجات المناطق المحيطة بها من التمور والفواكه . (١)

وكانت أسواق ودان وجالو ، تزخر بأنواع التمور ، وكذلك أسواق مدينة زويلة ، والتي اشتهرت بالجلود ودباغها ، والتي كانت تعتبر من أهم الصناعات القائمة على الثروة الحيوانية ، بالإضافة إلى ما كانت تشتهر به مدينة زويلة باعتبارها مركزاً هاماً لتجارة الرقيق ، وذلك لوقوعها على ملتقى طرق القوافل التجارية . (٢)

كما اشتهرت أسواق مدينة لبدة بما يباع فيها من الفواكه كالخوخ والكمثرى وقد امتازت مدينة لبدة ، بإنتاجها الجيد من الفواكه ، إلى جانب ما امتازت به من أنواع الكحل ، وصنوف التجارة الواردة إليها ، والتي تحملها المراكب المارة من بلاد الروم وسائر أنحاء المغرب . وقد عبر عن ذلك أحد الجغرافيين بقوله : وبها من الفواكه الطيبة اللذيذة ، الجيدة الشبه بالمغرب ، وغيره كالخوخ ، والكمثرى اللذين لا شبه لهما بمكان ، وبها الجهاز الكثير من الصوف المرتفع وطيقان الأكسية الفاخرة الزرق ، والكحل النفوسية والسود والبيض الثمينة إلى مراكب تحط ليلاً ونهاراً ، وترد بالتجارة على مر الأوقات والساعات صباحاً ومساء من بلد الروم وأرض المغرب بضروب الأمتعة والمطاعم . (٣) وهذا ما يؤكد ازدهار مدينة لبدة من الناحية التجارية .

كما كان يعرض بأسواق مدينة سرت الأعناب ، والفواكه ، والتمور ، ولكن التمور كانت بقدر كفايتهم، وجميع معروضاتهم ، كانت بأثمان وأسعار مناسبة . وكانت ترد على أسواق مدينة سرت المراكب (٤) محملة بالمتاع

---

(١) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٤ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٣٤٥ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧١ ، ٧٢ .

(٤) ويذكر البكري : المغرب ، ص ٢ ، وياقوت معجم البلدان ج ٣ ، ص ٦٨ ،أن أهل =

وتصدر عنها بشيء منها كالشب السرتي لوفرة بها ، فضلاً عن الأكسية ، والبسط الصوفية لوفرة إنتاجها من الأغنام .[1] هذا فضلاً عن أسواق طرابلس العامرة بمختلف المحاصيل التي تنتجها القرى المحيطة بها وبخاصة الفواكه والتمور والعسل وكذلك الأملاح التي كانت تستخرج من سبخة تقع إلى الشرق منها .[2]

وكانت هذه الأسواق منظمة تنظيماً دقيقاً ، إذ كان يعين على كل سوق مسئول عن استيفاء الضرائب من أصحاب التجارات ، وحصر البضائع الواردة من خارج المدينة ، واستيفاء الضرائب عليها وقيد ذلك في سجلات خاصة تقدم إلى عامل المدينة الذي كان يراعي الدقة بما جاء في السجلات للتأكد من استيفاء الضرائب عليها ،وكان عامل طربلس يعين مسئولين لتحصيل الضرائب على التجارة الواردة إلى المدينة والمعروضة في الأسواق . كما أن عامل مدينة سرت كان يتولى جمع الضرائب المفروضة على القوافل التي تجتاز المدينة[3] وقد ذكر ابن حوقل ذلك بقوله : والمتولي صدقاتهم وجباياتهم وخراجاتهم ، وما

= سرت أحسن خلق الله خلقا وأسوأهم معاملة لا يبيعون ولا يبتاعون الا بسعر قد اتفق جميعهم عليه ، وربما نزل المركب بساحهم موسوقا بالزيت وهم أحوج الناس إليه فيعمدون إلى الزقاق الفارغة فينفخونها ويوكئونها ثم يصفونها في حوانيتهم وأفنيتهم ليرى أهل المركب أن الزيت عندهم كثير ، فلو أقام أهل المركب ما شاء الله أن يقيموا ما باعوا منهم الا على حكمهم » .

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٠ ، ٧١ وتفضل لحوم أغنام سرت على لحوم الضأن نتيجة لمراعيها ، ويذكر ابن حوقل وذلك بقوله (ولحوم المعز أغذى فيها من الضأن وأنفع وتقوم لحوم الضأن فيها مقام لحم المعز بغيرها لأنها غير ملائمة لأهلها وللسافرة المجتازين من أجل مراعيها » .

(٢) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٤٦ .

– ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٨٦ .

– البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ٨٢٧ .

(٣) حورية عبده سلام : نفس المرجع السابق ، هامش ٢ ، ص ٢٠٢ .

يجب على القوافل المجتازة بهم صاحب صلاتهم ، وإليه جميع مجاري أمر البلد ، والنظر فيه ، وفيما ورد إليه وصدر في استيفاء ضرائبه ولوازمه ، واعتبار السجلات والمناشير بموجب ما على الأمتعة وتصفحها خوف الحيلة الواقعة دون الأداء عنه بإفريقية .[1]

الطرق التجارية ودورها في ازدهار حركة التجارة

لا شك أن للطرق دوراً هاماً في ازدهار ليبيا التجاري ، وذلك لموقعها الممتاز بين الغرب والشرق الإسلاميين فكانت ليبيا ترتبط بالشرق والغرب الإسلاميين بعدة طرق تجارية البرية منها والبحرية ، كما كانت تربط بين أجزاء ليبيا عدة طرق داخلية والتي كانت تمتد لتربطها أيضاً بما وراء الصحراء الكبرى وبغرب إفريقية ، ومن أهم هذه الطرق الداخلية والتي تربط شمال البلاد بجنوبها .

أ ـ الطريق من نفوسة إلى زويلة : ومن أراد أن يسلك هذا الطريق يخرج من مدينة جادو ، ثم يسير ثلاثة أيام في الصحراء والرمال إلى موضع يسمى تيري وهو في سفح جبل فيه آبار كثيرة ونخيل، ثم يصعد في ذلك الجبل فيمشي في صحراء مستوية نحو أربعة أيام لا يجد ماء ، ثم ينزل على بئر تسمى أودرب ، ومن هناك يلقى جبالاً شامخة تسمى تارغين يسير فيها الذاهب ثلاثة أيام حتى يصل إلى بلد يسمى تامرما .... ومن هذا البلد تسير إلى بلد يسمى سباب يومين ، ومن سباب تسير في صحراء مستوية ... ومن هذه الصحراء إلى زويلة يوم .[2]

ب ـ الطريق من طرابلس إلى ودان .. ومن أراد أن يسلك هذا الطريق

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٠ ، ٧١ .

(٢) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٠ .

فإنه يسير في بلد هوارة نحو الجنوب في قياطين وبيوت شعر .. إلى قصر ابن ميمون . وذلك كله من عمل أطرابلس . ثم من قصر ابن ميمون ثلاثة أيام إلى صنم من حجارة بني على ربوة يسمى كرزة ... ومن هذا الصنم إلى ودان مسيرة ثلاثة أيام . (١)

جـ – الطريق من زويلة إلى تاجرفت ومن أراد أن يسلك هذا الطريق فإنه يخرج من مدينة زويلة إلى مدينة سبهى مسيرة خمسة أيام ، ثم إلى مدينة هل مثل ذلك ، وهي مدينة عامرة كثيرة النخل وعيون الماء ومن مدينة ودان إلى مدينة تاجرفت ثلاثة أيام ، وهي مدينة آهلة . وبالاضافة إلى هذا الطريق ، يوجد طريق آخر من زويلة إلى تاجرفت ، وذلك أن الشخص يخرج من زويلة إلى مدينة تمسى يومان ، ومدينة تمسى كبيرة بها جامع وأسواق يسيرة . ومنها إلى مدينة زلهى ثمانية أيام في الصحراء ... ثم تمشي ستة أيام إلى الفاروج ، وهو قصر قد خرب ، يجاوره جب وحوله سبخة وبينه وبين سرت خمس مراحل ثم إلى مدينة أجدابية ثم منها ثلاثة أيام إلى قصر زيدان الفتى ، ثم تمشي أربعة أيام إلى مدينة أوجلة .... ومثل ذلك إلى مدينة تاجرفت (٢) .

كما أن شمال إفريقيا يرتبط بغربها بعدة طرق هامة ، وهذه هي التي ساعدت على ازدهار الحركة التجارية بين شمال البلاد وغربها ومن أهم هذه الطرق الرئيسية :

الطريق الممتد بين سجلماسة إلى ولاتا . (٣) والذي يقود إلى مواطن الذهب في السنغال والنيجر الأعلى.(٤) وقد سلك ابن بطوطة هذا الطريق في أثناء رحلته

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٢ .

(٢) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ١١ ، ١٢ .

(٣) وهي مدينة في غرب أفريقية ، تقع بين مدينة تاسرهلا ونيالي (ابن بطوطة) (رحلة ابن بطوطة ، جـ ٢ ، ص ١٨٩) .

(٤) De La Roncière : La découverte de l'Afrique, au Moyen Age. Le Caire 1934, T. I. p. 157.

التي قام بها من سجلماسة حيث مر بتغازة ثم إلى مدينة تدعى تاسرهلا ، ثم ولاتا – إلى نيالي – ومنهما إلى تمبكتو ، إلى مدينة تكدا ومن هذه المدينة عاد ابن بطوطة إلى مدينة سجلماسة عن طريق إيرى – توات – سجلماسة .[1]

والطريق الثاني الممتد من غدامس إلى غات وإيرى ، وممالك الهوسا الغنية ، ومن غدامس يتجه إلى فزان[2] وطرابلس أو يتجه إلى مصر ، ومن المحتمل أن يكون خروجه إلى مصر ، إما عن طريق بحيرة تشاد أو عن الطريق الذي وصفه البكري والمتجهة من الواحات الليبية إلى الواحات المصرية ومنها إلى مصر أو إلى بلاد النوبة .[3]

والطريق الثالث الممتد من طرابلس ولبدة إلى فزان وكوار وبرنو وبحيرة تشاد ، وقد عرف الرومان منذ احتلالهم لإفريقية أهمية مدن جرمة وفزان ، ذلك أن فزان كانت تسيطر على طرق القوافل بين مصر وشمال أفريقية . ففي عام ٩٠ م ، قام قائد روماني يـدعى Joulius Matirius جوليوس مايتريوس على رأس حملة عسكرية من لبدة إلى فزان ثم تخطاها في قلب الصحراء بعد رحلة شاقة استمرت أربعة شهور ، ولذلك استعمل هذا الطريق ، وحفل بالسابلة من أقدم العصور وعبر عليه من أيام عقبة والخلفاء الراشدين واستمر بعد ذلك عاملاً نشيطاً على مر العصور[4] ، وفي عام ١٨٥٠ قام الرحالة بارث مـن

---

(١) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، الطبعة الاولى ١٣٤٦/١٩٢٨ ، جـ ٢ ، ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٢) De La Roncière : Op. cit., p. 160.

(٣) حيث كان يبدأ من غدامس عبر الواحات الليبية إلى أن يصل إلى واحة أوجلة ومنها إلى الواحات – سنتريه – « سيوه » وهنا يتشعب إلى طرق شتى نحو الواحات المتفرقة ومن سنتريه إلى بهنس الواحات ، فأريش الواحات ، إلى الفرقون – فالنواح الداخل – ثم قلمونة فالقصبة – الخارجين إلى بلاد النوبة (البكري – المغرب ، ص ١٤ ، ١٥) .

(٤) حسين مؤنس : فزان ودورها في انتشار الاسلام ، مجلة كلية الاداب ، بنغازي العدد الثالث ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، ص ١١٢ .

طرابلس متبعاً الطريق الذي سار فيه الفاتحون الرومان نحو جرمة القديمة في فزان ، واكتشف الطريق الروماني من طرابلس إلى فزان ، ومن فزان حتى بحيرة تشاد .[1]

وهكذا فإن استمرار استخدام هذا الطريق على مر القرون ، كان كفيلاً بأن يجعله شرياناً من شرايين الحياة والحضارة في القارة الأفريقية .[2] ويحدثنا بوفيل عن تجارة الرقيق ، ويركز على العلاقات بين برنو وطرابلس ويعطينا صورة توضح إلى حد ما كيف كانت تدار هذه التجارة بين السودان والمغرب عموماً فيقول « وعلى الرغم من أن طريق فزان – كوار حمل كمية هائلة من الملح ، فمما لا شك فيه أنه كان طريقاً للرقيق وسجل كل أوربي سافر عن هذا الطريق فزعه من آلاف الهياكل البشرية التي انتشرت على جانبيه .[3]

بالاضافة إلى هذه الطرق كان يوجد طريق آخر في أقصى الشرق وهو الطريق الممتد من برقة إلى الكفرة ثم إلى وادي .[4] هذا إلى جانب الطرق الأخرى والتي تخرج من تمبكتو إلى تونس ، ومن تمبكتو إلى تلمسان مارة بتوات .[5]

وكانت هذه الطرق التجارية تحمل عن طريقها القوافل القادمة من شمال إفريقية القمح والملح والملابس وترجع من تمبكتو حاملة الذهب .[6] ويدين الطريق من سجلماسة إلى تمبكتو بانتعاشه إلى الذهب والملح وكان الملح

---

(١) De La Roncière : Op. cit., p. 75-76.

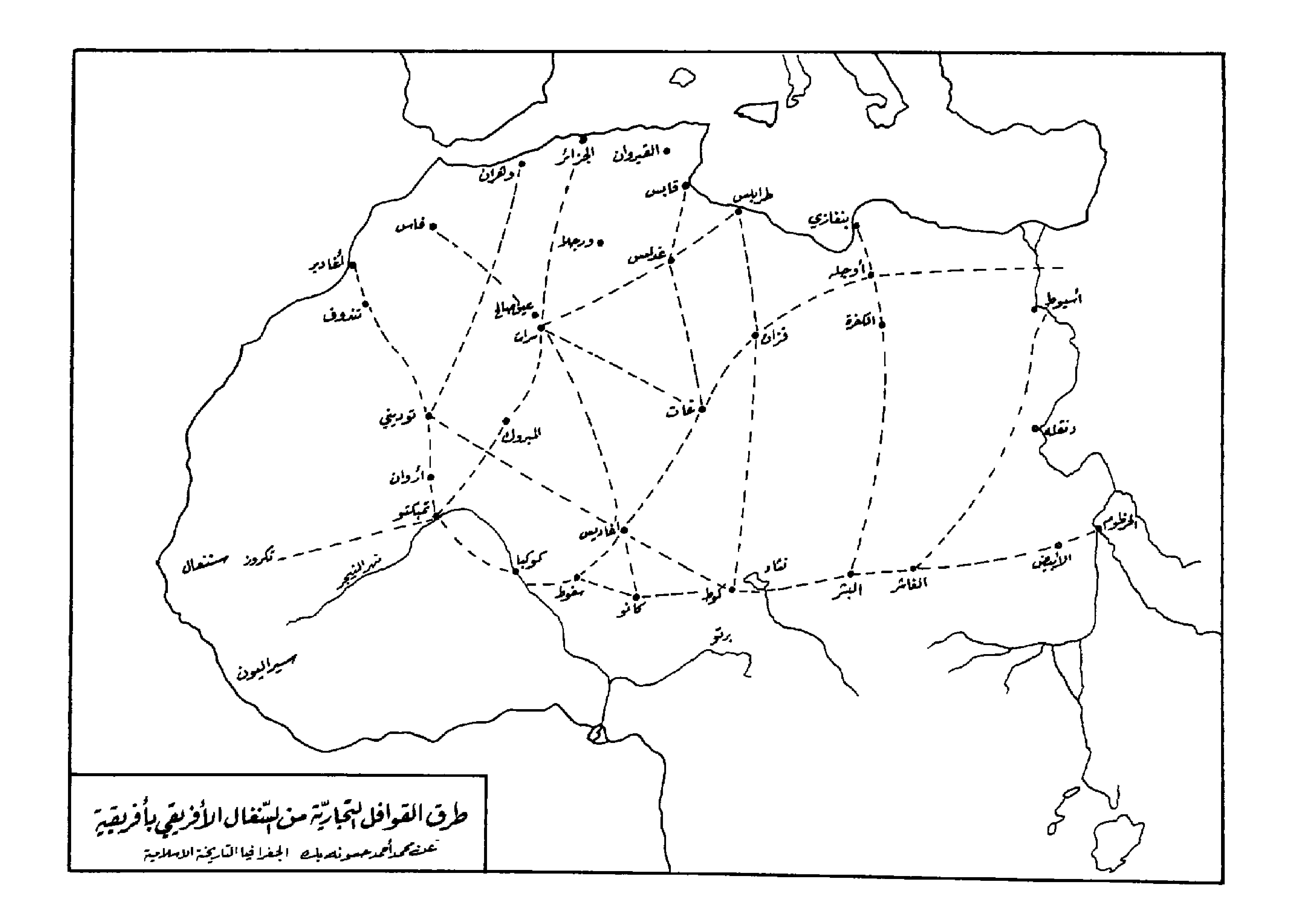
(٢) حسين مؤنس : نفس المرجع السابق ، ص ١١٢ .

(٣) Bovill, E.W. : The Golden Trade of Moors, Oxford University press, 1968, p. 246.

(٤) زاهر رياض : الممالك الإسلامية في غرب افريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى ، ص ٧٤ .

(٥) De La Roncière : Op. cit., p. 160.

(٦) Ibid, p.p. 146.



طرق القوافل التجارية من السنغال الأفريقي بأفريقية

عن محمد أحمد حسونة بك الجغرافيا التاريخية الإسلامية

للإفريقيين أكثر أهمية من الذهب ، حتى أصبح الملح يعادل القوة الشرائية للذهب عند السودانيين .[1]

وكان الملح يوجد بكميات كبيرة شمال الخط ، الممتد من واحة سيوه حتى الرأس الأخضر على المحيط الأطلسي ، بينما يوجد الذهب بكميات كبيرة جنوب هذا الخط ، وهذا التوزيع الطبيعي للموارد الطبيعية كان محور الحركة التجارية عبر الصحراء بين الشمال الافريقي وغرب أفريقيا ، وهو الذي حدد أيضاً منذ القدم طرق القوافل التجارية عبر الصحراء . فمعظم القوافل العربية التي تصل إلى غرب إفريقية وخاصة جزيرة الذهب كانت تبادل سكانها بما تحمله من سلع وأهمها الملح والثياب المزركشة الملونة مقابل حصولها على الذهب .[2]

وكانت طرابلس التي كانت على رأس إحدى الطرق الهامة المؤدية إلى السودان مركزاً لتجارة الرقيق من الزنوج والأوربيين معاً ، ومنها كانوا يرسلون إلى أسواق الشرق الإسلامي .[3]

وكانت المدن التجارية تدين بانتعاشها إلى تجارة القوافل عبر الصحراء ، فمدينة تمبكتو تدين بانتعاشها إلى الذهب والملح ، إذ أنها اعتمدت على ما يرد اليها من طعام على تجارة المرور ، وكأنها كانت مخزناً يستمد أهميته من موقعه في نقطة تسهل الوصول للنيجر من المغرب ، وإلى مركزها الصحراوي في واحة توات ، إذ جلب إليها طريق تغازة الملح ، وربطها بمصر الطريق الذي سار عبر إيرى وغات إلى غدامس .[4]

كما كانت مدينة توات المركز الرئيسي للتبادل التجاري ، في غرب افريقية

---

(١) زاهر رياض : نفس المرجع السابق ، ص ٣٠٤ .

(٢) Ibid, p.p. 88-98.

(٣) آرشيبالد : القوى البحرية ، ص ٣٣٠ .

(٤) زاهر رياض ، نفس المرجع السابق ، ص ٣٠٤ .

بين القوافل العربية القادمة من شمال إفريقية حاملة القمح والملح والملابس ، وبين القوافل القادمة من تمبكتو حاملة الذهب بالاضافة إلى القوافل القادمة إليها من مصر . ومن بين السلع التي كانت تحملها قوافل التجار العرب النحاس من طرابلس وتونس ، وكان هذا النحاس تحمله إلى كل من طرابلس وتونس المراكب الجنوبية والبندقية ، وذلك مقابل حصولها على الذهب الإفريقي والرقيق . وكان من بين جاليات التجار الذين كانت لهم مكانة مرموقة في مدينة توات تجار طرابلس وغدامس ومصر ، هذا إلى جانب جاليات كبيرة من اليهود .[1]

وبالاضافة إلى هذا الدور التجاري الذي لعبته طرق القوافل بين شمال إفريقية وغربها ، كان هناك عدد آخر من الطرق البرية ربطت غرب البلاد بشرقه أي أنها ربطت بين الغرب والشرق الإسلاميين . وقد لعبت هذه الطرق دوراً تجارياً هاماً في شمال إفريقية ، وذلك لمرور التجار بها من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق . فقد كانت هذه الطرق ممهدة وآمنة ، تمتد بها محطات البربر المزودة بالخيل على مسافات متقاربة ، يفصل بين الواحدة والأخرى ثلاثة أميال [2] . وكان أكثر هذه الطرق خلال القرن الثالث الهجري آمناً ، وذلك لما قامت به دولة بني الأغلب الأقوياء من إقرار الأمن والعناية بالطرق — فكان على طول الساحل محارس ومخافر ، وكان السفر مأموناً [3] مما أدى إلى ارتباط المدن الرستمية بقوافل التجارة ، حيث كانت قبائل هوارة في شرقي طرابلس ، وفي جبل نفوسة تقوم بنصيب كبير في نقل التجارة بين مصر والمدن

---

(١) De La Roncière : Op. cit., p. 146-147, 152.

(٢) حورية عبده سلام ، نفس المرجع السابق ، ص ٢٠٨ ، ويذكر المقدسي ص ٦٦ أنه كان على كل فرسخين رباط ويذكر ابن رستة : — ان الفرسخ يساوي ثلاثة أميال (الاعلاق النفيسة ، ص ٢٢) .

(٣) ادم متز : الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٤١٨ .

التابعة للدولة الرستمية [1] .

ولم يهمل الخلفاء الفاطميون من بعدهم هذه الطرق بل كان لاهتمام الخلفاء وأمرائهم بالتجارة أثر واضح في العناية بالطرق التجارية ، وحراستها وتأمينها ، فحفروا الآبار لتوفير المياه ، وقاموا بانشاء أماكن يستريح فيها المسافرون ، واهتموا بانشاء الأساطيل لحماية سواحلهم من المغيرين من قراصنة البحر ، هذا ويعود اهتمام الفاطميين بهذه الطرق البرية والبحرية إلى المحاولات المتكررة من قبل الخلفاء الفاطميين لفتح مصر – والتي استمرت ما يقرب من ستين عاماً – فخلال هذه الفترة كان العمل والسعي من أجل شق الطرق وتحسين الموجود منها ، وحفر الآبار على طول الطريق الواصل بين إفريقية والاسكندرية فقد أمر الخليفة المعز لدين الله عمال برقة سنة ٣٥٥ هـ بحفر الآبار على الطريق الموصل إلى مصر [2] بالاضافة إلى ذلك كان الخلفاء الفاطميون وأمراؤهم حريصين على توفير الأمن بهذه الطرق، بوضع الحاميات العسكرية في الحصون ، والقلاع المنتشرة على الساحل الممتد من الاسكندرية إلى مدينة سبتة . [3] هذا كما أوصى الخليفة المعز عندما ترك شمال إفريقية إلى مصر نائبه بولكين بن زيري أن لا يرفع الجباية عن أهل البادية ، وأن يقسو في اجراءاته ليمنع رجال القبائل الداخلة من قطع طرق القوافل . [4]

وعلى طول الطريق، وفي نهاية كل مرحلة توفرت الفنادق، والحمامات، [5] وعلى طول الطريق الساحلي للمغرب انتشرت الأربطة، وقد كان للساحل الليبي

---

(١) حورية عبده سلام : نفس المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

(٢) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٨ .

– ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٤٩ .

(٣) العبدري : رحلة العبدري ، ص ٢٢٥ .

(٤) ارشيبالد : القوى البحرية ، ص ٢٣٠ .

(٥) البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (ص ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٢٠ ، ٢٨) .

نصيبه من هذه الأربطة والحصون . فلقد توصل الأستاذ عبد الهادي شعيرة في بحثه « الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية » إلى عدة نتائج وقد أجملها بقوله « ومجمل القول أن القصور بين قابس وطرابلس ، عددها ٢٥ قصراً ، وأن القصور من طرابلس إلى سلوق عددها ٣٨ قصراً . وأن السواحل البرقاوية ، كانت ذات قصور عديدة متقاربة ، كالسواحل الطرابلسية ، والحقيقة الأهم .. هي أن السواحل من سبتة إلى الاسكندرية ، كانت عبارة عن جبهة بحرية تتالى افيها القصور ، على مسافات متقاربة ، بحيث تتراءى فيها النيران من فوق الأبراج ، وبحيث كانت القصور تؤلف سوراً دفاعياً متيناً ... » [1]

ونتيجة لوجود هذه الحصون المتقاربة ، فلقد أمكن للتجارة أن تسير في طريق آمن ، وأن تحافظ البلاد على نفسها من هجمات العدو من البحر إذ إنه يمكن عن طريقها نقل الأخبار ، بحيث إذا ظهر العدو في البحر أو حدث هجوم ما ، نور كل حصن للذي يليه عن طريق اشعال النار فوق قممها لكي يأخذ الناس حذرهم من العدو ، وعن طريقها أمكن نقل الأخبار من الاسكندرية إلى طرابلس في ثلاث ساعات وإلى مدينة سبتة في يوم واحد . [2] وقد أبطل الخط الأول في سنة ٤٤٠ هـ ــ ١٠٤٨ م حينما ثار المغرب على الفاطميين ولم يعد في إمكانهم حماية الحصون من البدو . [3] وذلك أن المعز بن باديس لما أعلن الانفصال عن الدولة الفاطمية في مصر ، أرادوا الانتقام منه فأجازوا له قبائل بني هلال وبني سليم . وما كاد عرب بني هلال يصلون إلى نواحي إفريقية حتى عاثوا فيها فساداً، وكان من نتائج ذلك أن اقتصر ملك تميم بن المعز على شريط ضيق من الساحل يحيط بالمهدية ، ويشمل المهدية وأحوازها

---

(١) عبد الهادي شعيرة : الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية ، ليبيا في التاريخ ، ص ٢٤٧ .

(٢) ارشيبالد : نفس المرجع السابق ، ص ٢٥٤ .

– ادم متز : نفس المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٢٢ .

(٣) آدم متز : نفس المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٢٢ .

وسفاقس وقابس وجزيرة جربه ، ونتج عن انحسار ملك الدولة الصنهاجية في إفريقية إلى الساحل بسبب الضغط الذي كانت تمارسه قبائل العرب على المدن الداخلية عناية الصنهاجيين بشئون البحر ، فأسس تميم بن المعز أسطولاً ضخماً بدار الصناعة بالمهدية . [١] ولما كان المغرب الإسلامي قد امتحن بغارات أعراب بني هلال وسليم ، فقد كانت البلاد الليبية ومدنها المنتشرة على طريق المغرب ، أول ما أصيب من ذلك الداء العاصف ، فقد دمرت برقة وأجدابية وسرت وطرابلس وشتت أهلها وسلبت أملاكهم . [٢]

وعلى الرغم من كل التحصينات السابقة للطرق التجارية ، فلقد كانت هناك بعض الصعوبات التي تواجه التجارة البرية ، والتي ترجع إلى انتشار قطاع الطرق ، ومهاجمة البدو لهم ، وكثرة الرسوم والعواصف الرملية . [٣]

ومن أهم هذه الطرق البرية التي كانت تمر بليبيا ، وتصلها بالمغرب والمشرق الإسلاميين الطرق الآتية :

ـ الطريق الساحلي وهو أكثر الطرق راحة ، وأيضاً بالنسبة للتجارة والمسافرين لكثرة الحصون . [٤] ووجود نظام أبراج المراقبة على طول الساحل مما جعل هذا الطريق أكثر أمناً من غيره ، وأقل تعرضاً لهجمات البدو ، لبعده النسبي عن المناطق الداخلية ، التي تموج بالبدو الخارجين عن طاعة الدولة ومما ساعد أيضاً على تفضيل التجار لهذا الطريق وجود الموانى الكثيرة على طول الساحل [٥] . مما سهل على التجار عمليات البيع والشراء . وكان هذا الطريق

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٧٠ ، ٦٧١ .
(٢) مراجع الغناى : علاقات الامارة الصنهاجية بجيرانها ، ص ٦٦ ، ٦٧ .
(٣) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية الطبعة الاولى النهضة المصرية ١٣٦٨/١٩٤٨ ، ص ٢١٦ .
(٤) البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص ٤ ، ٦ ، ٢٤ ، ١٥ ، ٣٦ ، ٤٩ .
(٥) نفس المصدر ، ص ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ .

يخرج من الفسطاط إلى ترنوط ، وهناك يفترق الى طريقين : أحدهما يتجه إلى الاسكندرية والآخر إلى ذات الحمام ، حيث يلتقي الطريقان في ذات الحمام مرة أخرى فيسير في طريق واحد إلى برقة ماراً بعدة منازل . ومن برقة يتجه الطريق إلى قصر العسل ، ثم أوبران إلى سلوق ، ومن سلوق يفترق إلى فرقتين فرقة السكة ، [1] وفرقة على طريق الساحل ، ويتجه الأخير من سلوق إلى أن يصل إلى مدينة أجدابية حيث يلتقي مرة أخرى مع طريق السكة ومن مدينة أجدابية يفترق الطريق مرة أخرى إلى طريقين أحدهما يسير إلى طرابلس عن طريق الساحل ، حيث كان يمر على أجدابية إلى حي نجوة،عشرون ميلاً ، ومن حي نجوة إلى سبخة منهوشة،ثلاثون ميلاً ، ومن سبخة منهوشة إلى قصر العطش، أربعة وثلاثون ميلاً ،ومن قصر العطش إلى اليهوديتين هما قريتان على شط البحر أربعة وعشرون ميلاً ، ومن اليهوديتين إلى قبر العبادي أربعة وثلاثون ميلاً ومن قبر العبادي إلى سرت أربعة وثلاثون ميلاً ، ومن سرت إلى القرنين ثمانية عشر ميلاً ،ومن القرنين إلى مغمداش عشرون ميلاً ، ومن مغمداش إلى قصر حسان ثلاثون ميلاً وإلى المنصف أربعون ميلاً ، ومن المنصف الى تاورغا أربعة وعشرون ميلاً ، ومن تاورغا الى دغوغا عشرون ميلاً ، ومن دغوغا إلى ورداسا ثمانية عشر ميلاً ، ومن ورداسا إلى المجتنى اثنان وعشرون ميلاً ، ومن المجتنى إلى وادي الرمل عشرون ميلاً ، ومن وادي الرمل إلى طرابلس عشرون ميلاً [2] . هذا بينما يسير الطريق الآخر المتجه إلى إفريقية إلى الجنوب من الطريق السابق ، حيث كان يخرج من طرابلس إلى مدينة يقال لها صبرة خربة أربعة وعشرون ميلاً ، ومن صبرة الى بئر الجمالين عشرون ميلاً ، ومن بئر الجمالين الى قصر الدرق

---

(١) كان البريد يتخذ طريق السكة في أول الأمر ثم عدل عنه بعد ذلك إلى طرابلس (آدم متز جـ ٢ ، ص ٤١٩) والمقصود بطريق السكة هو الطريق الواقع إلى الجنوب من الطريق الساحلي .

(٢) قدامة بن جعفر ، كتاب الخراج ، ص ٢٢٢ ، ٢٤٤ .

ثلاثون ميلاً ، ومن قصر الدرق إلى بادرخت أربعة وعشرون ميلاً ، ومن بادرخت إلى الفوارة ثلاثون ميلاً ، ومن الفوارة إلى قابس وهي مدينة ثلاثون ميلاً ، ومن مدينة قابس إلى بئر الزيتونة ثمانية عشر ميلاً أو من بئر الزيتونة إلى كتانة أربعة وعشرون ميلاً ، ومن كتانة إلى الياس ثلاثون ميلاً ، ومن الياس إلى باب مدينة القيروان وهي مدينة افريقية أربعة وعشرون ميلاً ، [١] ومنها إلى بلاد المغرب الأقصى. [٢]

– الطريق الصحراوي.... وبالاضافة إلى طريق السكة وطريق الساحل، كان يوجد أيضاً الطريق الصحراوي،وترجع أهمية هذا الطريق إلى ما تحمله القوافل الآتية من السنغال والنيجر والسودان من ذهب ورقيق . [٣] إلى مصر وبلاد المغرب ، وقد حرص الخلفاء الفاطميون وأمراؤهم على توطيد النظام بين جماعات البدو حتى لا يتعرضوا لهذه التجارة . [٤]

وعلى الرغم مما توافر من سبل الأمن والراحة للتجار المسافرين الذين سلكوا الطريق الساحلي نتيجة لتوافر الحصون ، [٥] وغير ذلك إلا أن الطرق الصحراوية ظلت أكثر خطراً ومشقة بالنسبة لغيرها من الطرق ، وكان هذا الطريق يمر بالواحات الخارجة من صحراء مصر الغربية ، ومنها إلى الواحات الداخلة ، ثم الفرفون إلى أيش ألواح ، ومنها إلى بهنسى الواحات ، ثم إلى بلد سنترية ومنها إلى أوجلة . [٦] ومن المحتمل أن يسير عبر الواحات إلى أن يصل إلى غدامس

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

– البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١٤٢ ، ١٤٦ .

(٣) ارشيبالد ، نفس المرجع السابق ، ص ٢٥٥ .

(٤) نفس المرجع السابق والصفحة .

(٥) البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١٤ ، ١٥ .

(٦) البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١٤ ، ١٥ .

وغات ثم يتجه إلى سجلماسة وغرب إفريقية حيث مواقع الذهب .

أما فيما يتعلق بالخطوط البحرية ، فلقد كانت هناك بعض الخطوط المنتظمة بين موانىء مصر وشمال إفريقية،ومن أهم هذه الخطوط التي كانت تمر بليبيا : الخط الممتد من الاسكندرية إلى مدينة سبتة : فكانت السفن بعد اقلاعها من ميناء الاسكندرية ترسو في أول الأمر في طبرق ، أحد موانىء إقليم برقة ومنها نجد سلسلة من المواني على طول الساحل الإفريقي أهمها درنة سوسة أجدابية ، سرت ، طرابلس ، قابس — حتى يصل بها آخر المطاف إلى سبتة [1] . وفي أغلب الأحيان لم تكن ترسو السفن في كل هذه الموانىء إلا عند الحاجـــة الضروريـــة .

وقد اهتم الأغالبة ، ومن بعدهم الفاطميون بالموانىء الليبية مما زاد من ازدهارها ، فأصبح ميناء طلميثة عامراً بالناس والمراكب تقصد اليه بالمتاع الحسن من القطن والكتان ، ويتجهزون بالعسل والقطران والسمن ، في المراكب الواصلة إليه من الاسكندرية . [2] وكنتيجة لاهتمام الفاطميين بطرق الملاحة البحرية ، فقد ظهر من الطرابلسيين بحريون مهرة شغلوا مناصب كبيرة في البحرية الفاطمية أو امتلكوا سفن الشحن الكبيرة ، حتى كان بعضهم ينافس كبار القواد في المهدية نفسها ، ويستطيع الاتصال بالخليفة المعز مباشرة ، كما حفظ لنا جوذر — نصي توقيع للمعز بشأن شكوى متولي البحرية بالمهدية ، من أحد أرباب البحر والمراكب الطرابلسيين وهو ابن وسيم الاطرابلسي الذي اتهمه لدى المعز بالخيانة في شعير — كانت الأوامر قد صدرت بحمله إلى صقلية في مراكب بعض التجار معونة للغزاة . [3]

ونتيجة لهذا الاهتمام من قبل الفاطميين فقد ازدهرت الموانىء الليبيـــة

---

(١) نفس المصدر ، ص ٨٥ ، ٨٩ .

(٢) الادريسي ، وصف إفريقية الشمالية ، ص ١٠٢ .

(٣) سعد زغلول عبد الحميد : فترة حاسمة من تاريخ المغرب ، ص ٢٣٤ .

من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية ، إذ إنه في أواخر عهد المعز بإفريقية أصبحت طرابلس قاعدة لأسطول صقلية فقد عين المعز نصير الخزان الذي كان يستخلفه بالمهدية ، والياً لها ، فكانت المراكب تأتيه مع بني الحسن ولاة صقلية بأموال الجزيرة ، وغنائم الروم هناك ، فينفق منها على صيانة الأسطول ويدفع مرتبات رجاله ويرسل للخليفة بياناً بذلك ، وبما تبقى لديه من الأموال ، ويصف له استقامة أحوال البلدة .

هذا كما ازدهر ميناء طبرق أحد موانىء إقليم برقة ، حتى أصبح ذا أهمية عسكرية بالنسبة للمعز لدين الله حيث استطاع أن يستعمله للتدخل في شئون كريت بعد أن عجزت الخلافة العباسية ومصر عن حماية مسلمي الجزيرة ، وطلب هؤلاء المساعدة من المعز. [1] كما نشطت الحركة التجارية في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) بين شمال افريقية والبندقية وخاصة مع المهدية وطرابلس ، الخاضعتين آنذاك للحكم الفاطمي الذي كان يشمل صقلية ومالطة ،وتشهد محاضر مجلس الشيوخ بالبندقية على وجود مثل هذه العلاقات حتى سنة ٩٧١ م . [2]

ولا شك أن اليهود كان لهم دور كبير في شمال إفريقية وبخاصة في التجارة بين الشرق والغرب ، ويوضح لنا ابن خرداذبة في هذا الدور بقواه : فكانوا يركبون من فرنجة في البحر الغربي فيخرجون بالفرما ، ويحملون تجارتهم على الظهر إلى القلزم ، وبينهما خمسة وعشرون فرسخاً ، ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم إلى الجار وجدة ، ثم يمضون إلى السند والهند والصين فيحملون من الصين المسك والعود ، والكافور والدارالصيني وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي حتى يرجعوا إلى القلزم ، ثم يحملونه إلى الفرما ، ثم يركبون في البحر

---

(١) نفس المرجع ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٢) ايتوري روس : ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١ الطبعة الأولى بيروت ، ١٣٩٤/ ١٩٧٤ ، ص ١٣٠ .

الغربي ، فربما عدلوا بتجارتهم ، إلى القسطنطينية فباعوها من الروم وربما صاروا بها إلى ملك فرنجة فيبيعونها هناك،وإن شاءوا حملوا تجارتهم من فرنجة في البحر الغربي، فيخرجون بأنطاكية ويسيرون على الأرض ثلاث مراحل إلى الجابية ، ثم يركبون الفرات إلى بغداد ثم يركبون في دجلة إلى الأيلة ، ومن الأيلة إلى عمان والسند والهند والصين كل ذلك متصل بعضه ببعض » [1] .

وكان أحد الطرق التجارية لليهود الرذانية ، هو الطريق البري الذي يبدأ من غرب أوربا ويتجه إلى المشرق ابتداء من الأندلس إلى طنجة عبر مضيق جبل طارق ، مجتازاً المغرب الأقصى والأدنى والأوسط ، عن طريق افريقية حتى يصل إلى مصر ، ومن مصر إما يتجه إلى بلاد الشام ماراً بالرملة ودمشق ثم إلى العراق ماراً بالكوفة ثم إلى فارس ماراً بالأهواز ثم إلى كرمان والهند والصين أو يتجه إلى القلزم عبر البحر الأحمر إلى الجار وجدة كما ذكرنا . [2] وبالاضافة إلى هذا الطريق البري ، فلا شك أن اليهود كان لهم دور هام في التجارة البحرية وبخاصة يهود المغرب عامة وليبيا خاصة ، ولا سيما في التجارة بين الشرق والغرب ، وتحكي لنا وثائق الجنيزة أن طرابلس كانت مدينة تجارية هامة وكانت ترسو بها السفن الملاحية والعاملة بين الشرق والغرب . فقد ورد في خطاب من الجنيزة أن أربع سفن أبحرت من الاسكندرية إلى طرابلس في يوم واحد ، وكانت أصغر الموانيء بين الاسكندرية وطرابلس هي موانيء طبرق وسرت وبرقـــة . [3]

وكانت معظم هذه السفن تخرج من هنالك ببعض المصنوعات الحريرية التي تصدر من طرابلس بليبيا إلى مصر ، وهي تشبه الصناعات الجيدة التي

---

(١) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٣) Goitein : A Mediterranean Society of the High Middle Ages. I New York 1967, p. 212.

اشتهرت بها مدينة الطالقان الفارسية ويخمن جواتين أن هذه المصنوعات إما أنها استوردت من الطالقان إلى ليبيا وأعيد تصديرها إلى مصر ، أو أن تكون قد صنعت في ليبيا ذاتها . [1]

وتذكر هذه الوثائق أن هناك تجاراً من شمال إفريقية اشتغلوا في تجارة الشرق . فشواطىء شرق إفريقية ، وجنوب الجزيرة العربية والهند وسيلان قد امتلأت بأناس جاءوا من شمال إفريقية إلى هذه البلاد . ولم يكن مجيئهم فقط من المدن الكبيرة في المغرب ، مثل برقة وطرابلس والقيروان والمهدية وتلمسان ، وسجلماسة ، وطنجة ، وملقة ، وإنما من بلاد صغيرة مثل نفوسة في طرابلس ولوربس في تونس ودرعا في المغرب . وتعكس هذه الوثائق تاريخ شمال إفريقية الاقتصادي وتوضح لنا أن هذه البلاد كانت في القرون الأولى للإسلام ، منطقة غنية جذبت اليها تجار الفرس والعراق وسوريا . [2]

ولا شك في أن الذي جذب هؤلاء التجار إلى شمال إفريقية لم يكن غناها ، وإنما جذبهم اليها كثرة الذهب في غربها ، ولذا وجدنا في شمال افريقية كثيراً من التجار الآسيويين الذين جاءوا اليها من نيسابور وسمرقند ، وواسط ، والبصرة ، وغيرها ، والذين قاموا بدور نشيط في تجارة الشرق . [3]

وإننا لندهش حين نعلم أن ٨٠٪ من وثائق الجنيزة خاصة بالمغاربة الأمر الذي يجعلنا نظن أن الجنيزة كانت خاصة بالمغاربة الذين وفدوا إلى مصر . فقد وفد إلى مصر من سنة ١٠٠٠ م فصاعداً أعداد كبيرة من المغاربة جاءوا ليعملوا في

---

(١) Goitein : Op .cit., p. 50.

(٢) Goitein : The Cairo Geniza as a Source for the History of Muslim civilization, Studia Islamica, V. III, 1955, p. 80-81.

— Goitein : Studies in Islamic History and Institutions, Leiden 1968, p. 344.

(٣) Goitein : The Cairo Geniza as a Source of the History of Civilization, Studia Islamica, V. III 1955, p. 81.

تجارة الهند ، وهنالك أكثر من ٤٠٠ خطاب ووثيقة خاصة بالتجار المغاربة في الجنيزة ، والتي بها أسماء الأندلسي والفاسي والتاهرتي والطرابلسي . (١)

ولا شك أن التجارة هي دافع هجرة اليهود إلى الشرق من المغرب ، إذ تذكر هذه الوثائق أن غالبية التجار اليهود انخرطوا في تجارة الشرق واستقر عدد كبير منهم في مصر واليمن أو في الهند نفسها . وتذكر لنا إحدى الوثائق أن يهوديين يشتغلان بتجارة الجواهر ، من شمال إفريقية هاجرا إلى سيلان واستقرا بها ١١٤٠ م . ولقد نزح معظم تجار يهود عدن من شمال إفريقية في الغالب في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي بهدف الاشتراك في تجارة الشرق . (٢)

وورد في وثائق الجنيزة وثيقة يرجع تاريخها إلى ١٠٩٧ — ١٠٩٨ م تشير إلى اسم عائلة اللبدي نسبة إلى بلدة في ليبيا . وكان رب هذه الأسرة الليبية يسمى أيضاً بالتاجر الطرابلسي . ولا يخلو الأمر أن يكون هناك من سبقه من أبناء هذه المدينة وحمل هذا الاسم ، واشتغل بتجارة الشرق . وقد اشترى يوسف اللبدي هذا منزلاً بالقاهرة بمبلغ ٣٠٠ دينار ، واستقر هنالك منذ ذلك التاريخ هو وعائلته . (٣)

كما أن من بين وثائق الجنيزة وثيقة تتعلق بابنه الذي كان يتاجر في تجارة الهند مثل أبيه ، وقد عاد من رحلة ناجحة في تجارة الشرق إلى القاهرة ، وتحكي الوثيقة الخاصة بيوسف اللبدي كيف أنه رحل من ليبيا إلى تونس قبل أن يسافر إلى الهند ، وكانت تونس في ذلك الوقت أزهر بلاد البحر المتوسط ، وفي مدينة المهدية عاصمة البلاد أعطى أحد القضاة صفقة من خرز ليوسف اللبدي ليتجر بها في الهند لحسابه الخاص ، ثم سافر إلى القاهرة ، وفيها تسلم كمية من

---

(١) Goitein : A Mediterranean Society, p. 20.

(٢) Goitein : Jews and Arabs, their contact through the ages, New York 1955, p. 115.

(٣) Goitein : From the Mediterranean to India, Documents on the trade to India. SPECUIM, V. XXIX, 1954, No. 2 Part 1, p. 191.

البضاعة من كبير التجار بكتويل بن الطيب وكانت تحتوي على ملبوسات متنوعة وأوان فضية، ونحاسية وأدوية وعقاقير مختلفة، وحقيبة بها عشرون ديناراً ذهباً ، ومن القاهرة اتجه اللبدي إلى قوص عبر النيل ، وبعد ذلك حمل البضائع على الجمال ، واخترق صحراء عيذاب ومنها ركب إلى الهند .[1]

وكانت التعليمات التي أعطاها بكتويل إلى اللبدي بشأن البضاعة التي معه أن يسلم نصفها إلى وكيله في عدن حسن بن بوندار ليشتري له بثمنها فلفلاً من ملبار ، والنصف الثاني يسير به اللبدي إلى جزيرة شمال بومباي ، ويبيعه فيها ويشتري بثمنها صمغاً، فأبحر يوسف من عيذاب رأساً إلى دهلك دون المرور بسواكن . وفي دهلك باع الملبوسات التي معه لأنها جاءت له بأسعار عالية ، كذلك باع في دهلك العقاقير والمعادن التي معه ، ولما وصل إلى عدن أعطى لوكيل تجار عدن ما أمره به بكتويل وسار من عدن إلى الهند حيث حدثت له كارثة في طريقه ويبدو أن سفينته قد غرقت فعاد اللبدي إلى القاهرة حيث دفع إلى بكتويل ٢٠٠ دينار ، منها ١٠٠ دينار بضائع والأخرى نقداً[2] .

وعلى الرغم من تأخر وثائق الجنيزة عن الفترة موضوع دراستنا إلا أنها توضح لنا أعداد التجار المغاربة واليهود خاصة الذين وفدوا على الشرق من أجل الاشتغال بالتجارة في مصر والهند ، واستقروا بهما وأن كثيراً من هؤلاء اليهود كانوا من المدن الليبية ، كما تبين هذه الوثائق أن هجرة هؤلاء التجار قد ازدادت مع نهاية القرن العاشر الميلادي ، أي من انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر ، ومعنى هذا أن اشتغالهم بالتجارة مع الشرق كان مستمراً في العصور الإسلامية الأولى، إلا أنه ازداد ونشط بانتقال الفاطميين إلى مصر فقد زادت هجرة اليهود اليها لما لمسوه من سياسة التسامح الديني التي جرى عليها الخلفاء الفاطميون إزاء

(١) Goitein : Op. Cit., p. 192.

(٢) Ibid, p.p. 193-194.

أهل الذمة في مصر ولما لمسوه أيضاً من تشجيع الفاطميين للحركة التجارية لما كانت تحققه لدولتهم من ازدهار اقتصادي ، ومن ولاء سياسي ، ومذهبي في بلدان العالم الإسلامي .[1]

ركب الحجاج المغاربة

ومما لا شك فيه أيضاً ، أن الحجاج قد لعبوا دوراً هاماً في التجارة بين الشرق والغرب الإسلاميين ، فقد ذكر لنا العياشي أثناء رحلته التي قام بها من تونس إلى مكة لأداء فريضة الحج ، أن ركب الحجاج المغاربة كان يخرج من أنحاء المغرب ، ثم يخرج ذلك الركب إلى مدينة سفاقس ، ومنها يتجه شرقاً عن طريق الساحل إلى أن يصل إلى مدينة طرابلس . ومن هنا يستمر في السير فيمر ببعض المدن والمناطق الساحلية مثل تاجورا وسدرات العشاء ووادي الرمل ولبدة ، وتارغلات ، وزليتن ، ومزاتة والهايشة ، قصور حسان وسرت والشقة واليهودية ، وقصر العطش ، أم الغرانق ، المنعم ، ثم يتجه إلى سلوق . ومن سلوق ينحرف الطريق جنوباً عبر منطقة السروال ، التي تمتد إلى الجنوب من الجبل الأخضر ، فيمر ببعض المناطق الداخلية مثل الخروبة والمخيلى ، ومن المخيلى ينحرف الطريق نحو الساحل فيمر بالتميمي وعين الغزالة ، ودفنة ، وبقبق ، ثم يتجه إلى العقبة ومنها إلى الاسكندرية .[2]

وكانت عادة ركب الحجاج ، إذا دخل طرابلس أن يقيموا بها نحواً من شهر يستعدون فيها لدخول المفازة التي قل نظيرها ، وهي مفازة برقة ومن طرابلس يشتري الحجاج ما يحتاجون من الابل والقرب ويتخذون زاداً نحواً من ثلاثة أشهر إلى مصر.[3]

---

(١) عطيه أحمد محمود القوصي : تجارة مصر في البحر الاحمر منذ فجر الإسلام ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٢) العياشي : رحلة العياشي ، جـ ١ ، ص ٥٩ وما بعدها .

(٣) حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ٥٩٧ .

ولا شك أنهم كانوا يفدون إلى ثغر عيذاب عن أحد طريقين ، أحدهما طريق قوص الذي يتفرع إلى فرعين ، أحدهما يعرف بطريق العبدين ، والثاني يعرف بطريق دون ، وهي قرية على شاطىء النيل . والثاني فهو طريق مدينة أسوان . وقد أقام حجاج مصر والمغرب أكثر من مائتي سنة لا يذهبون إلى مكة لأداء فريضة الحج إلا من صحراء عيذاب ، فكانوا يركبون السفن من ساحل مدينة مصر ، حتى مدينة قوص ثم يركبون الابل من قوص ، او من أسوان ثم يعبرون هذه الصحراء إلى عيذاب ، ويركبون البحر إلى جدة ، وكانت المراكب تسير بالحجاج شرقاً إلى جدة ميناء الحجاز أو بالبضائع جنوباً إلى بلاد اليمن ، وعدن حيث تستأنف سيرها إلى سواحل بلاد الهند والصين ، ثم تعود محملة بالبضائع إلى عيذاب ومنها إلى الساحل المصري . (١)

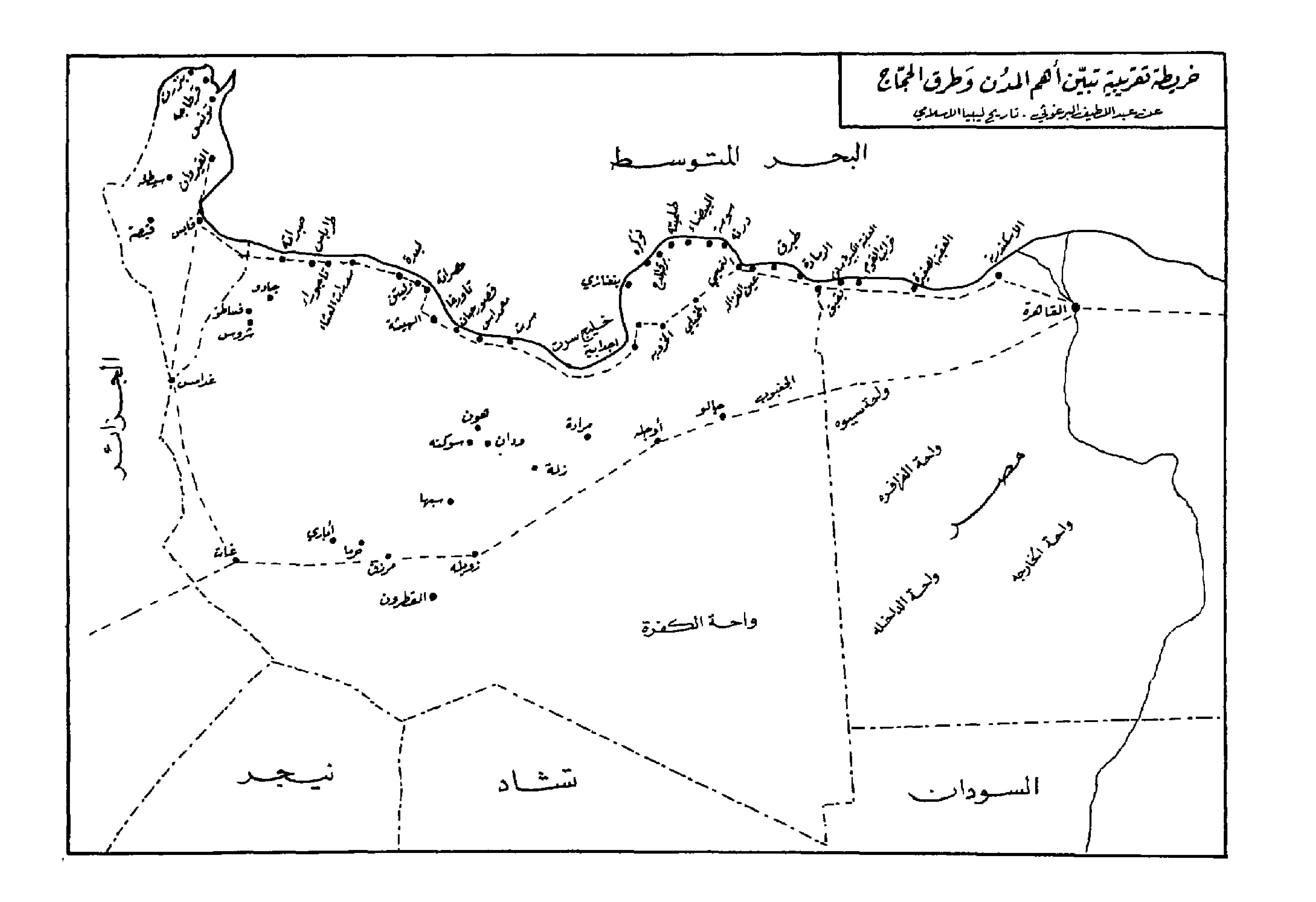
ومما لا شك فيه أن الحجاج المغاربة كانوا إلى جانب أداء فريضة الحج ينقلون ما يستطيعون نقله من بضائع هذه المنطقة إلى بلاد المغرب ويعودون إلى مصر ببضائع المغرب، وخاصة الكبريت اذ يذكر العياشي أنه بالقرب من أم الغرانيق كان يوجد مقطع للكبريت في آبار كثيرة يحمل منها كالطين ، ومن هنا يحمل إلى طرابلس وكذلك إلى مصر والاسكندرية ، ويذهب منها مع الركب إلى مصر في كل سنة أحمال كثيرة ، لأن العرب الذين يحملون الكراء من مصر إلى طرابلس للحجاج ، إذا رجعوا حملوا على ما فضل من إبلهم من الكراء كبريتاً . (٢)

وبالاضافة إلى هذا الطريق ، من المرجح أن الحجاج المغاربة كانوا يسافرون لأداء فريضة الحج عن طريق غات مصر ، أي طريق الواحات الليبية المصرية ، وهو إحدى الطرق التجارية الهامة ، حتى يصل إلى مدينة القاهرة ومنها يتجه نحو مكة عن طريق الحجاز .

---

(١) حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ٥٩٧ .

(٢) العياشي : رحلة العياشي ، جـ ١ ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .



خريطة تقريبية تبين أهم المدن وطرق الحجاج
عن عبد اللطيف البرغوثي . تاريخ ليبيا الإسلامي
البحر المتوسط
القاهرة
الإسكندرية
طبرق
درنة
بنغازي
خليج سرت
إجدابية
أوجلة
جالو
الجغبوب
واحة سيوه
مرادة
زلة
ودان
هون
سوكنة
سبها
زويلة
مرزق
القطرون
غات
غدامس
قابس
قفصة
جادو
صبراتة
طرابلس
واحة الكفرة
مصر
واحة الفرافرة
واحة الداخلة
واحة الخارجة
الجزائر
نيجر
تشاد
السودان

المعاملات المالية

كان العرب قبل الإسلام يتعاملون بالدنانير البيزنطية إلى جانب الدراهم الفارسية [1] إلى أن جاء الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فأقر أهل مكة على ذلك وعمل بذلك الخليفة أبو بكر رضي الله عنه أيام خلافته ، ولم يغير منه شيئاً ، ولما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أقر النقود على حالها ولم يعرض لها بشيء حتى كانت سنة ١٨ هـ، وهي السنة السادسة من خلافته ، فضرب الدراهم على نمط الدراهم الفارسية ، غير أنه زاد في بعضها « الحمد لله » وعلى بعضها « رسول الله » وعلى الآخر «لا إله إلا الله وحده » وعلى آخر « عمر» ، وجعل وزن كل عشرة دراهم ستة مثاقيل ، ولما بويع عثمان رضي الله عنه ضرب الدراهم ونقش عليها « الله أكبر » وعندما بويع معاوية بن أبي سفيان واجتمع له الأمر ضرب الدراهم ، هذا كما ضرب عبد الله بن الزبير بمكة الدراهم المدورة ، فكـــان أول من ضرب الدراهم المستديرة ونقش بأحد الوجهين « محمد رسول الله » وبالآخر « أمر الله بالوفاء والعدل » ، وضرب أخوه مصعب بن الزبير الدراهم بالعراق [2] .

ولم تثبت هذه النقود التي سكها خلفاء الدولة الإسلامية على وزن واحد بل كانت متغيرة الأوزان ، هذا كما ظل العرب يتعاملون بالنقود الأجنبية جنباً إلى جنب مع النقود الإسلامية . [3]

ومن المرجح أن تعريب النقد وتوحيده ، والاستغناء عن النقود الأجنبية

---

(١) سيده اسماعيل كاشف : مصر في فجر الإسلام دار الفكر العربي ١٩٤٧ ، ص ٦٥ .
– ادم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ ٢ ، ص ٣٧٥ .

(٢) المقريزي : النقود الإسلامية قسطنطينة ، ص ٤ ، ٦ ، اغاثة الامة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٣٥٩/١٩٤٠ ، ص ٥١ ، ٥٢ .

(٣) سيده اسماعيل كاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ١٦ .

رومية كانت أو فارسية ، كان جزءاً من سياسة عبد الملك بن مروان التي استهدفت تعريب مؤسسات الدولة ، كما أنه كان رمزاً للسيادة الكاملة للدولة العربية وأن إصلاح عبد الملك وإن بدأ حوالي سنة ٧٤ هـ / ٦٩٢ — ٦٩٣ م ، إلا أن ضرب النقود استمر بأشكالها القديمة عدة سنوات بعد هذه النتائج ، وأن أقدم دينار إسلامي عثر عليه لعبد الملك مؤرخ سنة ٧٦ هـ ، وهذا الدينار ضربه عبد الملك على الطراز البيزنطي وفيه تصوير يمثل الخليفة متقلداً سيفاً ، وفيه تاريخ الضرب بحروف كوفية ، ثم ضرب عبد الملك الدنانير على النمط نفسه سنة ٧٧ هـ ، وفي نفس السنة أحدث عبد الملك ضرب الدينار على طراز إسلامي عربي مغاير للطراز البيزنطي ولا يحمل إلا كتابات كوفية . واستمر ضرب النقود بهذا الشكل الأخير إلى نهاية العصر الأموي .[1]

كما ضرب عبد الملك بن مروان الفلوس النحاسية ، ففي مجموعة الحاج عبد الله الصراف ، فلسان باسم الخليفة عبد الملك بن مروان . ففي مركز وجه الفلس الأول ، نقشت صورة الخليفة وهو واقف وشعره مسترسل على كتفيه ، ويمسك بيده سيفاً ، وهو علامة الإمامة عند المسلمين ، وكتب إلى الجهة اليمنى « عبد الله عبد الملك » وفي اليسرى أمير المؤمنين ، وعلى الظهر نقشت صورة عمود على مدرج من أربع درجات ، كان محمل الصليب أصلاً وعلى يمين المدرج كتب اسم مدينة الضرب « حلب » ونقش في الهامش : لا إله إلا الله وحده ، محمد رسول الله[2] . أما الفلس الثاني ، ففي مركز الوجه نقش صورة الخليفة وهو واقف بوضعية أمامية ، ويمسك بيده سيفاً أيضاً ويحيط رأسه بهالة وهي أقدم هالة معروفة في التصاوير الإسلامية حتى الآن ، وإلى يمين الصورة

---

(١) سيده إسماعيل كاشف : دراسات في النقود الإسلامية ، مستخرج من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد الثاني عشر ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ ، ص ٧٥ ، ٧٨ .

(٢) د . عيسى سليمان : المسكوكات المصورة في مجموعة عبد الله الصراف مجلة المسكوكات ، بغداد ، العدد الثاني ١٩٦٩ ، ص ١٧ .

نقشت العبارة « لعبد الله » وعلى وجهة اليسار « أمير المؤمنين » بالخط الكوفي ، أما كتابات ونقوش الظهر فتشبه ما هو موجود على الفلس الأول عدا اسم مدينة الضرب « حمص » بدل حلب [1] .

ومنذ أن أحدث عبد الملك ضرب الدينار المغاير للدينار البيزنطي أصبحت قيمته ثابتة ، وأصبح الدينار يضرب في كافة دور الضرب ، في أرجاء الأمبراطورية الإسلامية طوال العهد الأموي . [2]

أما نقود إفريقية والأندلس فإنه يحيط بها غموض كبير ، وبخاصة منذ عهد عمرو بن العاص ، وفتوحه ، في برقة وطرابلس إلى عهد موسى بن نصير اذ لم يكن لدى العرب فرصة لتدعيم مركزهم السياسي بل الاقتصادي في هذه البلاد الافريقية ، والأندلسية ، فترك الخلفاء لوالي إفريقية حرية التصرف في إصدار السكة على الطراز المحلي ، حتى أصبحت نقود المغرب ، لها شخصية مستقلة عن نقود المشرق فيعصر الولاة ،ومن الثابت أن ولاة إفريقية سمحوا بتداول السكة البيزنطية ذات الكتابات اللاتينية ، والشارات المسيحية في أول الأمر ثم اتبعوا بعد ذلك خطوات إصلاحية تدريجية منذ عهد موسى بن نصير الذي ضرب النقود على الطراز البيزنطي السائد ، سجل عليها نصوصاً بحروف لاتينية . [3] هذا وقد اتخذ موسى بن نصير كثيراً من المسكوكات النحاسية أينما حلت ركابه من بلاد المغرب ، فله فلوس نحاسية ضربها في طرابلس وعليها اسم موسى بن نصير ، أو موسى فحسب باللاتينية ، وقد ضرب مثلها في طنجة وفي بلاد الأندلس بعد فتحها [4] .

---

(١) عيسى سليمان : نفس المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٢) حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ٦١٧ .

(٣) عبد الرحمن فهمي : موسوعة النقود العربية ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٤) حسن حسني عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية ، ص ٤٠٧ .

La Voix : Catalogue des Monnaies Musulmanes, T. VII, pp. 41-42-43.

وإلى وقت قريب كنا نعرف أن أول دينار إسلامي ضرب في إفريقية يرجع تاريخه إلى سنة ١٠٢ هـ ، [١] غير أن محمد أبو فرج العش . المحافظ الرئيسي للمتحف الوطني بدمشق ، يذكر أن أقدم دينار عربي يحمل اسم إفريقية ضرب سنة ١٠١ هـ ، وأن هذا الدينار لم يسبق نشره بعد . وهو من مجموعة السيد الياس بسترس في بيروت وقد سمح له بنشره . [٢]

كما قام الأغالبة في إفريقية بسك العملة بأسمائهم في القيروان مقروناً باسم الخليفة العباسي ، فضرب ابراهيم بن الأغلب ديناراً، ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م بلغ عياره ٤,٢٢ جراماً سجل عليه اسم الخليفة العباسي هارون . وفي وسطه نقش لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق [٣] .

كما ضرب الدرهم سنة ١٨٤ هـ ، ونقش عليه « لا إله إلا الله وحده لا شريك له » ضرب هذا الدرهم بإفريقية سنة أربع وثمانين ومائة ، وفي الوجه الثاني غلب محمد رسول الله ﷺ إبراهيم ، مما أمر به الأمير المأمون عبد الله أمير المؤمنين ، كما ضرب الدراهم كل من محمد الثاني (٢٥٠ هـ — ٢٦١ هـ) وإبراهيم الثاني (٢٦١ هـ — ٢٩٠ هـ) هذا كما سك زيادة الله (١٩٧ — ٢٠١ هـ / ٨١٢ — ٨١٦ م) دنانير باسمه مقروناً باسم أبو العباس بن عبد الله . [٤] وكانت الدراهم الأفريقية قد ضربت وعليها اسم إفريقية ابتداء من سنة ٩٨ [٥] .

---

(١) عبد الرحمن فهمي : نفس المرجع السابق ، ص ٨١ .
— حورية عبده سلام : نفس المرجع السابق ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

(٢) محمد أبو الفرج العش : مصر القاهرة — على النقود العربية الإسلامية هامش ١ ص ٥ .

(٣) حورية عبده سلام : نفس المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .

(٤) حورية عبده سلام : نفس المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .
— عبد الرحمن فهمي : نفس المرجع السابق ، ص ٤٩ ، ٥٠ .
La Voix : Op. cit., p. 20.

(٥) عبد الرحمن فهمي : نفس المرجع السابق ، ص ٢٥٣ .

وليس ثمة شك في أن بعض أمراء الأغالبة سكوا دنانير تحمل أسماءهم .

وفي فترة النزاع بين القواد في مصر في عهد الخليفة المأمون للاستئثار بالسلطة في البلاد نجد أحد هؤلاء القواد وهو السري بن الحكم الذي استطاع أن يبسط نفوذه على الوجه القبلي من مصر إلى أسوان سكّ دنانير ذهبية نقش على بعضها اسم الفضل ، وزير المأمون إلى جانب اسمه ومؤرخة في الفترة من سنة ٢٠٠ إلى ٢٠٥ هـ.[1] .. والأمر الذي يسترعي الانتباه أنه نقش على بعضها لفظ (مصر — المغرب) .

فذكر اسم المغرب بجوار اسم مصر على السكة التي ضربت في مصر في ذلك الوقت ، كان يعني امتداد نفوذ مصر إلى برقة على الأقل ، وخاصة أن دولة الأغالبة كانت في هذه الفترة في عزّ قوتها ، كما أن ذكر المغرب إلى جانب مصر يتيح لهذه العملة التداول في البلدين معاً وهو أمر تتطلبه العلاقات التجارية المتبادلة بينهما . ولم يذكر اسم المغرب على الدنانير فقط بل على الدراهم أيضاً ، حيث سجل على أحد وجهي أحد هذه الدراهم عبارة « ضرب في فسطاط مصر » وعلى الوجه الآخر كلمة « المغرب » .[2]

وهكذا نجد أن التعامل في المغرب ، كان بالدنانير والدراهم إلى جانب الفلوس ، وكانت الأخيرة تضرب في القيروان أو في أي مدينة سك أخرى في الأقاليم التي تمتد من برقة شرقاً إلى طنجة وتلمسان غرباً .[3]

هذا كما ظل التعامل بالدينار الذهبي في العصر الفاطمي في بلاد المغرب ، إذ حرص الفاطميون عند فتحهم للمغرب على سك نقود خاصة بهم . فقد سك أبو عبد الله الشيعي النقود بالمغرب ، من غير أن ينقش عليها اسم ، بل جعل في

---

(١) Lane Pool : Catalogue of the Collection of Arabic coins preserved in the Khedival library at Cairo to London 1897, pp. 69-70.

(٢) حورية عبده سلام : نفس المرجع السابق ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٣) عبد الرحمن فهمي : نفس المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

أحد وجهيها « بلغت حجة الله » وفي الآخر « تفرق أعداء الله » هذا كما ضربت النقود من بعده في إفريقية في عهد كل من القائم والمنصور (۱) والمعز لدين الله الذي يعد عصره من أخصب عصور إفريقية في الأحداث والمسكوكات ، فقد ضرب المعز النقود وامتدت دائرة سكها من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي ، فمن قابس إلى سجلماسة إلى المنصورية « صبرة » إلى القيروان والمهدية إلى صقلية إلى طرابلس (۲) .

وكان الدينار الذهبي هو وحدة التعامل الرسمية المتداولة في الأسواق المغربية ، والتي تتم بها عمليات البيع والشراء وتحصيل الضرائب والمكوس . وقد توافرت المقادير اللازمة من الذهب لدور الضرب في بلاد المغرب لما كان يرد اليها من ذهب من غرب إفريقية . (۳)

وبالاضافة إلى ذلك فليس ببعيد أن تجار المغرب عرفوا السفاتج كنوع من التعامل فيما بينهم وكذا في علاقاتهم التجارية الخارجية وخاصة أن هذه الطرق تجعل أموالهم ، في مأمن من اللصوص وقطاع الطرق ، لطول المسافة وبعد الطريق . (٤) وقد وجدت في وثائق الجنيزة سفتجة مرسلة من أحد تجار طرابلس بليبيا إلى تاجر بالفسطاط ، بمبلغ مائتي دينار . (٥) كما استخدمت الصكوك في المعاملات التجارية في بلاد المغرب ، ويذكر أن تجار سجلماسة كانوا يتبادلون فيما بينهم صكوكاً تناهز قيمتها أربعين ألف دينار . (٦) وقد ذكر ابن حوقل أنه رأى بأودغشت صكاً فيه حق لأحد التجار على رجل من تجار سجلماسة بإثنين وأربعين ألف دينار . (۷)

---

(۱) ابن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٧٥ .

(۲) حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية ، ١٥ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ .

(۳) De La Roncière : Op. cit., p. 146-147.

(٤) حورية عبده سلام : نفس المرجع السابق ، ص ٣٥٢ .

(٥) عطيه أحمد محمود القوصي : تجارة مصر في البحر الاحمر ، ص ٢٤٤ .

(٦) الاصطخري : المسالك والممالك ، ص ٣٧ ، ٣٨ .

(۷) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٦ ، ٩٧ .

الدراسات الإسلامية واللغوية والأدبية

الدراسات الإسلامية

أ ــ العلماء الوافدون والاهتمام بالدراسات الإسلامية

لقد بدأ الاهتمام بالدراسات الإسلامية في وقت مبكر صاحب دخول الإسلام وانتشاره التدريجي بالمنطقة، وقد أتى هذا الاهتمام من الخارج في الفتح العربي، أو بعده بقليل بغية نشر الإسلام وتفقيه الناس في أمور دينهم، إذ كانت جيوش الفتح دائماً تزخر بكبار الصحابة والتابعين الذين انخرطوا في سلك الجندية وأصبحوا مجاهدين في سبيل الله، وناشرين للدين الإسلامي وشارحين للناس تقاليده، وكان من بين من دخل بلاد المغرب من الصحابة[1] والتابعين أعلام

---

(١) دخل إفريقية من الصحابة أبو سعيد المقداد عمر القضاعي، وأبو اليسر كعب بن عمر الانصاري وعبد الله بن الجهني، وأبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر الخطاب، وأبو ذر الغفاري، وأبو عبد الله عمر بن عوف وسلمة بن عمر بن الاكوع الاسلمي، وأبو زمعة عبيد بن أرقم البلوي، وأبو سعيد المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي، وأبو عبد الرحمن بن خويلد الأسلمي، وأبو محمد فضالة بن عبيد الأنصاري، وأبو العباس عبد الله ابن عيسى بن المطلب بن هاشم، وأبو بكر عبد الله بن الزبير بن العوام، وعبد الله بن عمر ابن العاص وعقبة بن عامر الجهني، ورويقع بن ثابت بن عدي، وحمزة بن عمر، وأبو عبد الله =

عرفوا برواية الحديث والفقه في الدين ، كما بعث عمر بن عبد العزيز أثناء خلافته إلى إفريقية بعشرة من كبار التابعين يعلمون الناس دينهم ويشرحون لهم تقاليده ، ويبثون مبادئه ، وقد تم ذلك في مطلع القرن الثاني الهجري [1] .

ونظراً لتوسط موقع ليبيا بين الغرب والشرق الإسلاميين فقد أعطاها ذلك فرصة مرور العلماء والأدباء الذاهبين من المغرب إلى المشرق وبخاصة في موسم الحج ، أو الذاهبين من المشرق إلى المغرب لأسباب سياسية أو تجارية أو غير ذلك ، وكان لا بد لهم أن يمروا بليبيا ،وكان مرورهم بالمدن الليبية يشكل أشبه ما يعرف اليوم بالمواسم الثقافية ، لأنه كان يتيح للطلاب والدارسين الليبيين الذين لم تكن إمكانياتهم تسمح لهم بالرحلة في سبيل العلم ، أن يلتقوا بالعلماء والأدباء الزائرين فيستزيدوا منهم علماً وثقافة ، كما كانت هذه المناسبات تتيح الفرصة للعلماء والأدباء الزائرين أنفسهم ،للقاء العلماء والأدباء المستقرين في ليبيا أو الطارئين عليهم ، فيتبادلون معهم الأفكار ، ويستفيدون منهم ويفيدونهم. [2]

= عبد الرحمن بن أبي بكر ، وأبو عبيد الرحمن بلال بن الحارث ، وأبو عبد الرحمن المصور القرشي وجبلة بن عمرو الأنصاري ، وأبو يحيى عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ومعاوية ابن حديج والمطلب بن أبي وداعة وربيعة بن عباد الدؤلي ، وزياد بن حارث الصائي، وأبو اليمن سفيان بن وهب الخولاني ، وأبيض بن حمال السبئي ، وأبو اليقظان ، وأبو عبد الرحمن بسر ابن أرطأة العامري (حورية : علاقات مصر ببلاد المغرب ، هامش ١ ، ص ٢٨٥) .

(١) وهم موهب بن حي المعافري ، حيث أقام في إفريقية حتى مات بها،وحيان بن أبي جبلة ، واسماعيل بن عبد الله الأعور القرشي ، واسماعيل بن عبيد مولى الأنصار وطلق بن حابان ، وبكر بن سوادة الجذامي وعبد الرحمن بن رافع التنوخي ، وأبو عبد الرحمن الجبلي ، واسمه عبد الله بن يزيد ، وسعيد بن مسعود التجيبي وأبو سعيد جعفل بن هاعان بن عميرة (أبو العرب تميم ، طبقات علماء إفريقية الدار التونسية ١٩٦٨ ، ص ٨٤ ، ٨٦) .
— أحمد مختار عمر — النشاط الثقافي في ليبيا ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٢) عبد اللطيف البرغوثي ، تاريخ ليبيا الإسلامي ، ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .

ومن أشهر العلماء الذين مروا بليبيا والقوا دروسهم فيها ، الإمام سحنون ابن سعيد بن حبيب التنوخي الذي انتشر مذهب الإمام مالك على يديه . فقد ولي سحنون منصب القضاء بالمغرب دون أن يتلقى أجراً على ذلك ، وبقي فيه ست سنوات إلى أن مات سنة ٢٤٠هـ وكان قدومه إلى إفريقية سنة ١٩١هـ . ويبدو أنه نزل أول ما نزل، بمدينة أجدابية ، فقد ذكر حمد يس بن القطان أنه سمع سحنون بن سعيد يقول ، سمع مني العلم سنة إحدى وتسعين ومائة أهل أجدابية . [1] ثم انتقل بعد ذلك إلى طرابلس فاتخذها مقاماً له فترة من الزمن وكان سحنون شديد الإعجاب بتلاميذه فخوراً بهم كثير الثناء عليهم ، فقد حدث أبو العرب : أخبرني جبلة بن حمود الصدفي قال : سمعت سحنون ابن سعيد يقول : كان بإفريقية رجال عدول ، بعضهم بالقيروان وتونس وطرابلس ... » وذكر من فضلهم ما رأى منهم فقال : « لو قرنوا إلى مالك ابن دينار لساووه »[2] وسئل سحنون ذات مرة عن الصالحين ، فقال : رأيت بطرابلس رجالاً ما الفضل بن عياض أفضل منهم . [3]

---

(١) أبو العرب تميم : طبقات علماء إفريقية ، ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٥٤ ، ومالك بن دينار ، وهو يحيى مالك بن دينار الشامي، عالم محدث مات بالبصرة سنة ١٣٠ هـ (نفس المصدر هامش ٢ ، ص ٥٤). ويذكر ابن قتيبة ان مالك ابن دينار « مولى لبني سارحه بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ، ويكنى أبا يحيى ، وكان يكتب المصاحف بالاجرة ومات قبل الطاعون بيسير ، وكان الطاعون سنة ١٣١» (المعارف، دار المعارف سنة ١٩٥٩ م ، ١٣٨٨ هـ ، ص ٤٧٠) .

(٣) ابن غلبون : التذكار فيمن ملك طرابلس وما بها من أخبار ، ص ٢٢٢، أبو علي بن عياض ابن سعود بن بشر ، عالم محدث ولد بسمرقند ومات بمكة سنة ١٨٧هـ ، وروى عن الأعمش رجعفر الصادق ، رسفيان الثوري وقطر بن خليفة ، وعبد الله بن عمر العمري ، روى عنه ابن عيينه والشافعي والاصمعي ، (أبو العرب ، هامش ٣ ، ص ١٧٤) ويذكر ابن قتيبة ان الفضل بن عياض يكنى أبا علي بن تميم (ولد) ابيورد « من خراسان، وقدم الكوفة وهو=

وكان هناك عدد آخر من العلماء الذين مروا بطرابلس أثناء رحلتهم إلى المشرق ، ومنهم محمد بن قاسم بن سيار ، مولى الوليد بن عبد الملك الذي رحل إلى المشرق سنة ٢٩٤هـ، وقد استغرقت رحلته حوالي أربعة أعوام وأربعة أشهر ، وقد سمع بطرابلس عن علمائها ، وكان هو عالماً بالفقه [١] . ومنهم محمد بن عيسى البياني الذي وصل إلى المشرق ، وأخبرنا عنه أبو جعفر أحمد ابن الحسين بن محمد الاطرابلسي ، حيث قال : كتبنا عنه باطرابلس في شوال سنة ٣٣٢هـ ، وقد حدث عنه حماد بن شقران الاستسجي الذي لقيه ببرقة في رجب سنة ٣٣٨هـ [٢] ومن العلماء الذين مروا بطرابلس أيضاً هشام بن يحيى بن حجاج البطليوس ، الذي رحل إلى المشرق سنة ٣٣٨هـ حيث سمع بأطرابلس من أبي بكر دهمان المصيصي . [٣] ومحمد بن عبد الملك بن ضيخون بن مروان اللخمي ، الحداد الذي رحل في نفس السنة وسمع بأطرابلس من يحيى بن دهمان المصيصي [٤] وعبيدة بن محمد بن أحمد القبسي القرطبي الذي سمع بأطرابلس من محمد بن يحيى المصيصي أثناء رحلته إلى مصر سنة ٣٤٢هـ [٥] . ومحمد بن حيون بن عمران الأنصاري الذي توفي في طرابلس أثناء عودته من المشرق سنة ٣٤٦هـ . [٦]

= كبير ، فسمع من منصور بن المعتمر ، وغيره ، ثم تعبد وانتقل إلى مكة فنزلها ، إلى أن مات بها سنة ١٨٧ هـ (المعارف ، ص ٥١١) .

(١) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ ، جـ ٢ ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ٢ ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٣) نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٤) نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٣٤١ ، ٣٤٢ .

(٦) نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٦٤ .

والذي يتتبع حركات العلماء العابرين بليبيا لا يسعه إلا أن يلاحظ أن مدن الساحل الليبي ، كانت تستغل كثيراً من العلماء من المغرب والمشرق،على أنه يجب أن نذكر أن كثيراً من الراحلين الحجاج كانوا يفضلون بلوغ تونس ثم الركوب منها براً إلى الإسكندرية تجنباً لأخطار القفار بين سرت وأجدابية وتلك الواقعة إلى المشرق من برقة ، ولذلك كانت الصلة التجارية بين الغرباء ومدن الساحل أقوى من الصلة العلمية .(1)

ب – الفقهاء المحليون

وبالإضافة إلى ما تقدم من العلماء الذين مروا بليبيــا ، والقوا بعض الدروس بها ، كان هناك عدد آخر من العلماء المواطنين الذين اشتهروا في ليبيا بالعلم والمعرفة ، ومن بين العلماء الذين كان لهم دور في النشاط في ليبيا:

١ – أبو الحسن علي بن زياد المتوفى ، سنة ١٨٣هـ ، وقد قال عنه أبو العرب : حدثني جبلة بن محمود قال : كشفنا عن أصله فإذا هو من العجم وكان أوله من طرابلس ثم سكن مدينة تونس،وكان علي بن زياد ثقة مأموناً فقيهاً متعبداً ، وبارعاً في الفقه ، وقيل أنه سمع من مالك بن أنس ، وسفيان الثوري والليث بن سعد وابن لهيعة ، وغيرهم ، وذكر انه لم يكن بإفريقية في عصره مثله ، وأنه كان خير أهل إفريقية ، في ضبط العلم وقد قرأ عليه البهلول بن رشيد ، وسحنون ، وأسد بن الفرات ، وكان الأخير يقول : إني لأدعو الله لعلي بن زياد مع والدي ، لأني أول من تعلمت منه العلم ولم يكن سحنون يقوم عليه أحد من أهل إفريقية .(2)

---

(1) احسان عباس : ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .
– عبد اللطيف البرغوثي ، تاريخ ليبيا الإسلامي ، ص ٣٠١ .
(2) أبو العرب تميم : طبقات علماء افريقية ، ص ٢٢٠ ، ٢٢٣ .

٢ — سعيد بن عباس السرتي « نسبة إلى سرت وهو ممن سكن تونس واشتغلوا برواية الحديث وإن ضعّفه بعضهم وأكثر الرواية عن البختري وهب ابن وهب ، وقد مات ببغداد سنة ٢٠٠هـ . (١)

٣ — عبد الله بن الشعاب المتوفى سنة ٢٤٣هـ ، وقد ولد بطرابلس ونشأ بها وأخذ عنه جماعة من الفضلاء ، وكان رحمه الله من كبار الصوفية ، وأحد الزهاد الورعين ، كان تاجراً لا يأكل إلا من كسب يده ، وتنسب إليه كرامات كثيرة ، وما زال ضريحه معروفاً ، ومسجده في طرابلس يعرف بمسجد الشعاب . (٢)

٤ — إبراهيم بن حماد البرقي : أبو خزيمة خولاني النسب ، من أهل برقة ، يروي عن أبي يونس البرقي ، ومن حفدته فقهاء عرفوا ببرقة ، توفي سنة ٢٤٥هـ . (٣)

٥ — أبو إسحاق إبراهيم بن أبي القياض البرقي ، من الموالي ، درس على عبد الله بن وهب ، وتوفي بمصر سنة ٢٤٥هـ ، كما يروي عن أشهب وأخذ الناس عنه كثيراً ، وله جماع ومجالس حملت عنه . (٤)

٦ — أحمد بن عبد الله بن أبي زرعة البرقي ، مولى بني زهرة ، روى المغازي

= — أحمد النائب الأنصاري : نفحات النسرين ، تحقيق علي مصطفى المصراتي ، ص ٦٦ .
— ابن فرحون : الديباج المذهب الطبعة الاولى ، مصر ١٣٥١ ، ص ١٩٢ .
— المالكي : رياض النفوس ، النهضة العربية القاهرة ١٩٥١ ، ص ٢٢٠ ، ٢٢٣ .

(١) أبو العرب تميم : طبقات علماء إفريقية ، ص ١٦٠ .
(٢) احمد النائب : نفحات النسرين ، ص ٦٧ ، ٦٩ .
(٣) احسان عباس : ليبيا منذ الفتح العربي ، ص ١٠٧ .
— الزاوي : اعلام ليبيا ، ص ١٩ .
(٤) احمدالنائب : المنهل العذب ، ج ٢ ، ص ٥٢ .
— الزاوي : نفس المرجع السابق ، ص٢١ .

عن عبد الملك بن هشام صاحب السيرة وكان ثقة. ألف كتاباً في التاريخ قيل أن أخاً له بدأ تصنيفه فلم يتمه . فأتمه هو . [1] وقد ذكر أخوه محمد في المصريين . وقيل أنهم كانوا يتجرون إلى برقة فعرفوا بالنسبة اليها . وكان محمد من أصحاب الحديث والفهم . والرواية أغلب عليه ، وبيته بمصر بيت علم . وله تأليف . في مختصر ابن عبد الحكم الصغير . زاد فيه اختلاف فقهاء الأمصار . وكتاب في التاريخ . وكتاب في الطبقات . وفي رجال الموطأ وغريبه . [2]

وقد توفي سنة ٢٤٩هـ . وكان يروي عنه أشهب ، وابن بكر ، وعبد الله بن صالح ، وحبيب كاتب مالك ، ونعيم بن حماد ، وأصبح ابن الفرح وأسد بن موسى ، ويحيى بن معين ، .. وغيرهم . [3]

٧ – إبراهيم بن محمد الغافقي الاطرابلسي ، قاضي طرابلس – روى عن أبي جعفر القروي وغيره، وروى عنه محمد بن حزم وتوفي سنة ٢٥٣هـ. [4]

٨ – عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي ، هاجر أبوه أحمد من الكوفة إلى طرابلس وبها ولد ابنه عبد الله وأخوه صالح فنسبا إلى طرابلس ونشأ فيها أولادهم وحديثهم كثير مشهور ، وبيتهم بيت المعرفة والدراية والإكثار من الحديث . [5]

٩ – عبد الجبار بن خالد السرتي أبو حفص (١٩٤ – ٢٨١هـ) كان فقيهاً

---

(١) احسان عباس : ليبيا منذ الفتح العربي ص ١٠٨ .

(٢) ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

(٣) احمد النائب : المنهل العذب ، جـ ٢ ، ص ٥١ ، ٥٢ .

– الزاوي : نفس المرجع السابق ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣٠٩ .

(٥) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣٠٩ .

– أحمد النائب : المنهل العذب ، جـ ٢ ، ص ٦٩ .

فاضلاً ثقة ، سمع من سحنون وغيره وكان صالحاً متعبداً ، وجيهاً عند الأمراء وكان يقول عنه سحنون : إنه تقي في بطن أمه ، أي أنه تقي من صغره . (١)

١٠ — موسى بن عبد الرحمن القطان « العطار » أبو الأسود قاضي طرابلس عزله عن قضائها إبراهيم بن أحمد الأغلبي وحبسه . (٢) وروى عن محمد بن سحنون ، وشجرة بن عيسى ، وغيرهما وله أوضاع كثيرة في العلم وكان يحسن الكلام في الفقه على مذهب مالك وأصحابه . وعندما تولى قضاء طرابلس نفذ الحقوق ، وأخذ للضعيف من القوي ، وله مؤلف في أحكام القرآن يبلغ اثني عشر جزءاً . (٣) وكان مولده سنة ٢٣٢هـ ووفاته سنة ٣٠٦هـ (٤) .

١١ — عبد الله بن إسماعيل البرقي ، وكان من أهل الفقه والأدب ، وغلب عليه في آخر عمره الورع ، وكان كثير البكاء ، وقد ذهب بصره في كبره وتوفي سنة ٣١٧هـ . (٥)

١٢ — محمد بن معاوية الأطرابلسي أبو سليمان ، سمع من مالك بن أنس وغيره ، ومن تلاميذه . حبيب بن محمد . (٦) الأطرابلسي ، وقد روى

---

(١) الدباغ : معالم الايمان ، جـ ٢ ، ص ١٨٥ ، ١٩٢ .
— الخشني : قضاة قرطبة ، وعلماء إفريقية تونس ١٣٧٢ هـ جـ ١ ، ص ١٩٧ ، ١٩٨ .
(٢) الخشني : قضاة قرطبة وعلماء إفريقية ، جـ ٢ ، ص ٢١١ ، ٢٩٨ .
(٣) ابن فرحون : الديباج المذهب ، ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .
(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٨١ .
— أحمد النائب : المنهل العذب ، جـ ٢ ، ص ٦٩ .
(٥) الزاوي : نفس المرجع السابق ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .
— احسان عباس ، ليبيا منذ الفتح العربي ، ص ١١٠ .
(٦) قال محمد بن معاوية : كان بقي علي شيء من الموطأ من كتاب الصلاة فأتيت إلى مالك ، وقد=

عنه أبو مسلم العجلي ووثقه . وعبد الله بن ميمون الأطرابلسي ،وروى عنه سليمان بن داود القيرواني وأبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن المروزي . وكان سليمان قدم مرو وحدث بها ، وسمع منه بها أبو سهل ، وسوس بن حبيب العطار الاطرابلسي ، أبو الأسود ، وروى عن شجرة بن عيسى ومحمد بن سحنون وغيرهما . (١)

جـ ــ أهم علماء الأباضية بجبل نفوسة

١ ــ محمد بن عبد الحميد مفيطر النفوسي الجذاوي ، وقد سافر إلى أبي عبيدة ، ورجع قبل وفود الخمسة الآخرين عليه ، أي قبل عام ١٣٥هـ ، ويقال أنه أول من جمع القرآن كله في جبل نفوسة وحفظه . (٢)

٢ ــ إسماعيل بن ضرار الغدامسي ، وهو أحد الذين ذهبوا إلى البصرة وتتلمذوا على أبي عبيدةمسلم بن أبي كريمة،وقد مكث إسماعيل معأستاذهخمسة أعوام،وحين نوى مفارقته أخذ يسأله عن مسائل في الأحكام بلغت ٣٠٠ مسألة حتى قال له أبو عبيدة أتريد أن تكون قاضياً يا ابن درار ، فأجابه أرأيت ان ابتليت بذلك . (٣)

٣ ــ نفاث بن نصر النفوسي ، ولم يكن على وفاق مع الأئمة الرستميين

= دخل الناس ، فقال : من يقرأ لك ؟ قلت : حبيب وكنت قاطعته بخمسة دراهم ويقرأ من الكتاب خمسة وعشرين ورقة ، فقرأها لي حبيب في مجلس واحد قال لي حبيب : لم تفني دراهمه يا مغربي (الزاوي : نفس المرجع السابق ، ص ٣٧٢) .

(١) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣٠٩ .

ــ أحمد النائب الانصاري : نفحات النسرين ، ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) محمد علي دبوز : المغرب الكبير ، جـ ٣ ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٣) أبو العباس أحمد الشماخي : السير ، ورقة ٢٨ .

ــ أبو زكريا : السيرة وأخبار الامة ، ورقة ٦ .

وبخاصة الامام أفلح بن عبد الوهاب الذي تولى عام ١٩٠هـ ، ولذلك ترك المغرب ، وذهب إلى العراق ، وأقام ببغداد ، وأثناء إقامته ببغداد طرأت على الخليفة مسألة علمية أشكل عليه فيها الأمر ، وعجز علماؤه عن حلها ، فأمر أن ينادى في الأسواق ، بأن كل من أجاب عنها بجواب مقنع فله ما يسأله ، وسمع نفاث هذا النداء ، فذهب وأجاب عنها بأحسن جواب ، فأعجب به ، وأخذ يستشيره في مسائل أخرى مفصلة ، وذلك في مجلس حافل بالعلماء والفقهاء والأدباء وذوي الرجاحة .[1]

٤ – أبو الفضل العباسي بن محمد الصواف الغدامسي ، المتوفى سنة ٣٠٩هـ ، وقد اجتمع فيه ما تفرق في غيره من الأوصاف الجميلة ، وسئل رحمه الله عن السنة التي سكن فيها المنستير ، فقال : قدمت من غدامس إلى إفريقية سنة ٢٨٦هـ وكنت حججت سنة ٢٨٤هـ ورجعت الى المنستير ، وقد سألت ربي أن ينتزع عن قلبي حب غدامس ، فنزعه وكان حين توفي سنة ٣٠٩هـ ، يبلغ السادسة والتسعين من عمره .[2]

ويبدو أن اهتمام أباضية جبل نفوسة بالدراسات الإسلامية ، كان يفوق غيرهم فقد روي أنه اجتمع في اجناون – وهي قرية في سفح جبل جادو ، سبعون عالماً أمام أبي عبيدة عبد الحميد الجناوي والى الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم على الجبل .[3] فضلاً عمن فقد في المعارك بين الأغالبة والأباضية والتي كانت أعنفها في موقعة مانو عام ٢٨٣هـ في عهد إبراهيم بن أحمد الأغلبي إذ انه أسر فيها ٨٠ عالماً وقتل ٤٠٠ آخرين .[4]

---

(١) سليمان الباروني : الأزهار الرياضية مطبعة الأزهار البارونية جـ ٢ ، ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ .
(٢) الزاوي : نفس المرجع السابق ، ص ١٨٦ ، ١٨٩ .
(٣) محمد علي دبوز : نفس المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٨١ .
(٤) سليمان الباروني : نفس المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٨١ ، ٢٨٢ .
– محمد علي دبوز : نفس المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٩٣ .

د ـ دور المسجد في نشر الدراسات الإسلامية

كان للمسجد دور هام في ليبيا ولا سيما أنه كان مكاناً للعبادة ، والتقاء المسلمين للتفقه في أمور دينهم ولتدارس أمورهم ، وفي ليبيا ما أن توطدت أقدام المسلمين واستقروا بها ، حتى بدأوا جهودهم في نشر الإسلام وفي تعلم اللغة العربية وفي تعريب البلاد وتحويلها شيئاً فشيئاً إلى التقاليد العربية الإسلامية . ومن ثم فقد اقتضى الأمر استبدال الكنيسة بالمسجد كخطوة من خطوات التغير في العقيدة ، وكأثر من آثار انتشار الإسلام في المنطقة وتغير أوضاع الحياة الدينية والاجتماعية بها . (١)

ولذلك أسس الفاتح الأول عمرو بن العاص مسجداً في طرابلس أمام باب هوارة . (٢) وكان التعليم في أول أمره بطرابلس بهذا الجامع ، وكان جامعاً صغيراً مناسباً لوضعها الأول ، وكان يقع في قلب المدينة القديمة . (٣) كما أسس عمرو بن العاص مسجداً آخر في زنزور . (٤)

وقد ظهرت العناية بالمساجد في عهد الأغالبة (١٨٤هـ ـ ٢٩٦هـ) حيث شيد الكثير من المساجد داخل طرابلس وخارجها . ومن أهم هذه المساجد في خارجها جامع الشعاب (٥) . نسبة إلى محمد بن عبد الله الشعاب ، أحد العلماء الفضلاء من أهل طرابلس وكان قد توفي سنة ٢٤٣هـ ، وقد ظل هذا المسجد من أعمر المساجد حتى القرن الخامس الهجري (٦) وبالإضافة إلى ذلك كان هناك

---

(١) نجم الدين غالب الكيب : مدينة طرابلس عبر التاريخ ، ص ٧٦ ، ٧٧ .
(٢) التيجاني : رحلة التيجاني : ص ٢٢٥ ، ٢٤٥ .
(٣) محمد بن تاويت والصادق عفيفي : الادب المغربي ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٧٢ .
(٤) البرغوثي : تاريخ ليبيا الإسلامي : ص ٢٩١ .
(٥) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٧ .
(٦) التيجاني : رحلة التيجاني ، ص ٢٤٧ .

مسجد آخر يعرف بمسجد الجدة ولأن إحدى جدات بني الأغلب بنته ثم سمي من بعد بمسجد أبي الحسن البازي الذي كان يقيم فيه . [1] ومن أهم المساجد التي بنيت في هذه الفترة مسجد مدينة أجدابية الذي كان يلقي به سحنون دروسه على الطلاب المجتمعين حوله ، أثناء قدومه إليها سنة ١٩١هـ . [2]

وعندما جاء الفاطميون بنوا مساجد أخرى ، كان من أشهرها جامع طرابلس الأعظم ، وكان جامعاً على أعمدة مرتفعة ، وبه منار متسع مرتفع ، وكان خليل بن إسحاق هو الذي تولى الإشراف على بنائه وقد تم في العام المكمل لثلاثمائة . [3] هذا كما ابتنى أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدي بأجدابية جامعاً حسن البناء له صومعة مثمنة بديعة العمل . [4]

وهكذا نجد أن المسجد من أقدم المعالم الإسلامية التي توطـدت في ليبيا منذ سنوات الفتـح ، ثم أخذت هذه المساجد في الكثرة شيئاً فشيئاً ، وقد ظلت هذه المساجد محتفظة بجوهر الدور الخاص بها في الحياة الإسلامية فأينما وجدت جماعة مسلمة وجد المسجد أو الجامع ليكون مكاناً لعبادتها ونشاطها الديني والسياسي والثقافي والاجتماعي. [5]

ولو رجعنا إلى كتاب الجغرافي أبو عبيد البكري ، لوجدنا أنه كان هناك مسجد في كل مدينة ، ومن هذه المدن الرمادة ، وادي مخيل ، أجية سرت ، جادو ، سبها ، ودان ، تاجرفت تمس ، زلهى ، أوجلة ، بهنسى الواح ، شروس[6] . هذا بالإضافة إلى كثرة المساجد التي كانت موجودة بطرابلس والتي يذكر

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٤٩ .
(٢) أبو العرب تميم : طبقات علماء افريقية ، ص ١٨٥ ، ١٨٦ .
(٣) التيجاني : رحلة التيجاني ، ص ٢٥٣ .
(٤) البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ٥ .
(٥) عبد اللطيف البرغوثي : تاريخ ليبيا الإسلامي ، ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .
(٦) انظر — البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٦٢٤ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ،

التيجاني أنها لا تحصى .[1]

ومما لا شك فيه أن المسجد في المدن والقرى الليبية قد اتخذ مركزاً لطلب العلم، وبخاصة في البلدين الكبيرين برقة وطرابلس، وعلى ذلك فإن المسجد كان مركزاً علمياً تعلم فيه أمور الدين في الدرجة الأولى . وكانت تنشأ في جوار المسجد عادة دار قرآن يتعلم فيها الصبية القراءة والتلاوة والكتابة والحساب .[2] ولهذا فإن المسجد قد لعب دوراً هاماً في الحياة العلمية في ليبيا وبخاصة في الدراسات الإسلامية .

د ـ دور الرباط في نشر الدراسات الإسلامية

بعد سقوط الخلافة الأموية ، لم يحفل ولاة إفريقية ، من بني العباس بشئون البحر المتوسط ، لما شغلت به الخلافة من مشاكل في الشرق ، هذا فضلاً عن انشغال الولاة بثورات البربر ، وليس من شك في أن البيزنطيين إذ ذاك وجدوا الفرصة ملائمة ليتحولوا من الدفاع إلى الهجوم على الشواطىء المغربية . ويبدو أن اغاراتهم كانت من الكثرة والخطورة ، بحيث جعلت التجارة بين مصر وإفريقية تتحول عن الطريق الساحلي إلى المسالك الداخلية ، بل اضطر بعض الولاة العرب إلى مهادنة البيزنطيين بتقديم الهدايا اتقاء لشرهم ، ولما لم تفلح جهود الولاة في ردع المغيرين ، عمد المجاهدون النساك ، والصالحون إلى إقامة الرباطات والمحارس على طول ساحل البلاد الإفريقية ، فشكلوا خط دفاع قوي ، حال دون توغل الأعداء في الداخل طلباً للغنيمة والسبي .[3]

وهكذا كان الخوف من غارات الروم على السواحل من جهة واستعداد

---

(١) التيجاني : رحلة التيجاني : ص ٢٤٥ .

(٢) عبد اللطيف البرغوثي ، نفس المرجع السابق ، ص ٢٩٣ .

(٣) محمود اسماعيل عبد الرازق : سياسة الأغالبة الخارجية ، طبعة ١٩٧٢ ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .

الأغالبة الدائم للجهاد ضد الروم حافزاً على عنايتهم بتحصين هذه السواحل بإقامة المحارس والربط [1] وأصبح الولاة بذلك قادرين ليس فقط على صد غارات البيزنطيين ، بل والقيام بحملات مضادة على مراكزهم البحرية والاستيلاء عليها، فتمكن إبراهيم بن الأغلب من الاستيلاء على البلوبنيز[2] عام ١٨٩هـ ، وتمكن زيادة الله الأول فيما بعد من الاستيلاء على صقلية سنة ٢١٤هـ ويلزم سنة ٢١٦هـ . [3]

وهكذا نجد أنه بالإضافة إلى المسجد تولدت فكرة إنشاء الربط والمحارس في العصر الأغلبي ، على الثغور الإفريقية وهي فكرة عسكرية دفاعية ، لها أثرها الاجتماعي البعيد المدى . وكان الرباط عاملاً من العوامل الثقافية الدينية في تكوين الدولة الإسلامية في المغرب ، واتساعها وترسيخ آثارها النفسية الشعبية ،[4] وكانت هذه الربط ممتدة من ساحل الأطلس حتى الإسكندرية ولا يبعد الرباط منها عن الآخر إلا بضعة أميال . [5]

وكان الرباط عبارة عن ثكنة من صحن ، ومن عشرات الغرف الانفرادية حوله ، تنتهي بجامع كبير ، وصومعة للأذان ، ومراقبة السواحل من غارات الروم . [6] وقد أنشأ هذه الربط الولاة والأمراء من أموال الدولة ، غير أن تجهيز الرباط وإعانة القائمين به وخدمتهم كان من أعمال البر التي يتسابق

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٤٤٩ .
(٢) البلوبنيز ، وهي شبه جزيرة الموزة – أي جنوب اليونان .
(٣) محمود اسماعيل عبد الرازق : نفس المرجع السابق ، ص ١٨٢ ، ١٨٤ .
(٤) محمد الفاضل بن عاشور : أعلام الفكر الاسلامي مكتبة النجاح بتونس ، ص ١٧ .
(٥) جون باجوت جلوب : أمبراطورية العرب ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦٦ ص ٦٣٨ .
– ارشيبالد : القوى البحرية ، ص ٢٥٤ .
– ادم متز : الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٤٢٢ .
(٦) محمد بن تاويت الصادق عفيفي : نفس المرجع السابق ، ص ٦٤ .

المسلمون بداعي التقوى إلى بذل جهودهم وأموالهم في سبيلها بقدر الطاقة . [1]

وهكذا أصبحت الرباطات قلاعاً تحميها حاميات من المسلمين ، تتألف من رجال يسعون إلى الثواب عند الله بالقتال دفاعاً عن حرمة الدين ، وكانوا أثناء فترات أدائهم الواجب في القلاع ، لا ينفكون عن التطلع إلى البحر ، يرقبون أمواجه كما يرقبون أية نيران قد تظهر أمامهم لإنذارهم ، ويقضون أوقاتهم في الصلاة والتأمل . [2] بحيث أن المخابرة بين هذه المراكز كانت تتم بتبادل الإشارات النارية ، وبذلك أمكن إبلاغ الخبر من سبتة إلى الإسكندرية في ليلة واحدة . [3]

ولما كان الرباط مركز مراقبة أكثر منه مركز مدافعة ومنازلة ، فإن الهدوء والعزلة قد أصبحت هي الغالبة على المقيمين فيه ، وأصبح أكثر المقيمين فيه هم أميل الناس إلى العزلة ، وبذلك كان أصحاب الخلق الديني السامي من القراء والمحدثين والفقهاء والزهاد من أكثر الناس تردداً على الربط ، وأصبحت تلك الربط معاهد تعليم وتربية وعبادة وتوجيه ، واستشعر العلماء أن مقامهم فيها يفتح لهم أبواباً ، من إيصال النفع إلى عموم المسلمين ، وأصبح الشيوخ يوصون خريجهم بتعمير الربط ، وإقامة العبادات وعقد حلقات التعليم فيها . [4] وقد سبق أن أوضحنا نقلاً عن الدكتور شعيرة امتداد القصور (الرباطات) بالساحل الليبي وعددها .

وهكذا نجد أن عهد بني الأغلب شهد قيام الرباطات لحماية السواحل الإسلامية كمركز من مراكز الثقافة الإسلامية بجانب المسجد . وقد ظل الرباط

---

(١) محمد الفاضل بن عاشور ، نفس المرجع السابق ، ص ١٨ .
(٢) جون باجوت جلوب : نفس المرجع السابق ، ص ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٦٣٨ .
(٣) ارشيبالد ، نفس المرجع السابق ، ص ٢٥٤ .
— ادم متز : نفس المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٢٢ .
(٤) محمد الفاضل بن عاشور : نفس المرجع السابق ، ص ١٨ ، ١٩ .

علامة مضيئة ونموذجاً حياً في ترقية الثقافة ونشر أسبابها بين الناس في ذلك الوقت المبكر . [1] ومما لا شك فيه أن وجود الرباطات على هذا النحو في ليبيا أدى إلى الاعتقاد في كرامات المرابطين والزهاد، وبالتالي إلى نشأة نوع من التصوف في تلك المرحلة المبكرة . [2]

الدراسات اللغوية

صحب تحول البربر إلى الإسلام تحول كثير منهم إلى العروبة أي اصطناعهم اللغة العربية أداة لهم في الحديث والكتابة والخطابة والإرشاد وأخذهم بالثقافة العربية في شتى صورها ، وهذا أمر طبيعي إذ يكفي أن تكون العربية أداة هذا الدين ولغة كتابته . [3] ويذكر علماء اللغة أنه إذا التقت لغة ذات تراث حضاري متفوق مع لغة أخرى وكان حظها من ذلك التراث قليلاً، ينتهي الأمر بتغلب اللغة الأولى، وكانت أغلب اللغات الإفريقية قليلة الحضارة، فلم تستطع أن تصمد طويلاً أمام العرب وثقافتهم ودينهم ، فخضعت لهذه المؤثرات خضوعاً تاماً . [4]

واللغة البربرية ، لم تخالطها اليونانية في السواحل ولم تتأثر بها فلقد كانت دون هذه اللغات حظاً من الاتساع والغنى ، وكانت لغة فقيرة لا تكاد تعدو الحياة البربرية اليومية إلى شيء وراءها من الثقافة والفكر ، غير أنه مما لا شك فيه أن لغة البربر كانت أشد اللغات وأقدرها على الصمود أمام اللغة العربية على الرغم من أن فقرها الثقافي كان جديراً أن يضعف مقاومتها ، ويجردها من هذا السلاح الثقافي اللغوي ، وإنما اكتسبت هذا الصمود من كونها اللغة الأم ،

(١) نجم الدين غالب الكيب : نفس المرجع السابق ، ص ١٤٦ ، ٢٤٧ .
(٢) عبد اللطيف البرغوثي : نفس المرجع السابق ، ص ٢٩٢ .
(٣) محمد بن تاويت الصادق عفيفي ، نفس المرجع السابق ، ص ٤٧ .
(٤) حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية بإفريقية ، دار النهضة العربية ١٩٦٣ ، ج ١ ، ص ٥٢ .

أي لغة السكان الأصليين في المغرب ، كما ازدادت هذه المقاومة في المناطق الصحراوية ، في الواحات وفي المناطق الجبلية الوعرة . [1] وبالتدريج تمكنت اللغة العربية من الانتشار في المغرب بصفة عامة . ولعل مما ساعدها على ذلك ما أجمع عليه أغلب الأئمة المسلمين من عدم جواز ترجمة القرآن ، فكان لا بد لمن يعرف أسراره ، أن يقبل على تعلم اللغة العربية . وكذلك عدم جواز كتابته بغير العربية ، وعدم جواز القراءة بغير العربية في الصلاة ، رغم أن الإمام أبا حنيفة قد أجاز في بعض الحالات القراءة بالصلاة بالفارسية ، إلا أن كل الفقهاء تقريباً ، نهوا عن ذلك . فكان كل داخل في الإسلام يتعلم حفظ ما يستطيع أن يقيم به صلاته ، ثم يمضي إلى تعلم اللغة العربية ، ليزداد فقهاً في الدين . [2] ومما أكد رسوخ اللغة العربية وانتشارها ما أمر به الخليفة عبد الملك ابن مروان ، من اتخاذها لغة كتابه الرسمية في دواوين الحكومة في الولايات الإسلامية جميعاً ، وما يتبع ذلك من إلغاء اللغات الأعجمية التي كانت شائعة، وقد أيد الخليفة عمر بن عبد العزيز هذا المبدأ في البلاد بإرسال بعثة دينية تتألف من عشرة فقهاء من مشاهير التابعين وفدوا على القيروان على رأس القرن الثاني بقصد تفقيه البربر في العربية ونشر المبادىء الإسلامية والأخلاق العربية فيهم. [3] وبالإضافة إلى ما سبق ذكره فقد لعب التشابه الاجتماعي بين العرب والبربر ، دوراً خفياً عميق الآثار في الإسلام والتعريب . [4]

وقد لعبت هذه العوامل جميعها دوراً هاماً ، في صالح اللغة العربية

---

(١) شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ١٨١ ، ١٨٤ .

(٢) حسن أحمد محمود ، نفس المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٥١ .

(٣) حسن حسني عبد الوهاب : مجمل تاريخ الأدب التونسي ، تونس ١٩٦٨ ص ١٨ ، ١٩ .

(٤) محمود الحجوي : الفتح العربي لافريقيا الشمالية ودفع المقالب عنه ، المطبعة الفنية بنهج الكنيسة ، تونس ، ص ٤ ، ٥ .

وتعاونت فيما بينها لإحلال اللغة العربية في ليبيا محل اللغة البربرية،ولهذا فإننا لا نتجاوز القرن الثاني حتّى نلمس مدى انتشار اللغة العربية وإقبال البربر على تعلمها . وليس ثمة شك من أن قدوم أعداد كبيرة من العلماء والمحدثين ، واللغويين إلى المغرب ، كان له دور كبير في انتشار اللغة العربية في المغرب عامة وليبيا بخاصة . ومن بين هؤلاء اللغويين النحويين الذين وفدوا على المغرب :

١ – قتيبة الجعفي النحوي ، وهو من نحاة الكوفة ، وقد استقر في القيروان في كنف يزيد بن هاشم ، وعنه أخذ جماعة من أبناء البلاد، ورووا عنه الشعر والأدب،ويذكر أن كاتب المهدي وقع كلمة «قرى عربية» فنوّن كلمة قرى ، فأنكره شبيب بن شيبة ، فسئل قتيبة هذا فقال : إن أريد قرى الحجاز فلا تنون لأنها لا تنصرف ، أو قرى السودان نونت لأنها تنصرف . وبعد أن مكث قتيبة مدة طويلة في كنف يزيد بن حاتم رجع إلى المشرق . [1]

ونتيجة للعوامل السابقة التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في المغرب بصفة عامة ، ونتيجة لوفود بعض اللغويين النحويين ، وبخاصة يونس بن حبيب ، وقتيبة الجعفي ، بدأ يظهر تدريجياً في ليبيا منذ القرن الثالث الهجري ، بعض اللغويين والنحاة ونذكر منهم :

١ – محمد بن صدقة المرادي الاطرابلسي ، وكان على صلة بأبي الأغلب بن العباسي بن إبراهيم بن الأغلب والي طرابلس ، وكان عالماً باللغة شاعراً متقعراً في كلامه . وقد دخل يوماً على أبي الأغلب ، فتكلم وأغرب وجاوز المقدار فقال له : أكان أبوك يتكلم مثل هذا الكلام ؟ فقال : نعم أعز الله الأمير وأميه ! يريد وأمي أيضاً كانت تتكلم بمثل هذا فقال:

---

(١) السيوطي : بغية الوعاة ، الطبعة الاولى ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٦ ، ص ٣٨١ ، ٣٨٢ .

أبو الأغلب : ما ينكر أن يخرج الله بغيضاً من بغيضين .[1]

٢ ــ أبو عبد الله حمدون بن إسماعيل النحوي ، المعروف بالنعجة ، كان مقدماً بعد المهري ، في اللغة والنحو وأوضاع اللغة ، وكان أحد المتشدقين في كلامهم والمتقعرين في خطابهم وكان معلمه المهري على خلاف ذلك ، إذ إنه كان من عقلاء العلماء ، ولم يكن حمدون موصوفاً بالعقل ، وفي شعره تكلف وضعف وهو في العربية والغريب والنحو الغاية التي لا بعدها ، وكانت وفاته بعد المائتين .[2]

٣ ــ أبو عبيدة الأعرج ، وكان عالماً باللغة ، إلى جانب علمه بالفقه والكلام وهو من علماء الأباضية، في عهد ولاية محمد بن أفلح الذي توفي عام ٢٤١ هـ وكان التلاميذ يقرءون عليه ضمن ما يقرءون إصلاح اللغة لعبد الله بن مسلم بن قتيبة .[3]

٤ ــ أبو محمد عبد الله بن محمود المكفوف ، وهو من أهل سرت ، وكان عالماً باللغة ، والغريب ، والشعر وتفسير المشروحات أيام العرب ، وأخبارها ووقائعها وقد أدرك المهري وأخذ عنه ، ثم صحب من بعده حمدونا المعروف بالنعجة فكان لا يبارحه ، ولم يمت حمدون حتى علا المكفوف عليه ، وله كتب كثيرة أملاها في اللغة العربية ، والغريب ، وكتاب في العروض ، يفضله أهل العلم ، على سائر الكتب المؤلفة ،

---

(١) الزبيدي : طبقات اللغويين والنحويين ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٣٧٣/١٩٥٤ ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

ـ القفطي : انباه الرواة على أنباه النحاة ، دار الكتب المصرية ١٩٥٠/١٩٥٢ جـ ١ ، ص ١٥٢ .

ـ أحمد النائب : المنهل العذب ، جـ ٢ ، ص ١٢ .

(٢) الزبيدي : طبقات اللغويين والنحويين ، ص ٢٥٦ /٢٥٧ .

(٣) سليمان الباروني : الأزهار الرياضية ، جـ ٢ ، ص ٢٤٣/٢٤٤ .

وعليه قرأ الناس المشروحات ، وإليه كانت الرحلة من جميع إفريقية والمغرب ،وقد كان ابن الصائغ صاحب البريد يصله ،وحكى أنه أعطاه نحواً من خمسمائة دينار سوى الخلع وقضاء الحوائج ، والبر ، والإكرام. وله أشعار فصيحة ، وكتاب في شرح صفة أبي زيد الطائي للأسد ، جود فيه وحسنه وقد مات المكفوف سنة ٣٠٨هـ . (١)

٥ ــ خلف بن مختار الاطرابلسي الإفريقي ، وكان مولده سنة ٢١٥هـ ، وهو صاحب نحو ولغة ، غير أنه كان بخيلاً بعلمه ، وقد حدث عن إبراهيم ابن زياد والنحوي ، وقال أخبرني أبو عثمان بن سعيد بن اسحاق الشُّمخي قال : سألت خلف أن أقرأ عليه قصيدة النابغة : « يا دار مية بالعلياء فالسند » فقال : افعل فأنشدته حتّى انتهيت إلى قوله :

فظلّ يعْجُمُ وأعلى الروق مُنقبضاً في حالك اللون صَدقٍ غير ذي أودِ

فقال لي : ليختبرني ــ وقد علمت ما أراد ــ مالصَّدق ؟ قلت : لا أعلم قال : فما الصِّدق بالكسر ؟ فقلت : الصدق من القول ، فقال لي : يجب عليك أن تروي ما تعرف ، وتدع ما لا تعرف ، فأنشدتّها بالكسر لأعلم ما يكون منه ، فرأيته يبتسم ، فقلت له : لم تبسمت ؟ الصَّدق : الصَّلب ، وكذلك الرواية ولكن تجاهلت لك ، لأعلم ما يكون منك فخجل من ذلك ، وقال : أنشد ما أحببت فإنني لا أخفي عنك شيئاً ، فكان بعد تلك الليلة كما وعد ، وكان ممن يقرض الشعر ويجيد المعاني ، وقد توفي سنة ٢٩٠ . (٢)

---

(١) الزبيدي : طبقات اللغويين والنحويين ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٩ .
ــ القفطي ، أنباه الرواة على أنباه النحاة ، جـ ٢ ، ص ١٤٧ ، ١٤٩ .
(٢) الزبيدي : طبقات اللغويين والنحويين ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .
ــ القفطي : أنباه الرواة على أنباه النحاة ، جـ ١ ، ص ٣٥١ .
ــ السيوطي : بغية الوعاة ، ص ٢٤٣ .

٦ – محمد بن مؤمن بن محمد بن مؤمن الكندي البرقي « أبو بكر النحوي » وكان رجلاً صالحاً ، كتب الحديث والنحو وذكره ابن الطحان المصري في تاريخ الغرباء القادمين على مصر ، وقد توفي سنة ٣٣١ وقد قارب الثمانين من عمره .[١]

٧ – إبراهيم بن قطن المهري : وأخوه الوليد بن عبد الملك بن قطن وكلاهما لغوي نحوي وضعهما الزبيدي في الطبقة الثانية من القرويين وكان الوليد عبد الملك ، أعلم من الأول ، إذ لم يسمع بالأول إلا قليل من الناس ، وكان يعتنق مذهب الأباضية . أما الثاني ، فكان شيخ أهل اللغة العربية ، والرواية ، ورئيسهم والمقدم عليهم ، وكان من أحفظ الناس لكلام العرب ، وأشعارها ووقائعها ، وأيامها ، وكانت الأشعار المشروحة تقرأ عليه مجردة من الشرح فيشرحها ويفسر معانيها من قبله . وبالإضافة إلى ذلك كان شاعراً وخطيباً بليغاً ، وكانت له بعض المؤلفات ، ومن ذلك كتاب في تفسير مغازي الوافدين ، وكتب تسمى كتب الألفاظ ، وكتاب في اشتقاق الأسماء .[٢]

الدراسات الأدبية

انشغل الولاة في الفترة الأولى من عصر الولاة ، بنشر الإسلام بين البربر وتثبيت السيادة العربية على المغرب ، وإقرار الأمن ، وإخماد الثورات مما جعلهم ، منصرفين عن الاهتمام بالأدباء ، والشعراء الوافدين ، وإسباغ العطاء لهم . بل أكثر من هذا لم يكن عند الولاة ما يسبغونه على هؤلاء لفقر ولاية

---

(١) القفطي : أنباه الرواة على أنباه النحاة ، ج ٣ ، ص ٢١٨ .
– السيوطي : بغية الوعاة ، ص ١٠٩ .
(٢) الزبيدي : طبقات اللغويين والنحويين ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

إفريقية في هذه الفترة ، فقد كانت تتلقى إعانة سنوية من مصر ويبلغ مقدارها مائة ألف دينار ولم تلغ هذه الاعانة ، إلا عام ١٨٤ هـ حينما تولى ابراهيم بن الأغلب من قبل هارون الرشيد ، ومنح استقلالاً ذاتياً بالمغرب [١] . هذا كما تعد هذه الفترة فترة انتقال من البربرية إلى العربية ومرحلة من مراحل الصراع بين اللغة الوافدة واللغات القديمة التي كانت موجودة في المنطقة .

وقد بدأ الاهتمام بالحياة الأدبية منذ عهد الأغالبة ، ولا سيما أن ابراهيم ابن الأغلب نفسه كان فقيهاً عالماً أديباً ، وشاعراً خطيباً ، وله شعر كثير [٢] كما عرف الأمير محمد بن زيادة الله الثاني والي طرابلس بأنه كان عالماً وأديباً شاعراً خطيباً ، وأنه لم يكن ينادم إلا أهل الأدب . [٣] بل كان الولاة الأغالبة مهتمين بالشعر والشعراء ، وقد عرف أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب (٢٦١ — ٢٨٩ هـ) بحشده للأدباء والشعراء ، وكان هو نفسه يتقن كثيراً من علوم الدين واللغة والأدب وينشد الشعر الرقيق ، ويشارك في المناظرات العلمية ، وكان رئيس ديوان الانشاء في عهده أديباً بغدادي الأصل ،

---

(١) أحمد النائب : المنهل العذب ، جـ ١ ص ٦١ ، وقد اختلف المؤرخون حول الأسباب المباشرة التي أدت إلى تولي إبراهيم الامارة فمنهم من يرى أن فوز ابراهيم بها جاء نتيجة نجاحه في الكيد للادارسة بينما يرى البعض الاخر ، أن الرشيد قلده اياها على أثر علة (بما فعله مع بصره العكي وإخراج تمام) وعلى أن الذي لا شك فيه أن ابراهيم بن الأغلب لم يتبطأ في طلب الامارة من الرشيد ، بعد أن قدم لخلافه ما يعزز طلبه ، وبعد أن عضده أهل إفريقية لمقتهم العكي . وشفع ابراهيم طلبه للامارة بعرض سخي ، وهو أن يتنازل عن الاعانة السنوية التي ترد من مصر وقدرها مائة ألف دينار ، بل تعهد بأن يدفع أربعين ألف دينار سنويا للخلافة ، على أن تكون امرة افريقية له ولذويه من بعده (محمود اسماعيل عبد الرازق، سياسة الأغالبة الخارجية ، ص ٢٧) .

(٢) ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٩٤ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ .

يدعى أبو اليسير ابراهيم بن محمد الشيباني ، الذي توفي في افريقية سنة ٢٩٨ هـ . وقد تتلمذ على كبار أدباء عصره ، كالجاحظ والمبرد وابن قتيبة، ولقي من الشعراء أمثال أبي تمام والبحتري ، وعلي بن الجهم ، وروى دواوينهم مباشرة عنهم وقد قال عنه المؤرخون أنه هو الذي أدخل إلى إفريقية رسائل المحدثين وأسفارهم وطوائف أخبارهم .[1]

ومن أمثلة الشعر القليلة التي وجدناها في عصر الولاة بيتان لشاعر ليبي قديم هو أحمد بن يحيى ، وهو ابن أخي علي بن زياد المتوفى سنة ١٨٣ هـ ، إذ يقول في أبياته :

لقد طال شوقي إلى فتيـــة ٠ حسان الوجوه باطرابلس
وقد عيل صبري فما مسعدي على الشوق إلا دموعي الحُبس [2]

هذا وكما وجد منقوشاً على قبر عتيق بمقبرة المنيذر الصحابي في طرابلس سيدي منيذر :

هي في جوارك يا منيذر فاحمها ومن المروءة أن يعز الجـار
حاشا لفضلك يا رفيق محمـــد من أن تمس مجاوريك النار [3]

أما في العصر الأغلبي ، فعلى الرغم من اهتمام الأغالبة بالحياة الأوربية ، إلا أننا لا نجد في ليبيا إلا النزر اليسير ، عن الأدباء والشعراء ، فقد ظهر بها بعض الشعراء ، غير أن نماذجهم الشعرية تعتبر بسيطة إذا ما قيست بغيرها من البلدان العربية التي كانت تحت حكم الأغالبة ، ومن أمثلة هؤلاء الشعراء :

١ ـ أحمد بن سفيان بن سوادة ، بن سالم بن عقال الأغلبي ، ويذكر أنه قد

---

(١) حسن حسني عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة الدينيـة ، تونس ١٩٦٤ ، جـ ١ ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٢) أحمد النائب : نفحات النسرين ، ص ٦٥ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٦٥ .

ولي الزاب ، ثم ولي طرابلس. وأعمالها كثيراً ، ولكن لم يحدد لنا سنة ولايته على طرابلس، وأن له بها أخباراً وآثاراً ووقائع مشهورة، وكانت له مكانة رفيعة بين الجنود وهو ممن قام بنصرة أبي العباس محمد بن الأغلب على أخيه أحمد وقد توفي في حدود سنة ٢٦٠ هـ [١] . وفي أحمد بن سفيان يقول الشاعر بكر بن حماد المتوفى سنة ٢٩٦ هـ ، من قصيدة له :

وقائلة زار الملوك فلم يعـد	فيا ليته زار ابن سفيان أحمدا
فتى يسخط المال الذي هو ربه	ويرضي العوالي الحسام المهندا

ومن شعر أحمد نفسه قوله :

قربـوا الأبلـق انـي	أعرف الخيـل العتاقـا
وعليهـا أصرع الأبطـال	طعنـاً واعتناقـا
أضبط الأرواح والأنفـس	بالرمـح صداقـا
وأروي من نجيـع الهـام	أسيافـاً رقاقـا
تنقـع الأعـداء في النّقْع	حميماً وغساقا ... الخ [٢]

– أبو العباس محمد بن زيادة الله بن الأغلب ، وقد ولي طرابلس لابن عمه ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب (٢٦١ — ٢٨٩ هـ) وكـان أبو العباس أديباً ظريفاً ، له تواليف ، قتل في وقعة نفوسة سنة ٢٨٣ هـ [٣] وسبب قتله أن المعتضد كتب إلى إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب كتاباً قال له فيه « عجباً من ابراهيم ! ما يبلغنا عنه إلا سوء الثناء عليه،

---

(١) حسن حسني عبد الوهاب : مجمل تاريخ الأدب التونسي ، ص ٦١ .
(٢) ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ١٨٣ ، ١٨٥ .
(٣) أحمد النائب : المنهل العذب ، ج ٢ ، ص ٩٨ .

وعامله على طرابلس يبلغنا عنه خلاف ذلك من رفق بمن ولي عليه وإحسان . [1]

ويقول له : إن انتهيت عن أخلاقك هذه ، وإلا فسلم العمل الذي بيدك لابن عمك محمد بن زيادة الله . [2] ولذلك غضب ابراهيم بن أحمد من ذلك مما أدى إلى قتله ، ومن شعره ما أنشده له أبو علي حسين بن أبي سعيد صاحب كتاب المغرب عن المغرب :

ومما شجا قلبي بتـــوزر أنني　　تناءيت عن دار الأحبة والقصر
غريباً فليت الله لم يخلق النـــوى　　ولم يجر بيننا آخر الدهر .. [3]

٣ ـ أبو العباس عبد الله بن محمد بن الأغلب بن سالم ، ولي صقلية لأبي عبد الله ابن الأغلب المعروف بأبي الغرانيق سنة٢٥٩ﻫ، ويذكر ابن الآبار ،أنه قد تولى قبل ذلك بحين طرابلس ثم وليها مرة أخرى ، بعد ولاية صقلية ، إلا أنه في كلتا المرتين لم يعين لنا تاريخ ولايته أو تاريخ عزله عن طرابلس ، ثم ولي أيضاً إمارة القيروان. وكان أديباً شاعراً، طالباً للحديث والفقه ، وعندما ورد كتاب عزله عن ولاية طرابلس ، قال يخاطب صديقه أبا هارون ، موسى بن مرزوق صاحب بريدها :

قد أتى في الكتاب ما قد علمنـا　　من ثناء ورحلة وفــراق
وعددنا الأيـــام فهي ثمـــان　　بعد خمس سريعة الافتراق
فعليك السلام إن فــــراقي　　قد دنا والفراق مر المذاق [4]

---

(١) ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ١٨٠ .
(٢) أحمد النائب : المنهل العذب : ج ٥ ، ص ٩٨ .
(٣) ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ١٨٠ ، ١٨١ .
(٤) أبو يزيد مخلد كيداد ، من قبيلة زناتة في مدينة توزر ، وكانت أمه جارية تنتسب إلى قبيلة هوارة ، تزوجها أبوه في السودان وأتى بها إلى توزر ،حيث ولد بها أبو يزيد واعتنق =

٤ ـ أبو العباسي خليل بن اسحاق بن ورد ويعتبر هذا امتداداً للعصر الأغلبي ، ومن شعراء العصر الفاطمي ، وكان مولده بطرابلس ، وهو من أبناء جندها ، وكان أول الأمر يطلب العلم ، والأدب ، ويصحب الصوفية ويبيت في المساجد ، إلى أن خالف أهل طرابلس بلده سنة ٢٩٩ هـ ، فكان هو المتولي لعذابهم وأخذ أموالهم . وذلك في أول دولة عبيد الله المهدي ، ولم يمكث خليل بن اسحاق طويلاً في طرابلس إذ ما لبث أن تبع القائم أبا القاسم محمد بن عبيد الله المهدي في سيره إلى محاربة أهل مصر ، وهناك ولاه أمر جباية الأموال ، والنظر فيها ، وانصرف إلى المهدية ، فقدم على خيل إفريقية ، وكان أمر جندها اليه ، مع النظر في البحر . وخرج بعد ذلك إلى صقلية والياً على أهلها ، فأهلكهم جوعاً ، وقتلاً ، وهرب كثير منهم إلى بلد الروم ، وذلك في أول دولة القائم سنة ٣٢٥ هـ ، ولما قدم خليل بن اسحاق من صقلية عام ٣٢٩ هـ ، كان يفتخر بما فعل ويقول « المكثر يقول أنني قتلت وأهلكت ألف ألف ، والمقل يقول ستمائة ألف » وكانت نهايته على يد أبي يزيد الخارجي . ومن شعره يمدح المهدي قوله :

. . . .

صلى الإله على النبي محمـــد   وعلى الإمام وزاده أمثالها
إن الإمام أقام سنة جـــده   للمسلمين كما حذوت تعاليها

= مذهب جماعة من النكارية . ثم سافر إلى تاهرت ، فأقام بها يعلم الصبية ، وفي سنة ٣١٦ هـ قوي أمره وراجت دعوته التي تقضي بتكفير أهل الدين ، واستباحة الأموال والخروج عن طاعة الخليفة ، لدى بعض قبائل البربر في نفوسة والزاب والمغرب الأقصى ، وفي عهد القائم استطاع أن يستولي على الاربس ، وأن يعسكر بجنده على بعد خمسة عشر ميلا من المهدية ، وأخذ يباغت المدينة بحملاته غير أنه من حسن حظ الفاطميين انضمام عدد غير قليل من جنده اليهم ، مما أدى إلى ارتداده عن المهدية ، وظل يشكل خطرا الى أن أوقع به جيش المنصور سنة ٣٣٦ هـ (حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ٩١ ، ٩٢) .

أحيا شرائعها وقوم كتبهـــا   وفروضها وحرامها وحلالهـــا
وهدى به الله البرية بعدمـــــا   طلب الغواة الظالمون ضلالها
إن الخلافة يا ابن بنت محمـــد   حطت اليك عن النبي رحالها [1]

أما بالنسبة للنثر ، فلم تصل الينا ، إلا نماذج قليلة من الأدب الصوفي في طوره البدائي البسيط ، ومن هذه النماذج ما قاله أبو الفضل العباسي بن محمد الصواف الغدامسي ، المتعبد ، قال « ثلاثة أشياء تنبت النفاق في القلب كما ينبت الزرع على شاطىء الفرات ، المنكر والاختلاف إلى أبواب الحكام ، واستماع الغناء » . [2] وما قاله أبو محمد عبد الله بن اسماعيل البرقي عندما سئل عن كثرة بكائه : « إنما جعلت عيناي للبكاء ، ولساني لتعظيم الله عز وجل وتحميده ، والصلاة على نبيه ، وبدني للتراب والبلى ، وقلبي للخوف والرجا ، ولم أخلق للعب ولا للهو ، وإنما خلقت للعمل الصالح » . [3]

وما قاله أبو الخطاب المعافري لأهل طرابلس يدعوهم للجهاد ، وغزو القيروان لظلم حكامها « بعد حمد الله والثناء عليه ، والصلاة على نبيه ، أطمع لمن مات في هذه الغزوة الجنة إلا من فيه إحدى ثلاث خصال قاتل نفس ظلماً وقاعد على فراش حرام ، ومن في يده أرض مغصوبة ، والمخرج منهـــا أن يتبرأ من المرأة ويتوب إلى الله ، ويتبرأ من الأرض وليشهد على تركها وليعد نفس القاتل إلى أولياء المقتول ، فإن لم يجدهم فليدفع نفسه في سبيل الله » . [4]

وهكذا نجد أن الحياة الثقافية لم يهتم فيها العرب إلا بتعليم البربر أمور

---

(١) ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٣٠٢ ، ٣٠٤ .
(٢) الزاوي : اعلام ليبيا ، ص ١٨٩ .
(٣) الزاوي : نفس المرجع السابق ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .
– البرغوثي : تاريخ ليبيا الإسلامي ، ص ٣٢٥ .
(٤) البرغوثي : نفس المرجع السابق ، ص ٣٢٥ .

دينهم . هذا بالاضافة إلى أن العناصر البربرية في ليبيا ، كانت ولا تزال على بداوتها ، كما أنهم يميلون بحكم طبيعتهم إلى كتمان مشاعرهم .[1]

وفي العصر الأغلبي على الرغم من اهتمام الأغالبة بالدراسات الأدبية إلا أن هذه الدراسات لم تصل في ليبيا إلى الدرجة التي كانت عليها في البلدان الأخرى التي كانت تحت أيديهم أو المجاورة لهم ، ولعل ذلك يرجع إلى أن طرابلس كانت تتنازعها في هذه الفترة الأغالبة والأباضية ، الذين كان أكثر اهتمامهم موجهاً للدراسات الإسلامية ، فليس ثمة شك أنه مما أضعف الحياة الأدبية في طرابلس استمرار الحروب في هذه الفترة بين أباضية ليبيا التابعين إذ ذاك عقائدياً للدولة الرستمية وسياسياً لدولة الأغالبة ، مما شغل الحكام عن رعاية الحياة الأدبية ، ومن أبرز هذه الحروب ما قام به ابراهيم بن أحمد الأغلبي من غزو مدينة قنطرارة في جبل نفوسة ، ففي موقعة مانوا التي وقعت في سنة ٢٨٣ هـ ، وقع في أسره ثمانون عالماً ، كما قتل أربعمائة آخرين منهم . وفي العصر الفاطمي لم تتمتع ليبيا باستقرار سياسي ولهذا لم تخرج هذه الحقبة عن كونها امتداداً للفترة التي سبقتها .[2]

---

(١) نفس المرجع ، ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .
(٢) سليمان الباروني : الأزهار الرياضية ، جـ ٢ ، ص ٢٨١ ، ٢٨٢ .
– محمد علي دبوز : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٣٩٣ .
– أحمد مختار عمر : النشاط الثقافي في ليبيا ، ص ٢٢١ ، ٢٢٧ .

الملاحق

الملحق الأول

جواب المعز إلى جوذر بشأن هدية أفلح [1]

كان أفلح الناشب ، عامل برقة ، قد رفع إلى الأستاذ أبعرة ، هدية زهاء عشرين بعيراً والأستاذ كان قليل القبول لهدايا الناس ، وذلك أن الأستاذ بعث اليه في عشرة أجمال فلم وقف على هذه الزيادة من العدد أنكر ذلك ، ثم احتشم من أفلح وقبل منه العشرين بعيراً ، فاحتاج إلى أن وصف لأمير المؤمنين ، صلوات الله عليه صورة الخبر ، وعرفه أنه يعمل على مكافأة أفلح بهدية عوضاً من هديته ، وسمى ذلك في رقته ، ووصفه ، ودفع اليه الجواب بخطه عليه السلام هو :

« يا جوذر أسعدك الله ، ما رأينا في كل ما ذكرته إلا خيراً ، فاعمل به فلا زلت في أيامنا عزيزاً رفيعاً تجازي من تشاء بالنفيس من فضل الله ، وفضلنا عندك فالسماحة طبع من فضل النفس وعلو الهمة . وكثير من تعظم نعمته ، وتصغر همته ، فلا ينتفع بكثير النعمة عند صغير الهمة ، والله عز وجل لم يزل يعرفك البركة في كل ما تصرفت به ، ولا يزال إن شاء الله » .

---

(١) سيرة جوذر ، ص ٩٥ .

الملحق الثاني

جواب المعز لنصير الخازن عامل طرابلس [1]

وورد على الأستاذ كتاب من نصير الخازن عامل طرابلس وذلك بعد وصول الأساطيل اليه مع أحمد بن حسن ، يذكر شوقه إلى رؤية وجه مولانا ، صلوات الله عليه ، ويرغب في القدوم لصلاة العيد معه ، ويذكر مبلغ ما اجتمع عنده من المال ، وما خرج منه من النفقات على هذا الأسطول ورجاله ، ويصف استقامة أحوال البلد ، فرفع الأستاذ كتابه ، فلما قضى عليه أمير المؤمنين صرف الجواب على ظهره وهو :

(يا جوذر ، أكتب اليه وعرفه جميل رأينا فيه ، وأن أنفسنا طيبة على ما يتولاه ، وما أعدمه الله التوفيق مذ كان ولا يعدمه الآن ، فليجتهد في الخدمة والنصيحة ، فما نعلم في ذلك تقصيراً مذ عرفناه ، عرفه الله الخير والبركة والذي ذكره من أمر صلاتنا في هذا الشهر المبارك وشهوته لو قضى ذلك ، فمن كان في خدمتنا مثل ما هو بسبيله منها فهو حاضر معنا وإن غاب شخصه ، فكم من غائب حاضر ، وحاضر غائب ، فمن أحب الخير والاستكثار منه وفقه الله

---

(١) سيرة جوذر ، ص ١١٨ ، ١١٩ .

لطاعتنا والعمل بما يرضينا ، ومن غلبت عليه شئونه ولا يضرنا ولو دخلنا بين أشفاره ومن أعماه الله عن تأمل نعمته ليس له بصر ولا بصيرة ليبصرنا بها فيحمد الله على ما وهبه من رضانا ويشكره ، فانه لا يؤدى شكر ذلك إلا بعون الله ، فأما المال الذي ذكر افتراقه عن يديه بعد اجتماعه فما أخرجه بأمرنا وفي مهماتنا فهو في حال ما وصل الينا ، وهل ترى الأموال إلا لهذا الانفاق فالحمد لله الذي قدر ، إنفاقه فيما يرضيه ، وفيما يعود علينا بفخر الأبد وامتداد اليد وبلوغ آمال الآباء والأجداد ، فوالله لو كانت جبال إفريقية ذهباً وفضة ، ثم أنفذناها خراجاً لأعاضنا الله بها بما قد وهب من فضله واحسانه ، ولكانت قليلة حقيرة في جنبه ، وأن الذي جعله الله في أموالنا من البركة من أعظم الآيات وأكبر البراهين ، وأسأل الله التوفيق ، والله ان الذي عدمنا في خدمة نصير من أيدينا ، وما كان ينظر فيه لما كان بحضرتنا سيما بعد غياب جوهر سلمه الله ونصره ليفي ما ضاع في جمعة بما توفر من مال طرابلس في سنة ، وأنا كنا استرحنا بعد خروجه إلى جوهر فوجدنا فيه ومعه ما أردنا ، فمنذ خرج صارت الأشياء مهملة وركب كل وحش هواه فلا خزانــة ولا حراس ولا عبيد ولا حال يوقف منها على محبوب ، والحمد لله على كل حال) .

الملحق الثالث

رسالة من جوذر إلى عبدالله بن يخلف [1]

ويذكر الجوذري أنه لما وصلنا إلى الموضع الذي يعرف بمثليه بالقرب من برقة زاد به أمر الضعف وصعوبة الأمر من العلة ، ومع ذلك فكان ذهنه صحيحاً لم يتغير من عقلــه شيء ، دعاني فقال : « نحن ندخل برقة ، وهي بلد كبير وبه بعض أهل المشرق ، سيما وصول ابني نصير إلى مولانا فيما يقال واسمنا من الدولة الطاهرة كبير ، باعزاز مولانا ، والواجب أن نجمل عسكرنا بالعدة والسلاح الشاكي ، والزي الحسن حتى يكون دخولنا تاماً بهياً ، فاكتب إلى الأمير عبد الله تعرفه بذلك ، وتسأله سؤال مولانا ، بإنفاذ شيء من السلاح والعدة زيادة على ما عندنا وتعرفه أني أحب الوصول إلى القصر المبارك بهذا الزي لكن لا أستطيع النزول على قدمي وصعب على الأمير فيما كان من فعل مولانا بأجدابية ، وأخشى أني متى وصلت يقول من يحسدنا على فضل مولانا أني إنما تعرضت بوصولي هذا ما كان من فعلة ، ونحو هذا القول من الكلام . وختم الكتاب وأنفذناه مع نجاب كان معنا. **فكان الجواب من الأمير عبدالله، يقول :**

« سلمك الله ، وأتم نعمته عليك ، وتابع الا لديك ، ومنع فقـــــدك ،

---

(١) سيرة جوذر ، ص ١٤٤ ، ١٤٦ .

وقضى لك بالحج إلى البيت الحرام مع مولانا – انتهى الينا كتابك – سلمك الله – ووقفنا على جميعه من بعد أن وقف عليه مولانا . وقبلنا له الأرض ، وهو يرد عليك أفضل سلام الله وأطيبه . وأمر – ولا زال أمره عالياً مكرماً معظماً – بالكتاب اليك لتعريفك – سلمك الله – أن أمره نفذ إلى نصير الخازن ببعثه الجمال وصدراً كثيراً من السلاح لا حد له وهو يصل اليك انشاء الله . فاعمل قال لك : على الوصول إلى الحضرة المباركة أي يوم يتهيأ لك وأردت الوصول فيه ، ويكون وصولك إلى باب القصر المبارك في عماريتك على رسم ما فعلته في أجدابية بأحسن زي وأهيأه .ولا تأخذ على نفسك في هذا الباب في أمر العمارية شيئاً فليس فيه شيء تأخذه ولا يؤخذ عليك كما قلت ، فخروجنا – قال لك – في أجدابية ليس أن كلفناه فتأخذ فيه على نفسك أمراً بل نحن فعلناه من ذات أنفسنا رغبة في افتقادك ومشاهدة حالك . وهب الله لك أتم العافية وأمل الصحة والسلامة بفضله فاعمل ما حددناه لك . قال : وأبشر بما رزقك الله من رضاه – عز وجل عنك ورضى وليه – والذي لم يجر هذا لأحد غيرك في العصر الذي أنت فيه ومحقوق بذلك فاحمد الله واشكره تستوجب المزيد من جميل عطائه ، وجزيل فضله وامتنانه والله أسأل حراسة نعمه عندك ، وتتابعها لديك ، ومرادفة آلائه عليك بأجمل سلامة نرجوها لك ، وأفضل صحة نؤملها ، بمنه وفضله ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

المصادر والمراجع

(أ) المصادر الخطية :

١ – البراوي : (ت ٨١٠ هـ)
الجواهر المنتقاة في اتمام ما أخلّ به كتاب الطبقات لدرجيني ،
معهد المخطوطات – بجامعة الدول العربية – رقم ١٥٦٧ .

٢ – الدرجيني : (القرن السابع الهجري)
طبقات الاباضية
معهد المخطوطات – بجامعة الدول العربية –
رقم ٣٠٣ .

٣ – الشماخي : (ت ٩٢٨ هـ)
كتاب السير
معهد المخطوطات – بجامعة الدول العربية –
رقم ١٩١٠ .

٤ – مؤلف مجهول :
شرح لمعة من أخبار المعز وتسييره عساكره إلى مصر
جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٢ .

٥ ـ النويري : (ت ٧٣٢ هـ)
نهاية الأرب / جـ ٢٢ / القسم الأول
دار الكتب ـ تحت رقم معارف عامة ٥٤٩ .

٦ ـ الورجلاني : (ت ٤٧١ هـ)
السيرة وأخبار الأمة في انتشار مذهب الأباضية في المغرب
جامعة الدول العربية ـ رقم ١٧٣٦ .

(ب) المصادر العربية المطبوعة :

١ ـ ابن الأبار : (ت ٦٥٨ هـ)
الحلة السيراء ، جزءان .
القاهرة ١٩٦٣ م .

٢ ـ ابن الأثير : (ت ٦٣٠ هـ)
الكامل في التاريخ ، ٩ أجزاء
دار الكتاب العربي ، بيروت .

٣ ـ أحمد الضياف :
إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان
٨ أجزاء ، تونس ١٩٦٣ م .

٤ ـ أحمد النائب الأنصاري :
المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، جزءان ،
منشورات مكتبة الفرجاني
جـ/١ طبعة أولى ، جـ/٢ طبعة أولى ١٩٦١ م .

٥ ـ أحمد النائب الأنصاري :
نفحات النسرين في الريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان
تحقيق وتقديم علي مصطفى المصراتي .

٦ ـ الأصطخري : (ت ٣٥٠ هـ)
المسالك والممالك
طبعة مصر ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م .

٧ ـ ابن بطوطة : (ت ٧٧٩ هـ)
رحلة ابن بطوطة ـ جزءان
الطبعة الأولى ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٨ م .

٨ ـ البغدادي : (ت ٤٢٩ هـ)
الفرق بين الفرق
مطبعة المدني ـ بدون تاريخ طبعه .

٩ ـ البكري : (ت ٤٨٧ هـ)
معجم ما استعجم ـ ٤ أجزاء
لجنة التأليف والترجمة والنشر
الطبعة الأولى ١٣٦٤ هـ ـ ١٩٤٥ م .

١٠ ـ البكري : (ت ٤٨٧ هـ)
المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب
طبعة الجزائر ـ ١٨٥٧ م .

١١ ـ البلاذري : (ت ٢٧٩ هـ)
فتوح البلدان ـ ٣ أجزاء
المطبعة الأزهرية ـ الطبعة الأولى ١٩٣٢ م .

١٢ ـ البلوي : (ت حوالي منتصف القرن الرابع الهجري)
سيرة أحمد بن طولون ، دمشق ١٣٥٨ هـ .

١٣ ـ التيجـــاني :
رحلة التيجاني ٧٠٦ ـ ٧٠٧ .
المطبعة الرسمية بتونس ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .

١٤ ــ الجوذري : (ت منتصف القرن الرابع الهجري)
سيرة الأستاذ جوذر
دار الفكر العربي بمصر .

١٥ ــ أبو الحسن علي بن سعيد الأندلسي : (ت ٦٨٥)
بسط الأرض في الطول والعرض
تطوان ١٩٥٨ م .

١٦ ــ أبو الحسن علي بن موسى سعيد الأندلسي : (ت ٦٧٣ هـ)
المغرب في حلى المغرب
الجزء الأول ــ القسم الخاص بمصر
جامعة فؤاد الأول ــ ١٩٥٣ م .

١٧ ــ ابن حوقل : (ت في حدود ٣٨٠ هـ)
صورة الأرض
مطبعة مكتبة دار الحياة ــ بيروت .

١٨ ــ ابن خرداذبة : (ت ٣٠٠ هـ)
المسالك والممالك
طبعة ليدن ١٨٨٩ م .

١٩ ــ الخشني : (ت ٣٦١ هـ)
قضاة قرطبة وعلماء إفريقية
تونس ١٣٧٢ هـ .

٢٠ ــ ابن خلدون : (٨٠٨ هـ)
العبر
٧ أجزاء ، بيروت ، دار الكتاب ، ١٩٦٧ م .

٢١ ــ ابن خلكان : (ت ٦٨١ هـ)
وفيات الأعيان ، جزءان .

٢٢ ــ خليفة بن خياط : (ت ٢٤٠ هـ)
تاريخ خليفة بن خياط ، جزءان
١٩٦٧ ــ ١٩٦٨ م .

٢٣ ــ الدبــاغ : (ت ٦٩٦ هـ)
معالم الايمان في معرفة أهل القيروان
جزءان ، ١٩٦٨ ــ ١٩٧٢ م .

٢٤ ــ ابن أبي دينار : (ت ١١١٠ هـ)
المؤنس في أخبار إفريقية وتونس
طبعة المكتبة العتيقة ، تونس ١٩٦٧ م .

٢٥ ــ الرازي : (ت ٦٠٦ هـ)
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين
النهضة المصرية ــ ١٣٥٦ / ١٩٣٨ م .

٢٦ ــ ابن رستة : (أوائل القرن الرابع الهجري)
كتاب الأعلاق النفيسة
طبعة ليدن ١٨٩١ م .

٢٧ ــ ابن الرقيق القيرواني : (القرن الخامس الهجري)
تاريخ افريقية والمغرب
طبعة تونس ١٩٦٧ م .

٢٨ ــ الزبيدي : (ت ٣٧٩ هـ)
طبقات اللغويين والنحويين
الطبعة الأولى ــ القاهرة ــ ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م .

٢٩ ــ الســلاوي :
الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى
٤ أجزاء ــ دار الكتاب ــ الدار البيضاء ١٩٥٤ م .

٣٠ ــ السيوطي : (ت ٩٩١هـ)
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة
الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ١٣٢٦هـ .
٣١ ــ الشريف الإدريسي : (ت ٥٤٨هـ)
وصف إفريقية الشمالية ــ مأخوذة من نزهة المشتاق .
الجزائر ١٣٧٦هـ ــ ١٩٥٧م .
٣٢ ــ الشهرستاني : (ت ٥٤٨هـ)
كتاب الملل والنحل
مطبعة الأزهر ــ الطبعة الأولى ــ ١٣٦٦/١٩٤٧ .
٣٣ ــ الطبري : (ت ٣١٠هـ) .
تاريخ الطبري
١٣ جزءاً ، طبعة بيروت .
٣٤ ــ ابن عبد الحكم : (ت ٢٥٧هـ)
فتوح مصر وأخبارها
دار التعاون للطبع والنشر ١٩٦٨/١٩٧٤م .
٣٥ ــ ابن عبد ربه : (ت ٤٣٩هـ)
كتاب العقد الفريد ، ٣ أجزاء
طبعة التأليف والترجمة والنشر
الجزء الأول والثاني ١٣٥٩/١٩٤٠.
الجزء الثالث ١٣٦١/١٩٤٤
٣٦ ــ العبدري :
رحلة العبدري : قام بها سنة ٦٨٨هـ ،
تحقيق وتقديم محمد الفاس ، الرباط ١٩٦٨م .
٣٧ ــ أبو عبيد : (ت ٢٢٤هـ)
كتاب الأموال
الطبعة الثانية ، دار الفكر ١٣٩٥/١٩٧٥ .

٣٨ ـ عبيد الله بن صالح :
نص جديد عن فتح العرب للمغرب
تحقيق ليفي بروفنسال تعليق حسين مؤنس
صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد
المجلد الثاني ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م .

٣٩ ـ ابن عذاري : (ت أواخر القرن السابع الهجري)
البيان المغرب ، ٤ أجزاء
بيروت ١٨٤٨/١٨٥١م .

٤٠ ـ أبو العرب تميم : (ت ٣٣٣هـ)
طبقات علماء إفريقية وتونس
الدار التونسية ، ١٩٦٨م .

٤١ ـ العياشي : (ت ١٠٩٠هـ)
رحلة العياشي ، جزءان .
فاس ، ١٣١٦هـ .

٤٢ ـ ابن غلبون :
التذكار فيمن ملك طرابلس وما بها من أخبار .
القاهرة ١٣٤٩هـ .

٤٣ ـ أبو الفدا : (ت ٧٣٢هـ)
المختصر في أخبار البشر
المطبعة الحسينية المصرية ـ جزءان ، الطبعة الأولى

٤٤ ـ أبو الفدا : (ت ٧٣٢هـ) ، تقويم البلدان ، باريس ١٨٤٠م .

٤٥ ـ ابن فرحون : (ت ٧٩٢هـ)
الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب
الطبعة الأولى ـ مصر ـ ١٣٥١هـ .

٤٦ ـ ابن الفرضي : (ت ٤٠٣هـ)
تاريخ علماء الأندلس
الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ .

٤٧ ـ القاضي النعمان : (ت ٣٦٣هـ)
رسالة افتتاح الدعوة
الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧٠م .

٤٨ ـ ابن قتيبة : (ت ٢٧٦هـ)
المعارف
الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م .

٤٩ ـ قدامة بن جعفر : (ت ٣٢٠هـ)
نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة
ليدن ١٨٨٩م .

٥٠ ـ القفطي : (توفي في القرن السابع الهجري)
أنباه الرواة على أنباه النحاة ، جزءان
دار الكتب المصرية ، الجزء الأول ١٣٦٩/١٩٥٠
الجزء الثاني ١٣٧١/١٩٥٢ .

٥١ ـ الكندي : (ت ٣٥٠هـ)
كتاب الولاة والقضاة
ليدن ١٩١٢م .

٥٢ ـ المالكي : (ت ٤٥٣هـ)
رياض النفوس
النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٥١

٥٣ ــ أبو المحاسن بن تغري بردي : (ت ٨٧٤هـ)
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
القاهرة ــ ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .

٥٤ ــ مؤلف مجهول : (من القرن السادس الهجري)
كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار
مطبعة جامعة الإسكندرية ــ ١٩٥٨م .

٥٥ ــ المسعودي (أبو عبد الله محمد الباجي)
الخلاصة النقية
الطبعة الثانية
لابن المؤلف عبد العزيز المسعودي .

٥٦ ــ المقدسي : (ت ٣٧٥هـ)
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم
الطبعة الثانية ــ ليدن ١٩٠٩م .

٥٧ ــ المقريزي : (ت ٨٧٤هـ)
اتعاظ الحنفا بأخبار الخلفا
دار الفكر العربي ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م .

٥٨ ــ المقريزي : (ت ٨٧٤هـ)
إغاثة الأمة في كشف الغمة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٥٩هـ ــ ١٩٤٠م .

٥٩ ــ المقريزي (ت ٨٧٤هـ)
المواعظ والاعتبار ــ جزءان
دار إحياء العلوم ــ لبنان

٦٠ ـ المقريزي : (ت ٨٧٤هـ)
النقود الإسلامية
قسطنطينة ـ ١٢٩٨هـ .
٦١ ـ ياقوت الحموي : (٦٢٦هـ)
معجم البلدان ، ٥ أجزاء
طبعة بيروت .
٦٢ ـ اليعقوبي : (٢٨٤هـ)
تاريخ اليعقوبي ـ جزءان
بيروت ١٩٦٠م .
٦٣ ـ اليعقوبي : (٢٨٤هـ)
كتاب البلدان
الملحق بالأعلاق النفيسة لابن رسته
ليدن ١٨٩١م .

(ج) المراجع العربية :

١ ـ آدم متز :
الحضارة الإسلامية .
تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة
الطبعة الرابعة ، بيروت ١٣٨٧/١٩٦٧ .
٢ ـ إبراهيم أحمد العدوي :
الأمويون والبيزنطيون
الدار القومية للطباعة والنشر
الطبعة الثانية ، ١٣٨٣/١٩٦٣ .
٣ ـ إحسان عباس :
ليبيا من الفتح العربي حتّى مطلع القرن التاسع الهجري
الطبعة الأولى ، بيروت ١٣٨٧/١٩٦٧ .

٤ ــ أحمد مختار العبادي :
سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس
صحيفة معهد الدراسات الإسلامية
مدريد ، المجلد الخامس ١٩٧٥ .

٥ ــ أحمد مختار عمر :
النشاط الثقافي في ليبيا ،
الطبعة الأولى ١٣٩١ ، ١٩٧١ .

٦ ــ أحمد صقر :
مدنية المغرب العربي في التاريخ
الجزء الأول ، دار النشر
تونس ١٩٥٩م .

٧ ــ الفرد بل :
الفرق الإسلامية في شمال إفريقية
ترجمة عبد الرحمن بدوي
بنغازي ــ ١٩٦٩ .

٨ ــ الفرد ج . بتلر :
فتح العرب لمصر
تعريب : محمد فريد أبو حديد
الطبعة الثانية ، القاهرة
١٣٦٥هـ ــ ١٩٤٦م .

٩ ــ ايتوري روس :
ليبيا منذ الفتح الإسلامي حتى سنة ١٩١١
تعريب خليفة التليسي
الطبعة الأولى ، بيروت
١٩٧٤/١٣٩٤ .

١٠ — إيفانوف :
مذكرات في حركة المهدي الفاطمي
(استتار الإمام وسيرة جعفر)
ترجمها للغة العربية : محمد كامل حسين
مجلة كلية الآداب — القاهرة —
ديسمبر ١٩٣٦ م .
١١ — جون باجوت جلوب :
امبراطورية العرب
الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦٦م .
١٢ — جون رايت :
تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور
تعريب عبد الحفيظ الجبار
الطبعة الأولى ، طرابلس ١٩٧٢ .
١٣ — حسن إبراهيم حسن ، طه أحمد شرف :
عبد الله المهدي
النهضة المصرية — يوليه ١٩٤٧م .
١٤ — حسن إبراهيم حسن :
المعز لدين الله الفاطمي
الطبعة الثانية — مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤م .
١٥ — حسن إبراهيم حسن :
تاريخ الدولة الفاطمية
الطبعة الثالثة — مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤م .
١٦ — حسن إبراهيم حسن :
تاريخ الإسلام السياسي
الجزء الأول — الطبعة السابعة
مكتبة النهضة المصرية — ١٩٦٤ .

١٧ ـ حسن أحمد محمود :
الإسلام والثقافة العربية بإفريقية
دار النهضة العربية ، ١٩٦٣م .
١٨ ـ حسن حسني عبد الوهاب :
ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية
تونس ، ١٩٦٤م .
١٩ ـ حسن حسني عبد الوهاب :
خلاصة تاريخ تونس
الطبعة الثالثة ، تونس ١٣٧٣هـ .
٢٠ ـ حسن حسني عبد الوهاب :
مجمل تاريخ الأدب التونسي
تونس ـ ١٩٦٨ م .
٢١ ـ حسن سليمان محمود :
ليبيا بين الماضي والحاضر
القاهرة ١٩٦٢م .
٢٢ ـ حسين مؤنس :
فتح العرب للمغرب
القاهرة ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م .
٢٣ ـ حسين مؤنس :
ثورات البربر في إفريقية والأندلس
مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد
المجلد العاشر ـ القاهرة ١٩٤٨
٢٤ ـ حسين مؤنس :
التنظيم الإداري والمالي لإفريقية والمغرب خلال عصر الولاة
مجلة كلية الآداب والتربية
جامعة الكويت ـ العدد الأول ـ يونيو ١٩٧٢م .

٢٥ ــ حسين مؤنس :
فزان ودورها في انتشار الإسلام في إفريقية
مجلة كلية الآداب
جامعة بنغازي ــ العدد الثالث ، ١٩٦٩/١٣٨٩

٢٦ ــ حورية عبده سلام :
علاقات مصر ببلاد المغرب
رسالة دكتوراه ، لم تطبع ، ١٩٧٤ .

٢٧ ــ راشد البراوي :
حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين
النهضة المصرية ، الطبعة الأولى
١٩٤٨/١٣٦٨ .

٢٨ ــ رضوان محمد الجناني :
القبائل العربية في مصر في القرنين الثالث والرابع الهجريين
رسالة ماجستير ، لم تطبع ، ١٩٧٦م .

٢٩ ــ رفعت فوزي عبد المطلب :
الخلافة والخوارج في المغرب العربي
الطبعة الأولى ، القاهرة
١٩٧٣/١٣٩٣ .

٣٠ ــ زاهر رياض :
الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وآثارها في
تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى
الأنجلو ، ١٩٦٨م .

٣١ ــ سعد زغلول عبد الحميد :
تاريخ المغرب العربي من الفتح حتى قيام دولة الأغالبة
الاسكندرية ــ ١٩٦٤م .

٣٢ ــ سعد زغلول عبد الحميد :
فترة حاسمة من تاريخ المغرب
مستخرج من مجلة كلية الآداب والتربية ببنغازي
١٩٥٨ م .
٣٣ ــ سليمان الباروني :
مختصر تاريخ الأباضية
طبعة تونس ــ ١٣٥٧ ــ ١٩٣٨ .
٣٤ ــ سليمان الباروني :
الأزهار الرياضية في أئمة ملوك الأباضية
مطبعة الأزهار البارونية
٣٥ ــ السيد عبد العزيز سالم :
تاريخ الدولة العربية حتى سقوط الدولة الأموية
بيروت ١٩٧١ .
٣٦ ــ السيد عبد العزيز سالم :
تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس
دار المعارف ــ لبنان ١٩٦١م .
٣٧ ــ السيد عبد العزيز سالم :
المغرب الكبير ــ الجزء الثاني
الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦ .
٣٨ ــ سيدة إسماعيل كاشف :
مصر في فجر الإسلام إلى قيام الدولة الطولونية
دار الفكر العربي ١٩٤٧م .
٣٩ ــ سيدة إسماعيل كاشف :
مصر في عصر الإخشيديين
جامعة فؤاد الأول ١٩٥٠م .

٤٠ ـ سيدة إسماعيل كاشف :
دراسات في النقود الإسلامية
مستخرج من مجلة الجمعية المصرية
للدراسات التاريخية
المجلد الثاني ـ ١٩٦٤/١٩٦٥

٤١ ـ شكري فيصل :
حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري
الطبعة الأولى ـ بيروت ١٩٥٢ .

٤٢ ـ شكري فيصل :
المجتمعات الإسلامية في القرن الأول
الطبعة الثالثة ـ بيروت ١٩٧٣م .

٤٣ ـ الطاهر أحمد الزاوي :
تاريخ الفتح العربي في ليبيا
الطبعة الثانية ، دار المعارف ، ١٩٦٣ .

٤٤ ـ الطاهر أحمد الزاوي :
معجم البلدان الليبية
الطبعة الأولى ـ طرابلس ليبيا ـ
١٣٨٨/١٩٦٨ .

٤٥ ـ الطاهر أحمد الزاوي :
ولاة طرابلس
بيروت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .

٤٦ ـ الطاهر أحمد الزاوي :
أعلام ليبيا
الطبعة الثانية ، مؤسسة الفرجاني
طرابلس ليبيا ، ١٩٧١

٤٧ ـ عبد الرحمن فهمي :
موسوعة النقود العربية وعلم النبات
دار الكتب ـ مصر ـ ١٩٦٥ .
٤٨ ـ عبد العزيز طريح شرف :
جغرافية ليبيا
الإسكندرية ١٩٦٢ .
٤٩ ـ عبد القادر الصحراوي :
جولات في تاريخ المغرب الأقصى
الطبعة الأولى ـ الدار البيضاء ـ ١٩٦١ .
٥٠ ـ عبد القادر أحمد اليوسف :
الامبراطورية البيزنطية
المكتبة العصرية ـ بيروت ١٩٦٦ .
٥١ ـ عبد القادر طليمات :
سكان ليبيا عند اليعقوبي
المؤتمر التاريخي ١٦ ـ ٢٣ مارس ١٩٦٨ .
(ليبيا في التاريخ)
٥٢ ـ عبد اللطيف محمد البرغوثي :
التاريخ الليبي القديم
منشورات الجامعة الليبية ، بيروت ١٩٧١ .
٥٣ ـ عبد اللطيف محمد البرغوثي :
تاريخ ليبيا الإسلامي
منشورات الجامعة الليبية ، بيروت ١٩٧٣ .
٥٤ ـ عبد المنعم سيد عبد العال :
لهجة شمال المغرب
دار الكتاب العربي للطباعة والنشر
القاهرة ١٩٦٨م .

٥٥ ــ عبد المنعم ماجد :
الحاكم بأمر الله
القاهرة ١٩٥٩م .
٥٦ ــ عبد الهادي شعيرة :
الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية
المؤتمر التاريخي ١٦ ــ ٢٣ مارس ١٩٦٨
(ليبيا في التاريخ)
٥٧ ــ عثمان الكعاك :
مسالك القاهرة
ألفية القاهرة ١٩٦٩م .
٥٨ ــ عطية أحمد محمد القوصي :
تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام
رسالة دكتوراه لم تطبع ١٩٧٣م .
٥٩ ــ علي إبراهيم حسن :
تاريخ جوهر الصقلي .
الطبعة الأولى ــ القاهرة ١٣٥٢ ــ ١٩٣٣م .
٦٠ ــ علي يحيى معمر :
الأباضية في موكب التاريخ
٣ أجزاء ــ الطبعة الأولى ــ مصر ١٩٦٤م .
٦١ ــ محمد فروخ :
وثبة المغرب
بيروت ١٣٨١هـ / ١٩٦١م .
٦٢ ــ عيسى سليمان :
المسكوكات المصورة في مجموعة عبد الله الصراف
مجلة المسكوكات ــ بغداد ــ العدد الثاني
١٩٦٩م .

٦٣ ـ لقبال موسى :
المغرب الإسلامي منذ بدء معسكر القيروان
حتى إنهاء ثورات الخوارج
الطبعة الأولى ـ قسطنطينة ، ١٩٦٩م .

٦٤ ـ لويس أرشيبالد :
القوى البحرية في حوض البحر المتوسط
ترجمة أحمد عيسى ، القاهرة ١٩٦٠م .

٦٥ ـ مبارك الميلي :
تاريخ الجزائر في القديم والحديث
المطبعة الجزائرية ـ قسطنطينة

٦٦ ـ محمد أحمد حسونة :
الجغرافية التاريخية الإسلامية
مطبعة لجنة البيان العربي
١٣٩٩هـ ـ ١٩٥٠م .

٦٧ ـ محمد الحجوي :
الفتح العربي لإفريقيا الشمالية ورفع المثالب عنها
المطبعة الفنية بنهج الكنيسة ، تونس

٦٨ ـ محمد بن تاويت ، والصادق عفيفي :
الأدب المغربي
الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٦٩ .

٦٩ ـ محمد جمال الدين سرور :
الدولة الفاطمية في مصر
دار الفكر العربي ـ ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ م .

٧٠ ـ محمد علي دبوز :
تاريخ المغرب الكبير ، ٣ أجزاء
دار إحياء الكتب العربية ـ الطبعة الأولى١٩٦٣م .

٧١ ـ محمد الفاضل بن عاشور :
اعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب
نشر وتوزيع مكتبة النجاح ـ تونس
٧٢ ـ محمد فرج أبو العش :
محاضرة بعنوان : مصر ـ القاهرة على النقود العربية الإسلامية
ألقيت في الندوة الدولية بمناسبة العيد الألفي للقاهرة .
٧٣ ـ محمد مصطفى بازامه :
ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين
نشر مكتبة الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى .
٧٤ ـ محمود أبو زهرة :
الجزائر ـ مجموعة محاضرات ألقيت بمعهد الدراسات الإسلامية
في الموسم الثقافي الثالث .
الجزائر ١٩٦٣/١٩٦٤م .
٧٥ ـ محمود إسماعيل عبد الرازق :
سياسة الأغالبة الخارجية
مكتبة سعيد رأفت ، ١٩٧٢
٧٦ ـ محمود إسماعيل عبد الرازق :
أثر الخوارج في الحياة السياسية في بلاد المغرب حتّى منتصف القرن
الرابع الهجري
رسالة دكتوراه ، لم تطبع ، ١٩٧٠م .
٧٧ ـ محمود شيت خطاب :
عقبة بن نافع الفهري
الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٣٩١/١٩٧١ .
٧٨ ـ محمود شيت خطاب :
قادة فتح المغرب العربي

جزءان
الطبعة الثانية
دار الفكر – ١٩٧٣م .

٧٩ – محمود مصطفى النجار ، وأحمد مجاهد مصباح :
فتوحات الإسلام في إفريقية والأندلس والمغرب .
الطبعة الأولى – النهضة العربية
١٣٨٧هـ – ١٩٦٥م .

٨٠ – محمود ناجي :
تاريخ طرابلس الغرب
منشورات الجامعة الليبية
كلية الآداب ١٩٧٠

٨١ – مراجع عقيلة الغناي
دراسة حول مدينة برقة
مكتبة قورينا – بنغازي ١٩٧٥ .

٨٢ – مراجع عقيلة الغناي :
علاقات الإمارة الصنهاجية بجيرانها وآثارها في ليبيا
نشر المكتبة الوطنية – بنغازي ليبيا .

٨٣ – م. رستو فتزف :
تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي
ترجمة : زكي علي ، ومحمد سليم سالم
النهضة المصرية – ١٩٥٧ .

٨٤ – مصطفى عبد الله بعيو :
المجمل في تاريخ لوبيا
الاسكندرية – ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م .

٨٥ — نجم الدين غالب الكيب :
مدينة طرابلس عبر التاريخ
دار الجيل للطباعة ، الفجالة
القاهرة ١٩٧١
٨٦ — يسرى عبد الرازق الجوهري :
السلالات البشرية
الطبعة الأولى — المعارف ١٩٦٦م .

(د) المراجع الأجنبية :

1. BOVILL, E.W. :
   THE GOLDEN TRADE OF THE MOORS, OXFORD UNIVERSITY PRESS, 1968.
2. HAMDANI, A. :
   SOME ASPECTS OF THE HISTORY OF LIBYA DURING THE FATIMID PERIOD, LIBYA IN HISTORY 16 — 23/3/1968.
3. FOURNEL, H. :
   LES BERBERES, ETUDE SUR LA CONQUETE DE L'AFRIQUE PAR LES ARABES, VOL. 1, PARIS.
4. GOITEN, S.D. :
   A MEDITERRANEAN SOCIETY OF THE HIGH MIDDLE AGES. I, NEW YORK, 1967.
5. GOITEN, S.D. :
   THE CAIRO GENIZA AS A SOURCE FOR THE HISTORY OF MUSLIM CIVILIZATION, (STUDIA ISLAMICA, VIII, 1955).
6. GOITEN, S.D. :
   JEWS AND ARABS, THEIR CONTACTS THROUGH THE AGES, NEW YORK, 1955.

7. GOITEN, S.D. :
FROM THE MEDITERRANEAN TO INDIA, DOCUMENTS ON THE TRADE TO INDIA, SOUTH ARABIA AND EAST AFRICA FROM THE ELEVENTH CENTURIES, (SPECULUM, VXXIX, 1954 No. 2 PART I).

8. GOITEN, S.D. :
STUDIES IN ISLAMIC HISTORY AND INSTITUTIONS, LEIDEN, 1968.

9. HASSAN IBRAHIM :
RELATIONS BETWEEN THE FATIMIDES IN NORTH AFRICA AND EGYPT AND THE UMAYYADS IN SPAIN DURING THE FOURTH CENTURY, A. H. BULLETIN OF THE FACULTY OF ARTS, CAIRO UNIVERSITY, VOL. X, PART II, CAIRO, 1948.

10. JULIEN ANDRE CH. :
HISTOIRE DE L'AFRIQUE DU NORD, PARIS, 1964.

11. LANE-POOLE :
CATALOGUE OF THE COLLECTION OF ARABIC COINS, PRESERVED IN KHEDIVAL LIBRARY AT CAIRO, LONDON, 1897.

12. LAVOIX, H. :
CATALOGUE DES MONNAIES MUSULMANES DE LA BIBLIOTHEQUE NATIONALE PUBLIC KHALIFES ORIENTAUX, PARIS IMPRIMERIE NATIONALE.
MDCCC LXXX VII.

13. DE LA RONCIERE, CH. :
LA DECOUVERTE DE L'AFRIQUE AU MOYEN AGE, T.J. LE CAIRE, 1934.

14. ROTH :
OQBA IBN NAFI EL-FIHRI. GOTTINGEN, 1859.

فهرست

	الموضوع	الصفحة

الموضوع		الصفحة
	– موقف برقة وطرابلس من أحداث فتح مصر وأهم الثورات في هذه الفترة	١٣٨
	– انتقال المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر	١٥٤
الباب الرابع :	**أهم المظاهر الحضارية في برقة وطرابلس من الفتح العربي حتّى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر**	١٦٣
	– عناصر السكان .	١٦٥
	البربر وعاداتهم وتقاليدهم .	١٦٥
	الروم .	١٨٠
	الأفارقة .	١٨٢
	العرب .	١٨٣
	النصارى واليهود	١٩١
	– الحياة الاقتصادية	١٩٥
	الزراعة	١٩٥
	الثروة الحيوانية	٢٠٦
	الصناعة	٢٠٩
	التجارة	٢١٢
	الطرق التجارية ودورها في ازدهار حركة التجارة	٢١٦
	ركب الحجاج المغاربة	٢٣٤
	المعاملات المالية	٢٣٧
	– الدراسات الإسلامية واللغوية والأدبية	٢٤٣
	الدراسات الإسلامية	٢٤٣
	العلماء الوافدون والاهتمام بالدراسات الإسلامية	٢٤٣
	الفقهاء المحليون	٢٤٧

الموضوع	الصفحة

